رؤية فلسفية للحياة وما بعد الموت

دراسة مقارنة

الدكتورة سعاد جبر سعيد



عالم الكتب الحديث
Modern Book's world
للنشر والتوزيع

2014

رؤية فلسفية

للحياة وما بعد الموت

دراسة مقارنة

الدكتورة

سعاد جبر سعيد

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

اربد- الأردن

2014

الكتاب

رؤية فلسفية للحياة وما بعد الموت: دراسة مقارنة

تأليف

سعاد جبر سعيد

الطبعة

الأولى، 2014

عدد الصفحات: 290

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2013/9/3124)

ISBN 978-9957-70-807-8

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (27272272- 00962)

خلوي: 0785459343

فاكس: 27269909- 00962

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

www.almalkotob.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 5264363/ 079

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 471357 1 00961

فاكس: 475905 1 00961

الإهـــداء

إلى القلوب العاشقة للآخرة

والأنس بالتوحيد

والإقبال على الطاعات

فكانت الدنيا في أيديهم

وقلوبهم معلقة بالله تعالى شوقاً وأنساً وخوفاً، فهو

محبوبهم الأول والآخر الذي لا يفنى

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة



المقدمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقدر الأقدار، مصرف الأمور، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اجتباه من عبيده، فجعله من المقربين الأبرار، وبصر من أحبه فزهدهم في هذه الدار فاجتهدوا في مرضاته والتأهب لدار القرار واجتناب ما يسخطه والحذر من عذاب النار، واخذوا أنفسهم بالجد في طاعته وملازمة ذكره بالعشي والأبكار، وعند تغاير الأحوال وجميع أناء الليل والنهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار، احمده ابلغ الحمد على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه، واشهد أن لا اله إلا الله العظيم، الواحد الصمد العزيز الحكيم واشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين، وأكرم السابقين واللاحقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

أما بعد: فإن سيكولوجية الحياة وما بعد الموت، عنوان جرئ، في تناول موضوعات الحياة، والتي تلامس الاهتمامات، وتثير التساؤلات، ومصدر حيرة الفلاسفة، في الوقت الذي تناولها القرآن الكريم والسنة الشريفة بأسلوب راقٍ، خاطب فيه العقل، وأثار فيه التفكر والتأمل، واتسق مع الفطرة الإنسانية، فبعث فيها الأمن والطمأنينة، في منهج رباني هو بمثابة دليل الصانع الواجب التزامه، والذي يحدد المهمة الخطيرة للإنسان، الذي سخر له الكون بكل عظمته، وإمكانياته الهائلة، ولكن السؤال المطروح هنا، أين هو الإنسان من تلك المهمة الخطرة، التي انحرف عنها، لتكون محض غريزة شهوانية وغضبية، تتحرك في الوجود، إفساداً وعبثية، فيما يعرف باللهو واللعب والانصراف عن اصل الرسالة، وجوهر مهمة الاستخلاف في الأرض.

سيكولوجيا الحياة، محطات حياتية، عبر خبر القرآن الصادق المعجز، ووصايا السنة الشريفة في بث الأشراقات، حيث يجليا النقاب عن حقيقة الوجود وماهية الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وان الدنيا منزل ترح لا منزل فرح، ودار كدح وألم وقلق، وممر ومعبر لا مقر ومستقر، والآن الآخرة نظام قائمة على الجزاء والتشريف لمن احسن، والعقوبة لمن أساء.



وتـناول الكـتاب في فصوله؛ ماهية الرؤية الفلسفية للحياة، في محطات منتقاة مختارة، مثل قطع لؤلؤية، تتسم بالتفرد في مضمونها وعرضها، حيث لم انهج نهج التسلسل التاريخي، إنما اعـتمدت تسلـسل الفكـرة، في فهـم الحـياة، بحـسب رؤى الفلاسـفة، الـذين اخـتلفت وتـصادمت أفكـارهم في الحـياة، لكن كلماتهم اتفقت على أن هذه الحياة زائلة لا محالة، وأن هـناك حـياة أخـرى، فمن خلال هذه الفصل قدمت رؤية الفيلسوف الكندي للحزن، ورؤية الفيلـسوف الرازي للآفات السلوكية، ورؤية ما بعد الحياة عند رونسار والسلوك الأمعي عند رابلـيه، وتناقـضات الحـياة عـند نيتشه وجاسبرز، ورؤية المدنية الغربية والآلة وارتباطهما في تجـريد الإنـسان من إنسانيته، وإعدام المعنى وما وراء المعنى، عند غادامئر، والأنا اللاشعورية والأنـا الـناطقة ومتتالـيات الأشـباح والهلوسـة عـند كـل من فرجينيا وولف وكولن ولسن، وفـرويد، في رؤيـة فلـسفية موجـزة، تركـز علـى الفكـرة، بعـيداً عـن الاستطراد في القشور والتفاصـيل، وحاولـت تقـديم تلك الرؤية الفلسفية المختزلة لهذه الثلة من الفلاسفة المبدعين من الغرب، بطريقة سهلة ميسرة، بعيدة عن التعقيد ما أمكن.

وخـتمت الكـتاب بمـنظومة مـن المفـردات الحياتـية، الـتي تلامـس اهـتمام الأفـراد والمجتمعات، في ضوء التصور الإسلامي، ومساحات الرؤية النفسية للإنسان والحياة، حيث تم تـناول تلـك المفـردات بأسـلوب رصين جذاب، يستهدف الفكرة، ويبتعد عن حشو الكلام، ويحلـق في التفـرد، ويبـتعد عـن التقليد، في رؤية شمولية موضوعية واقعية، تخاطب الحياة في الحياة.

وفي نهايـة عملي هذا؛ أرجو أن أكون قد وفقت؛ وقدمت للمكتبة النفسية، في عالمنا العربـي؛ مـا يـشكل زاداً في هذا المجال، ومادة لها مكانتها وجاذبيتها لدى مرتادي علم النفس بكافـة أبعاده، فإن وفقت فالحمد لله وذلك فضله تعالى علي ومنته وتدبيره، واثر يده المبدعة، وفعلـه الجمـيل اللطـيف، وتـدبيره لأمـري في إنجـاز هذا العمل، ومشتته العلية في أن ينجز، ويخـرج إلى الوجـود، علـى الـصفحات؛ وما نالني من خطأ في الاجتهاد في هذا العمل، فمن نفسي، واستغفر الله العلي العظيم.



الفصل الأول

مقاربات سيكولوجية بين الحياة الدنيا وما بعد الموت



الفصل الأول

مقاربات سيكولوجية بين الحياة الدنيا وما بعد الموت

مفهوم الحياة الدنيا:

تشكل الحياة الدنيا محطة للحياة الآخرة، وجسراً إليها، وهي قائمة على الكدح والتعب والعناء، والسعادة في أدواتها المادية مفقودة، لأن مآلها الزوال، فلا عبرة بالغنى والفقر فيها، لأنه كما يقول الأمام علي بن أبي طالب ﷺ الفقر والغنى يكون بعد العرض، فالدنيا دار ترح وألم ومعاناة ومكابدة، فهي لا تصفو لأحد، فرحها لا يدوم، ولذائذها تمضي وتبقى منغصاتها في كل شيء، فالدنيا دار ممر لا مقر ومستقر.

ولب الحياة الدنيا، في التكليف، وأداء المهمة المقدسة التي كلفت بها، واختصرها النص القرآني ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٦)، وهذا النص القرآني البليغ يوجز مهمة الإنسان في الحياة الدنيا ،إذ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك، بل الله فاعبد دون كلّ ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد، وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لله على نعمته عليك بما أنعم عليك من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان(الطبري، ١٩٨٤).

وهذا النص عام في معناه، بأن مهمة الإنسان في الحياة تختصر في عبادته تعالى عزَّ شأنه وجلاله، وشكر الله تعالى على أنعمه، والعبادة هنا تفيد معنى الإخلاص لله تعالى في العبادة، والشكر على نعمه تعالى، على توفيقه له، فكما أنه يشكر على النِّعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يشكر ويثنى عليه، بالنعَم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نِعَم الدين، هي النِّعَم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، سلامة من آفة العجب، التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر (السعدي، ٢٠٠٢).



والدنـيا هي فعلى من الدنو أي القرب سميت بذلك لسبقها للأخرى، وقيل لدنوها إلى الزوال، واختلف في حقيقتها فقيل ما على الأرض من الهواء والجو، وقيل كل المخلوقات من الجواهر والأعراض (الشوكاني، د.ت، ١/ ١٦٤).

الحياة الدنيا في القرآن الكريم

أورد القـرآن الكـريم معانـي عميقة للحياة الدنيا، حيث وردت في اكثر من موضع، وتـضمنت تلـك النـصوص دلالات ذات أهمـية، في تعرية الحياة الدنيا من قشورها، وتحديد المهمة الخطرة للإنسان في رسالة الاستخلاف في الأرض، والعمل للآخرة، باعتبارها المستقبل المنشود في حياة المؤمن، ومقام التشريف.

وتـضمن القـرآن الكريم معاني عميقة في تعرية الحياة الدنيا، وكشف حقيقتها، ومن ذلـك أن القـرآن الكـريم يربي المؤمنين على عدم الخضوع للظالم والركون إليه، والتعلق بالله تعـالى وحكمة، لذلك فهو يبذل وقته وجهده وإمكانياته وخبراته وعمره كله، خدمة للرسالة الإيمانية، ومنهج الدعوة إلى الله تعالى، مؤمناً أن الحياة الدنيا فانية، وأن الأخر هي دار القرار، قـال تعـالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ (طـه: ٧٢)، إذ يخـبر النص القرآني هنا عن قول السحرة، إذ قالـت لفـرعون فـاصنع مـا أنـت صـانع، واعمـل بـنا ما بدا لك، إنـما تَقْضِي هَٰذِهِ الـحَيَاةَ الدُّنـيا، بمعنى إنـما تقدر أن تعذّبنا فـي هذه الـحياة الدنـيا التـي تفنى(الطبري، ١٩٨٤).

والدنـيا محـض فناء ولن تبقى لأحد، والكل سيمر عنها ذاهباً مودعاً، ولن يخلد فيها أحد، ولن تأخذ معك عند الموت ما خلفته فيها من مال وقصور وجاه وأولاد وغير ذلك من مـتاع الدنـيا الـزائل، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ (الـنجم: ٢٩)، ولـما كـان هـذا دأب هؤلاء المذكورين أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضـهم ومقـصودهم، مـا تهـواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره، الـذي هـو الذكـر الحكيم، والقـرآن العظـيم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة



الدنيا، فهذا منتهى إرادته (السعدي، ٢٠٠٢)، ويستفاد من النص، إن هناك كم لا بأس به، نسي هدفه في الحياة، والمهمة الخطيرة التي أوكلت به، ورسالة الاستخلاف في الأرض، فهام على وجهه، ملبياً متطلبات نفسه البهيمية، متخلياً عن كرامته الإنسانية، راكضاً فيها ركض الوحوش فيها، مع انه مهما ركض، فإنه لن يناله إلا ما كان مقسوماً له لا محالة.

وتحذرنا النصوص القرآنية من الركون إلى الدنيا ومغرياتها، والغيبوبة عن الهدف الأسمى في الحياة، الذي يتوجه بأداء الأمانة في الأرض وعمارة الكون، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٣٧-٤٦)، ويقصد بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اي تجاوز الحد في العِصيان،وقيل نزلت في النضْر وابنه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة، وروي عن يحيى بن أبي كثير قال: من أتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طَغى، وروى جُوَيبر عن الضحّاك قال حذيفة: أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يَرَوْن على ما يَعلَمون، ويروي أنه وجد في الكتب: إن الله جل ثناؤه قال «لا يؤْثِرُ عبدٌ لي دنياه على آخرته، إلا بثثت عليه همومه وضيعته، ثم لا أبالي في أيّها هلك، ومآله جهنم هي مأواه (القرطبي، ١٩٩٨)، ويستفاد من النص إن من اثر دنياه على اخرته، تشتت به حاله، وتشرذم، وانقلت يلهث لهث الكلاب، لا يشبعه شيء، وقد تجمعت عليه الهموم والآفات النفسية، والحيرة، والشعور بالضياع ومشاعر الفقر الحقيقي، حتى لو كان في قصور فاخرة، وسيارات فارهة، فكم من فقير يحيا حياة خشنة، وهو متألق بمشاعر الأغنياء والسكينة والثقة، وكل معاني السعادة بين عينية، رغم أن كل مقومات السعادة الدنيوية غير متوفرة لديه، وكم من غني في القصور أهلكته مشاعر الفقر، والتعاسة، رغم أن كل مقومات السعادة الدنيوية بين يديه.

وتؤكد النصوص القرآنية على أن العاقل الفطن، لا يمكن له لو اعمل عقله، بجدية، أن يركن على الدنيا ومتاعها الزائل، بل يسعى إلى أن يربح الدنيا والآخرة، في معادلة



واحدة، عندما يتوجه معتقدا وسلوكاً في طلب الآخرة، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٦-١٩)، والمعنى المستفاد من قوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل، على الآخرة، والآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل، لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة (السعدي، ٢٠٠٢)، ويستفاد من النص، انه لا يمكن أن يعي حقيقة الدنيا، إلا من آتاه نور البصيرة، وكان كيساً فطناً، تدبر حاله ودنياه، وأنها محض فناء ودار ابتلاء، فأيقن أن الدنيا ساعة فشغلها بالطاعة، ولم يوطن نفسه على نعيمها، ورسخ في نفسه مشاعر انه مسافر سفراً بعيدا، وان دار العمار هي ما بعد الموت، وان تلك البيوت سيودعها أهلها، وتصبح قاعاً صفصفا، وان الغنى والفقر ليس فيها، إنما بعد العرض على الله تعالى.

ويوجه القرآن المسلم الملتزم إلى أن لا ينشغل ويصرف عن وظيفته الأولى في الحياة، وهي العمارة الإيمانية والكونية في الحياة، فيبذل بتدفق جهده فيها، ولا ينشغل عنه، فلا يلهية جهد ضائع لا فائدة منه، أو تضيع للأوقات وقتل لها فيما لا يجدي نفعاً في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢)، يقول تعالى مكذبا لهم في قيلهم ذلك: ما الحَيَاةُ الدُّنْيا أيها الناس، إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ، فما باغي لذّات الحياة التي أدنيت لكم وقرّبت منكم في داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها والمتلذّذ بها والمنافس عليها، إلا في لعب ولهو لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذّذ فيها بملاذها، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها فتُمِرُّ عليه وتكدرُ كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا، فلا تغترّوا أيها الناس بها، فإن المغترّ بها عما قليل يندم، وللدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ للَّذِينَ يعملون بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقي منافعها لأهلها، ويدوم سرور أهلها فيها، خير من الدار التي تفني فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم،



فالدار الآخرة لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أي الذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه والمسارعة إلى رضاه، ومن هنا أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وهم يرون من يُخترم منهم ومن يهلك فيموت ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبه المصائب وتفجعه الفجائع؟ ففي ذلك لمن عقل مذكر ومزدجر عن الركون إليها واستعباد النفس لها، ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له بغير إشراك شيء سواه معه (الطبري، ١٩٨٤).

فالحياة الدنيا قصيرة، معبر لا مقر، ومنزل ترح لا منزل فرح، ولا يعي ذلك حق الوعي، إلا من التزم بالمنهج الرباني، الذي يعزز فيه تلك الحقائق، كمؤشر مهم على حقيقة الأيمان في الحياة الدنيا، قال القرطبي (١٩٩٨) وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ في قصر مدّتها كما قال أحدهم:

ألاَ إنما الدُّنيا كأحلامِ نائم
وما خيرُ عيشٍ لا يكونُ بدائم
تأمَّلْ إذا ما نلتَ بالأمس لَذَّةً
فأفنيتَها هل أنت إلاّ كحالمِ

وقال آخر:

فـأعملْ على مَهلٍ فإنك مَيِّت
وأكدح لنفسك أيُّها الإنسانُ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مَضَى
وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانا

وقيل أن معنى متاع الحياة الدنيا هو لعبٌ ولهوٌ؛ أي الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له، فهو بمنزلة اللعب واللهو، ونظر سليمان بن عبدالملك في المرآة فقال: أنا الملك الشاب؛ فقالت له جارية له:



أنتَ نِعْمَ المتاع لو كنتَ تَبْقَى
غير أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بَدَا لنا منكَ عيبٌ
كان في النّاس غير أنّك فَاني

وقيل: معنى اللعب واللهو هو الباطل والغرور، والمقصد بالآية تكذيب الكفّار في قولهم: إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا، واللعب معروف، والتِّلْعابة الكثير اللعب، والمَلْعَب مكان اللعب؛ ويقال: لَعِب يَلْعَب. واللّهو أيضاً معروف، وكل ما شَغَلك فقد ألهَاك، ولَهَوت من اللهو، وقيل: أصله الصَرف عن الشيء؛ من قولهم: لَهَيتُ عنه؛ و ليس من اللّهو واللّعب ما كان من أمور الآخرة. فإن حقيقة اللّعب ما لا ينتفع به واللّهو ما يُلتهى به، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما؛ وذمّ رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صَدَقها، ودار نجاة لمن فهِم عنها، ودار غِنىً لمن تزود منها. وقال محمود الورّاق:

لا تُتبِع الدُّنيا وأيامَها
ذماً وإنْ دارتْ بك الدائرةْ
من شرفِ الدُّنيا ومن فضلِها
أن بها تُستدركُ الآخِرةْ

وروى أبو عمر بن عبدالبر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: "الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ما كان فيها من ذكر الله أو أدّى إلى ذكر الله والعالم والمتعلم شريكان في الأجر وسائر الناسَ هَمَجٌ لا خير فيه". وأخرج الترمذي عن أبي هُريرة وقال: حديث حسن غريب. وروى عن النبي ﷺ أنه قال: "من هَوَان الدُّنيا على الله ألاَ يُعصَى إلا فيها ولا يُنالُ ما عنده إلا بتركها".



والدنيا مهما ازدهت بزخرفها ومتاعها ولهوها وزينتها، فهي فناء محض، ولا تشكل مفهوم الحياة الحقيقة بكل ما تعنيه الحياة من معنى، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، أي وما هذه الحياة الدنيا في الحقيقة إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة. ثم تزول سريعاً، وتنقضي جميعاً، ولم يحصل منها محبها، إلا على الندم والخسران، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها، في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها، كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذة، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، ويدل ذلك على إن الذين يعلمون لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين (السعدي، ٢٠٠٢).

ومن هنا ينبغي للمرء أن لا ينخدع بزخرف الدنيا الزائل، والموت يباغته في أية لحظة ولا يمهله، حيث يخلف كل شيء، ولا يبقى له إلا ما قدم بين يديه تعالى من أعمال مخالصة لله تعالى، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، فهذه الآية الكريمة، فيها التزهيد في الدنيا بفنائها، وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها، إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس، ما عملت في هذه الدار، من خير وشر (السعدي، ٢٠٠٢).

فالحياة الدنيا فانية لا محالة، والعاقل يستثمرها في طاعته تعالى، الدنيا ساعة، فأشغلها بالطاعة، وهي لهو ينقضي، وتبقى حسرته، فالمؤمن يتحسر على كل ساعة مضت في



الدنيا لم يذكر الله تعالى فيها، قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠)، فالحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى، فالحياة الدنيا لعِب باطل ولهو فرحٍ ثم ينقضي، وقال قتادة: لعب ولهواي أكل وشرب. وقيل: إنه على المعهود من أسمه؛ وقال مجاهد: كل لعب لهو، وقيل: الَّلعب ما رَغَّب في الدنيا، واللَّهو ما ألهى عن الآخرة؛ أي شَغل عنها. وقيل: اللعب الاقتناء، واللهو النساء، والزينة ما يتزين به؛ فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة، وكذلك من تزين في غير طاعة الله، ويقصد بالتفاخر أي يفخر بعضكم على بعض بها، وقيل بالخلقة والقوة، وقيل بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء، وفي صحيح مسلم عن النبيِّ ﷺ قال: إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحدْ، وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر في الأحسابْ وعادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال، في حين أن تكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة، قال بعضهم: اللعب هو كلعب الصبيان واللهو كلهو الفتيان والزينة كزينة النساء والتفاخر كتفاخر الأقران والتكاثر كتكاثر الدُّهقان، وقيل: المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء. وعن عليٍّ رضي الله عنه قال لعمّار: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح؛ فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المِسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال؛ والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها، ثم ضرب الله تعالى لها مثلاً بالزرع في غيث فقال: كَمَثَلِ مطر أَعْجَبَ الزرّاع، والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيماً كأن لم يكن (القرطبي، ١٩٩٨).



وقـوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (يونس: ٢٤) يفيد التـشبيه والتمثـيل، أي صـفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقلة خطرها والملاذ بها كماء؛ أي مـثل الماء النازل من السماء فاختلط بالأرض؛ فأخرج ألواناً من النبات مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ من الحبوب والـثمار والـبقول، وَٱلْأَنْعَـٰمُ مـن الكـلإ والـتبن والشعير، حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ حـسنها وَٱزَّيَّنَتْ بالحـبوب والـثمار والأزهـار؛ وَايقـن أَهْلُهَـآ، أَنَّهُـمْ قَٰدِرُونَ على حصادها والانـتفاع بهـا، أَتَٰهَـآ عذابنا، أو أمره تعالى بهلاكها،لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فكانت محصودة مقطوعة لا شـيء فـيها، كَأَن لَّمْ تكن عامرة؛ من غَنِي إذا أقام فيها وعمرَها، فهكذا كما يهلك هذا الزرع كذلك الدنيا (القرطبي، ١٩٩٨).

ووصـف الله القـوم الـضالون بـأنهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦)، وهنا جعل الله ترك الآخرة وأخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من أخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة ولا ينصرون لا في الدنـيا ولا في الآخـرة (الـثعالبي، د.ت)، وفسرها السعودي (د.ت) إي آثروا الحياة الدنيا واسـتبدلوها بالآخـرة واعرضـوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها، فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكـام الكـتاب مـن قـبلهم؛ إنمـا كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المـنافع الدنـية الدنـيوية، فـلا يخفـف عـنهم العذاب دنيويا كان أو أخرويا، ولا هـم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة أو جبرا، وفسرها الشوكاني (د.ت) بأنه إخبار من الله سبحانه بأن اليهود لا يـزالون في عـذاب موفـر لازم لهم بالجزية والصغار والذلة والمهانة فلا يخفف عنهم ذلك أبدا ما داموا ولا يوجد لهم ناصر يدفع عنهم، ولا يثبت لهم نصر في أنفسهم على عدوهم.

في حين إن المؤمن يبيع دنياه، مقابل الحظوة بالآخرة، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٧٤)، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا



بالآخرة أي الذين يبيعونها بها والمعنى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وعد له الأجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله علي إذ لم اكن معهم شهيدا وإنما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء كلمة الحق وإعزاز الدين(البيضاوي، ١٩٩٦، ٢/ ٢١٨).

والدنيا من الدنو، دنيئة، لا عبرة بزخرفها، مقابل ما فيها من البلوى، فنظامها قائم على الأخذ والألم، في حين نظام الأخرة قائم على العطاء، قال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (القصص: ٦١)، يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا، وما فيها من الزينة الدنيئة، والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم، كما قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وقال: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وقال رسول الله ﷺ "والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر ماذا يرجع إليه"، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي افلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، يقول تعالى: أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة، كمن هو كافر مكذب بلقاء الله ووعده ووعيده، فهو ممتع في الحياة الدنيا أياماً قلائل، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ من المعذبين (ابن كثير، ١٩٩٦).

فالدنيا متاع زائل، لا قيمة لها في حسابات العاقل، التي يوجه تلك الحسابات للآخرة، ورفع أرصدته فيها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ٢٣)، أي إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ثم إلينا مصيركم ومآلكم أي فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (ابن كثير، ١٩٩٦).

ولا قيمة لطواغيت الأرض، وما اتخذ إلهاً من دون الله من صنم أو درهم أو خميصة أو بشر، فهم لا يملكون نفعاً ولا ضرا، والأمر بيده تعالى، والدنيا متاع زائل، وكل ما فيها زائل، والآخرة حساب عسير، وعذاب اليم، لكل من اتخذ معبوداً أياً كان هذا المعبود من دونه تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٥)، وقال لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل، ثم يوم القيامة يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ ومن هنا فإن النصيحة مفاديها؛ فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه سيتبرأ من عابديه ويلعنهم، ومأواكم جميعاً العابدين والمعبودين النار، وليس أحد، ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع عنهم عقابه (السعدي، ٢٠٠٢).

ونعم الله ممتدة في الدنيا، ولكنها وبالاً على الكافر، لأنه لا يأخذها في ظل منهج الله تعالى من الشكر والرضى، بل يأخذها مستخطاً أو متبختراً على خلق الله، مسرفاً، ينفقها في الحرام، فتكون تبعة وحساب عليه يوم يلقى الله تعالى، في حين أن المؤمن يأخذها بالرضى والشكر لله تعالى، ويؤدي حق الله فيها، فلا تكون عليه تبعة وحساب يوم يلقى الله تعالى،



قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِن الرِّزْقِ إذ عيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك: زينة الله التي أخرج لعباده، وطيبات رزقه للذين صدّقوا الله ورسوله، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك في الدنيا، وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه، وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة، لا يشركهم في ذلك يومئذٍ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه، وبنحو الذي ما روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية الكريمة: إذ يقول شارك المسلمون الكفار في الطيِّبات، فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من خيار ثيابها، ونكحوا من صالح نسائها، وخلصوا بها يوم القيامة، وفي رواية أخرى يشارك المسلمون المشركين في الطيِّبات في الحياة الدنيا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء، وفي رواية ثالثة، قال: قال لمحمد ﷺ: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي للَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياة الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القيامةِ يقول: قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا، لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة في الدنيا لكلّ بني آدم، فجعلها الله خالصة لأوليائه في الآخرة (الطبري، ١٩٨٤).

وقصص الأنبياء فيها عبرة، تعري الدنيا، وإنها فناء محض، وتكشف أنوار الآخرة، وإنها دار الجزاء والخلود السرمدي قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨). يقول تعالى ذكره: وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم، وهم الملأ، زينة من متاع الدنيا وأثاثها، وأموالاً من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا. رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ



يقـول موسـى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك، فدعا عليهم بأن يطمس على أموالهم، وروي عن أبي العالية أن معنى ﴿ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ قال: اجعلها حجارة، (الطبري، ١٩٨٤).

ويـشير النص القرآني إلى أن الله يعطي المال والملك والذكاء والقوة لمن يحب ومن لا يحـب، فـتلك المقـومات، لا تـدل على محبة الله تعالى للعبد، ولكن العلم بالله والإقبال عليه، واستـشعار الأمـن والـسكينة ولـذة القـرب مـن الله تعـالى، لا يعطيها تعالى إلا لمن يحب من أصـفيائه، فـالله أعطاهـا لأنبيائه واتـباع الأنبـياء، وحرمها فرعون وقومه وكل من كان على نهجهم في الضلال والغواية، ومعنى ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: أي اطبع عليها ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ وهـذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضباً لله ولدينـه علـى فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ولهـذا اسـتجاب الله تعـالى لموسـى علـيه الـسلام فـيهم هـذه الدعـوة الـتي أمـن علـيها أخـوه هـارون فقـال تعـالى: ﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ (ابن كثير، ١٩٩٦).

ويحـذرنا الله تعـالى مـن مغبة الانسياق وراء الشهوات في الدنيا، وان تكون المسيطرة والفاعـل والناهـي في قلوبـنا، حيث تسيطر الغفلة والطبع عليه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (الـــنحل: ١٠٧)، أخـبر تعـالى عمـن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به، أنه قـد غـضب علـيه لعلمهـم بالإيمـان ثـم عدولهم عنه، وأن لهم عذابا عظيماً في الدار الآخرة، لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهـد الله قلـوبهم ويثبـتهم علـى الدين الحق، فطبع على قلوبهم، فهم لا يعقلون بها شيئاً



ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئاً فهم غافلون عما يراد بهم، ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بد ولا عجب أن من هذه صفته ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة (ابن كثير، ١٩٩٦).

والنص يخبر إلى أن هناك كثيرون، ممن سكنت الدنيا قلوبهم ولم تغادرهم، فكانوا في غاية الكفر، والتمادي، حيث ران الله على قلوبهم، وحجبهم عنه، والأصل هنا، أن لا تسكن الدنيا قلب المرء، بل يجب أن تكون بيده، حتى لا توصله إلى حد الطغيان والإفساد في الأرض، وتخرجه عن اصل طبيعته في الحياة، فعوضاً عن الشعور بالكرامة الإنسانية والرقي الإيماني، يغدو محض بهيمة تأكل وتشرب وتنام، ليس لها هدف سامي في الحياة، يتجاوز الدنيا إلى الآخرة، ويتعلق بمالك الكون، لا بمحض بشر لا يملكون نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا موتا ولا نشورا . قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ابراهيم: ٣)، وصف الله تعالى القوم الكافرين الضالين بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، أي يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا، ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهي اتباع الرسل ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة عائلة، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح (ابن كثير، ١٩٩٦).

وآيات الله تعالى الكونية والمسطورة في القرآن الكريم؛ تقتضي التفكر والتدبر، حتى يتحقق العبد من عظمته تعالى، ويستشعرها في قلبه ووعيه وسلوكه، ولكن الكافرون دوما في يقابلونها بالسخرية والاستخفاف والاستكبار، لذلك استحقوا عذابه تعالى الشديد، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الجاثية: ٣٥)، تصف الآيات الكريمة الكافرين بأنهم اتخذوا



آيات الله هزواً مع أنها موجبة للجد والاجتهاد، وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح، لذا غرتهم الحياة الدنيا بزخارفها ولذاتها وشهواتها، فاطمأنتم إليها، وعملتم لها، وتركتم العمل للدار الباقية، فاليوم لا يمهلون، ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، رب السماوات ورب الأرض رب العالمين(ابن كثير، ١٩٩٦).

وحال الكافرين دوما، ومن غفل عن الآخرة، هي استهلاك وقته في المغريات والشهوات والملهيات، والانصراف المطلق عن غاية وجوده في الحياة، والمهمة الراقية التي أوكلنا الله تعالى بها في الحياة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٥١)، فالقوم الكافرون قد أتخذوا الدين الذي أمرهم الله به سخرية ولعبا. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ قال: وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزءوا به اغترارا بالله، وَهكذا غَرَّتْهُمُ الحيَاةُ الدُّنْيا وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ أي في يوم القيامة ننساهم، نتركهم في العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له بأتعاب أبدانهم في طاعة الله (الطبري، ١٩٨٤).

وهنا يوجه القرآن الكريم، إلى أن يرفع المؤمن درجة إيمانه، ويعلي ميزانه في ذلك، حتى يثبت ويرسخ، فلا يكون عرضة للهزات الدنيوية، والضغوطات والإغراءات، فيكون كالشجرة الطيبة، التي لا تقتلعها الريح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ



فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ (النساء: ٩٤)، أي لا يحملنكم العرض الفاني القليل، على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى، وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له، إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى، وهي مضرة له؛ أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيباً للنفس، في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها (السعدي ،٢٠٠٢).

وفي نفس الصدد، يجب أن لا تعيق المؤمن إغراءات الدنيا عن أداء متطلبات مهمته الرسالية في الأرض، وواجب الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨)، أي ما لكم تخلفتم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، أرضاً منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة؟ ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة فقال ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، فكما قال رسول الله ﷺ: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع؟" وأشار بالسبابة انفرد بإخراجه مسلم. وروى عن أبي هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة" ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فالدنيا ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل. وقال الثوري عن الأعمش في الآية ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: كزاد الراكب، وقال عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة. قال: ائتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار، إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور(ابن كثير، ١٩٩٦).



ومن سمات الدنيا أنها دار ترح لا دار فرح، ومعبر لا مقر، ومن هنا فالعاقل الفطن، لا يختال فيها فرحاً، لأنها دار نظامها الفناء، ولن تبقى لأحد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ (الرعد: ٢٦)، وفرحوا الكفار بالحياة الدنيا فرحاً، أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة، وذلك لنقصان عقولهم وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا شيئاً حقير، يتمتع به قليلاً، ويفارق أهله وأصحابه، ويعقبهم ويلاً طويلاً (السعدي، ٢٠٠٢).

وأمثلة القرآن الكريم، غاية في الإبداع، في توصيف الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤)، وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها، ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتاً قصيراً، فإذا استكمل وتم، اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلىء القلب من همها وحزنها وحسرتها، فذلك ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج مما يأكل الناس كالحبوب والثمار ومما تأكل الأنعام كأنواع العشب، والكلأ المختلف الأصناف، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظراً عجيباً ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره.وظن أهلها أنهم قادرون عليها، بمعنى حصل معهم طمع بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه، فبينما هم في تلك الحالة ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا



﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء، كذلك نبين الآيات ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال، لقوم يعملون أفكارهم فيما ينفعهم، وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان، ولما ذكر الله حال الدنيا، وحاصل نعيمها، شوّق إلى الدار الباقية فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

ومن الأمثلة أيضا المضروبة في القرآن الكريم في وصف الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ (الكهف: ٤٥)، حيث شبهت الدنيا هنا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ إلى الأرض يقول: كمطر أنزلناه من السماء فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض فأَصْبَحَ هَشِيما أي أصبح نبات الأرض يابسا متفتتا تَذْرُوهُ الرّياحُ، فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حسُن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابسا تذروه الرياح، فاسدا، تنبو عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير (الطبري، ١٩٨٤).

وفي مجال التهوين من أمر الحياة الدنيا وشأنها، ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾ (محمد: ٣٦)، يقول تعالى تحقيراً لأمر الدنيا وتهويناً لشأنها ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ أي حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ أي هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئاً وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لإخوانكم الفقراء، ليعود نفع ذلك عليكم ويرجع ثوابه إليكم (ابن كثير، ١٩٩٦).



وفي تعرية الحياة الدنيا وكشف حقيقتها قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠)، يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا، وما هي عليه، ويبين غايتها، وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات عمرهم بلهو قلوبهم، وغفلتهم عن ذكر الله، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، تراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعُمَّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد شغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي، ويقصد بالزينة تزيُّنٌ في اللباس والطعام، والشراب والمراكب، والدور والقصور، والجاه وغير ذلك، والتفاخر هنا يفيد أن كل واحد من أهلها، يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، والمعنى المستفاد تكاثر في الأموال والأولاد أي كُلٌّ يريد أن يكون هو الكاثر لغيره، في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من مُحبِّي الدنيا، والمطمئنين إليها، بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبراً، ولم يجعلها مستقراً، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى دار كرامته، وإذا رأى من يكاثره، وينافسه في الأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة (السعدي، ٢٠٠٢).

وضرب الله تعالى للدنيا مثلاً، يعريها ويكشفها على حقيقتها، إذ شبهت بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا نظرهم وهممهم على الدنيا، جاءها من أمر الله، ما أتلفها، فهاجت ويبست، وعادت إلى حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رُؤِيَ لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها، زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر فأذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذُهِبَ به عنها، فرحل منها صفر اليدين، ولم يتزود منها سوى الكفن،

فتبّاً لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه، وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾، فحال الآخرة، لا يخلو من هذين الأمرين؛إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته، ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله؛ وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة العقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله عليه دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها، فهذا كله، مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: إلا متاع يتمتع به، وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به، ويطمئن إليه، إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور (السعدي، ٢٠٠٢).

وفي مجال التوصية السلوكية في أمر الحياة الدنيا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١)، والنص فيه توصية لسيدنا محمد ﷺ مفادها "لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزناً، فإنه لا بقاء لها. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾ أبلغ من لا تنظرنّ، لأن الذي يمدّ بصره، إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه" (القرطبي، ١٩٩٨).

ويؤكد القرآن في نصوصه، على أن الحياة الدنيا معبر وجسر للآخرة، وان دار القرار هي الآخرة لا محالة، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٩)، يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الآخرة وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال: ياقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا

قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل إما نعيم وإما جحيم (ابن كثير، ١٩٩٦).

ويختزل القرآن الكريم، حقيقة الحياة الدنيا، بأنها محض زخرف زائل، وهذه رمزية رائعة في التوصيف، قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف: ٣٤-٣٥).

والزخرف هنا الذهب؛ هذا ما نقل عن ابن عباس، وقيل انه ما يتخذه الناس في منازلهم من الأمتعة والأثاث، وقيل النقوش؛ وأصله الزينة، والمعنى فجعلنا لهم سُقُفاً وأبواباً وسرراً من فضة ومن ذهب؛ وكل ذلك ما هو إلا متاع زائل، وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ، بمعنى أن الجنة لمن أتقى وخاف، وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر". وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء". وفي الباب عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن غريب. وأنشد بعضهم:

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن
إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامةً
وقد شَبِعت فيها بطون البهائم

وقال آخر:

تمتّع من الأيام إن كنت حازما
فإنك فيها بين ناهٍ وآمِرِ
إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه
فما فاته منها فليس بضائر
فلا تزن الدنيا جناح بعوضة



ولا وزن رَقّ من جناح لطائر
فلم يرض بالدنيا ثواباً لمحسن
ولا رضي الدنيا عقاباً لكافر
(القرطبي، ١٩٩٨).

ومـا يعـد من تفاخر الناس بالمال والأولاد، لا يعد من الأرصدة الخالدة في الآخرة، إذا لم يـوجه في ضـوء مـنهجه تعـالى، قـال تعـالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهـف: ٤٦)، يقول تعالـى بأن مـا يفتخر به الناس من المال والبنون ويتكبرون به على الخلق، لهو مـما يتزين به فـي الـحياة الدنـيا الفانية، ولـيسا من عداد الآخرة والبـاقـيات، فكل هذا يفنى ولا يبقى لأهله منه خير واملا، الصَّالِـحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابـا (الطبري، ١٩٨٤).

ويعلمـنا القـرآن الكريم، بأن الأيمان الراسخ، والالتزام الجاد بالمنهج الرباني، يعطي المؤمن قـوة إيمانـية، وطاقة عالية، في عدم الركون للدنيا وشهواتها وشبهاتها، فلا يقعده ماله وأولاده وشـهواته عـن المـضي مجداً في طريق السالكين إلى الله، بل على العكس بحسن تنمية مالـه في ضـوء أمره تعالى، وتربية أولاده في ضوء منهجه تعالى، ويضع شهوته فيما يرضي الله تعـالى، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (آل عمـران: ١٤)، بمعنى زين للناس مـحبة ما يشتهون من النـساء والبـنـين وسـائر مـا عدّ. وإنـما أراد بذلك توبـيخ الـيهود الذين آثروا الدنـيا وحبّ الرياسة فـيها علـى اتبـاع مـحمد ﷺ بعد علـمهم بصدقه. وكان الـحسن يقول: من زَيّنها ما أحدٌ أشدّ لها ذما من خالقها (الطبري، ١٩٨٤).



ولا عبرة بمقاييس الحياة الدنيا، فالمال والقوة يعطيه الله تعالى لمن يحب ومن لا يحب، والأيمان والطاعة لا يعطه الله تعالى إلا لمن يحب، بمعنى يوفقه إليهما، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: ٥٥)، والنص فيه خطاب لسيدنا محمد ﷺ بأن لا تستحسن ما أعطيناهم ولا تمِل إليه فإنه استدراج. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾؛ والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا لأنهم منافقون، فهم ينفقون كارهين فيعذّبون بما ينفقون. ونصٌ القرآن في أن الله يريد أن يموتوا كافرين؛ سبق بذلك القضاء (القرطبي، ١٩٩٨).

وهنا مهما مضيت في مركب الغي والغفلة، والاغترار بمقاييس الدنيا الفانية، فإنك لا بد أن تقف في الحساب، وتواجه الحقيقة بكل مرارتها، بعد خسارة كل شئ في كل شئ، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٧٠)، فالمقصود من العباد، أن يخلصوا لله الدين، بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبذلوا مقدورهم في مرضاته ومحابه. وذلك متضمن لإقبال القلب على الله وتوجهه إليه، وكون سعي العبد نافعاً، وجداً، لا هزلاً، وإخلاصاً لوجه الله، لا رياء ولا سمعة، هذا هو الدين الحقيقي، الذي يقال له دين. فأما مَنْ زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينه لعباً ولهواً. بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله، فهو لعب. فهذا، أمر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتنظر حاله، ويحذر من أفعاله، ولا يغتر بتعويقه عمّا يقرب إلى الله، وذكَر به أي: ذكر بالقرآن، ما ينفع العباد، أمراً، وتفصيلاً، وتحسيناً له،



بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه، وبيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه، وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب وتجرؤه على علّام الغيوب، واستمراره على ذلك المرهوب. فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر، وتكف عن فعلها.وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: قبل أن تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق، لا قريب ولا صديق، ولا يتولاها من دون الله أحد، ولا يشفع لها شافع، وإن تفتدي بكل فداء، ولو بملء الأرض ذهباً لا يقبل ولا يفيد، لأن أولئك الموصوفون بما ذكر، أهلكوا وأيسوا من الخير، وذلك بما كسبت أيديهم، فجزاؤهم ماء حار، قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.

وعادة الضالون انهم يتجرأون على الله، وكأنهم يحكمون الكون، وهم أدوات لا عبرة فيها في الكون، لأن العبرة بالنفع، وهم فساد مطلق، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).والنص يشير إلى انه ليس الأمر مردوداً إليهم بشأن قسمة رحمته تعالى للعباد، بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً. وأشرفهم بيتاً، وأطهرهم أصلاً، ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله جلت عظمته: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قيل معناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضاً وهو راجع إلى الأول: ثم قال عز وجل: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم



مـن الأمـوال ومـتاع الحـياة الدنـيا، ثـم قـال سـبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي لـولا أن يعـتقد كـثير مـن الـناس الجهلـة أن إعطاءنـا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجـتمعوا علـى الكفـر لأجل المال لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ سلالم ودرجاً من فضة يصعدون عليها ولبيوتهم أبواباً أي أغلاقاً على أبوابهم ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ أي جميع ذلـك يكـون فـضة وَزُخـرُفاً أي وذهباً، فالحياة الدنيا هي محض ﴿وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي إنمـا ذلـك مـن الدنـيا الفانـية الـزائلة الحقيرة عند الله تعالى، أي يعجـل لهـم بحـسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة، وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح. وورد في حديث آخر لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماءٍ أسنده البغوي من رواية زكريا بـن مـنظور عـن أبـي حـازم عـن سـهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ فذكره. ورواه الطبرانـي من طريق زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً (ابن كثير، ١٩٩٦).

وبيت النبوة قدوة لنا في إيثار الآخرة على الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحـزاب: ٢٨)، هـذا أمـر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بـين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على مـا عـنده مـن ضـيق الحـال، ولهـن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عـنهنّ وأرضـاهن الله ورسـوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة (الطبري، ١٩٩٨٤).

والقـرآن الكـريم يخاطـب كل من كانت إرادته، مقصورة على الحياة الدنيا، بأنه من القـوم الـضالين الغـافين، لأنـه اسـقط حـسابات الآخـرة من حياته، وكل ما وضع طموحه



وهمته، يذهب عنه عند الموت، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥)، فالنص القرآني يخاطب هنا كل من كانت إرادته، مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، قد صرف رغبته، وسعيه، وعمله، في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته، شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان، يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال، أثر من آثار إرادته الدار الآخرة، ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها نعطيهم ما قسم لهم، في أم الكتاب من ثواب الدنيا، وهم لا ينقصون شيئاً، مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم، وهؤلاء وصفهم القرآن الكريم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ خالدين فيها أبداً، لا يُفتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب، وبطل واضمحل ما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان (السعدي، ٢٠٠٢).

والمنهج الرباني، يربي المؤمن على عدم الاغترار بالحياة الدنيا، وان يكون همه الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠).هذا حض منه تعالى لعباده، على الزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه. ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتاً قصيراً، متاعاً قاصراً، محشواً بالمنغصات، ممزوجاً بالغصص، ويتزين به زماناً يسيراً، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعاً، وينقضي جميعاً، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان، فما عند الله من النعيم المقيم، والعيش السليم؛ أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبداً، ومستمر سرمداً، ومن هنا أفلا تكون لكم عقول، بها تزنون أي الأمرين أولى بالإيثار، وأي الدارين

أحق للعمل لها. فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا، إلا لنقص في عقله.ولهذا نبه العقول على الموازنة، بين عاقبة مؤثر الدنيا، ومؤثر الآخرة فقال تعالى ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ بمعنى هل يستوي مؤمن، ساع للآخرة سعيها قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه، من غير شك، ولا ارتياب لأنه وعد من كريم، صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته، وجانب سخطه، كمن متعناه في الدنيا يأخذ فيها، ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأساً، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك، وهو يوم القيامة من المحضرين للحساب وقد علم أنه لم يقدم خيراً لنفسه، وإنما قدّم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء على الأعمال، فما ظنكم بما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، وما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار (السعدي، ٢٠٠٢).

وخطاب القرآن الكريم بشأن الحياة الدنيا والتحذير منها، يعم الجن والأنس، قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٠)، والنص القرآني يخاطب معشر الجن والإنس بأنه اتتهم الرسالات الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي، والخير والشر، والوعد والوعيد، وكما قال تعالى: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ بمعنى يعلمونكم أن النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك.فأقروا بذلك واعترفوا، بأنه ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزينتها، وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها، ورضوا بها، وألهتهم عن الآخرة، وقامت عليهم حجة الله، وعلم حينئذ، كل أحد، حتى هم بأنفسهم، عدل الله فيهم، ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ



﴿ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ ولكنهم وإن اشتركوا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره، تفاوتاً عظيماً، ولكل منهم درجات ما عملوا، بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم، ككثيره، ولا التابع كالمتبوع، ولا المرؤوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة، وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق، ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم، رضوا بما آتاهم مولاهم، وقنعوا بما حباهم (السعدي، ٢٠٠٢).

ووعد الله تعالى أولياءه بغنى القلب والسكينة والتحرر من أحزان الماضي، وهموم المستقبل، لتأييد الله تعالى لهم وتوفقه تعالى لهم، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٤)، يخبر الله تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم، بأنه لا خوف عليهم فيما يستقبلونه، مما أمامهم، من المخاوف والأهوال، ولا هم يحزنون على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال. وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم ذكرت الآيات وصفهم بأنهم الذين أمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فكل من كان مؤمناً تقياً، كان لله تعالى ولياً، لذلك كانت لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوىء الأخلاق، وأما في الآخرة، فأولها، البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وفي القبر، ما يبشر به من رضا الله تعالى، والنعيم المقيم، وفي الآخرة، تمام البشرى، بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم، فلا تبديل لكلماته تعالى، بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قدره



وقضاه، وذلك هو الفوز العظيم، لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب. وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى، والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده (السعدي، ٢٠٠٢).

وفي مجال تنشيط عباد الله تعالى المؤمنين للطاعة، وتطمينهم قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (فصلت: ٣١)، يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، ووصفتهم الآيات الكريمة بأنهم الذين اعترفوا، ونطقوا، ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فهؤلاء تتنزل عليهم الملائكة الكرام بمعنى يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار، أن لا يخافوا على ما يستقبل من أمرهم، وان لا ينتابهم الحزن على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ويبشرونهم بالجنة بأنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً، ويقولون لهم أيضاً مثبتين لهم، ومبشرين ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بمعنى يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عن الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها على الصراط، وفي الجنة، يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنِعْمَ عقبى الدار، ويقولوا لهم بأنه اعد وهيىء لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأيت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نُزُلٌ وضيافة من غفور يغفر لكم السيئات ورحيم بكم حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم، فبمغفرته، أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب (السعدي، ٢٠٠٢).



وفي مجال تأييد الله تعالى لعبده المؤمن في الحياة الدنيا والقبر والآخرة، قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (ابراهيم: ٢٧)، يخبر تعالى: أنه يثبت عباده المؤمنين أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات، بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت، بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت "من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟" هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: "الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي" ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية، دلالة على فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ، في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه (السعدي، ٢٠٠٢).

ويعلمنا القرآن أن التمرد على الله تعالى، نتيجته الذل في الحياة الدنيا والآخرة، والعذاب الأليم الشديد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، فيخبر النص القرآني عن الذين اتخذوا العجل إلهاً، بأنه سينالهم غضب وذلة في الحياة الدنيا كما اغضبوا ربهم واستهانوا بأمره، والنص قياس عام على كل مفتر على الله كاذب على شرعه، متقول عليه ما لم يقل، فإن له نصيباً من الغضب من الله، والذل في الحياة الدنيا، وقد نالهم غضب الله، حيث أمرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانجلت المعركة عن كثير من القتلى، ثم تاب الله عليهم بعد ذلك، ولهذا ذكر حكماً عاماً يدخلون فيه هم وغيرهم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.



والعاقل الفطن في الحياة الدنيا، يتزود منها لأخرته، فينفق الطيبات فيها في طاعته تعالى، ويستثمر وقته ابتغاء مرضاته تعالى، قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، والنص القرآني يخبر عن دعاء موسى عليه السلام وما فيه من التضرع إلى الله والتبتل، حيث دعا إلى توفيقهم للأعمال الصالحة التي تكتب لنا بها الحسنات، وان يؤتيهم في الدنيا حسنة من العلم النافع والرزق الواسع والعمل الصلاح وفي الآخرة يقصد بالحسنة ما اعد الله تعالى لأوليائه الصالحين من الثواب، إنا رجعنا مقرين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا، فقال تعالى بأن عذابي أصيب به كل من كان شقياً متعرضاً لأسبابه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمعنى اللذين يتقون المعاصي ويؤدون الزكاة الواجبه لمستحقيها ومن تمام الأيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، في أصول الدين وفروعه (السعدي، ٢٠٠٢).

والطاعة تقتضي المجاهدة، والمعصية وزينة الحياة الدنيا من المتاع والشهوات، مهيأة مفتوحة أبوابها، لا تحتاج كلفة، وهنا التمحيص ويتبين المؤمن من العاصي، قال تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨)، فهنا يأمر تعالى نبيه محمداً ﷺ، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العبّاد المنيبين؛ الذين يدعون ربهم أول النهار

وآخره؛ يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر، بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم؛ وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى، ويتوجه الأمر أيضاً بأن لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك، فمن كانت إرادته موجهة للحياة الدنيا، فإن مسعاه هذا؛ ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية. فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها وتزول من القلب، الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا، تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويُقْبِل على اللذات والشهوات فيضيع وقته، وينفرط أمرَه، فيخسر الخسارة الأبدية، والندامة السرمدية، ومن يتوجه النص القرآني على عدم طاعة من غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره، وصار تبعاً لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، وكانت مصالح دينه ودنياه؛ ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به. ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماماً للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، واتبع مراضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه. فحقيق بذلك، أن يتبع ويجعل إماماً، والصبر، المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه يتم باقي الأقسام، وفي الآية، استحباب الذكر والدعاء والعبادة طَرَفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه (السعدي، ٢٠٠٢).

واليوم الآخر يوم عظيمة أهواله، مقاييسه في المكان والزمان مختلفة عن الحياة الدنيا، وهو قائم على المحاسبة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ



﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣)، فهنا يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي: امتثال أوامره، وترك زواجره. ويستلفتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد، الذي فيه كل أحد، لا يهمه إلا نفسه، وكما قال تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾، حيث لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه، فلفت النظر في النص الكريم لهذا اليوم المهول، مما يقوي العبد، ويسهّل عليه تقوى الله. وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزجرهم عنه بالمواعظ والمخوفات، فهذا الوعد حق؛ فلا تمتروا فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق، فلهذا لا تغرنكم الحياة الدنيا بزينتها وزخارفها، وما فيها من الفتن والمحن، ولا يغرنكم بالله الغرور الذي هو الشيطان، ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات. فإن لله على عباده حقاً، وقد وعدهم موعداً يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه، أم قصروا فيه. وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته التي يسعى إليها، ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا الفتانة، والشيطان الموسوس المُسَوِّل. فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور، لأنه كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (السعدي، ٢٠٠٢).

ويؤكد القرآن الكريم، على عدم الاغترار بالحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ (فاطر: ٥).هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد إيضاح الدليل على صحة قوله: إن البعث والثواب والعقاب حق، وغرور الدنيا هنا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة، حتى يقول: يا ليتني قدّمت لحياتي، والغرور هو الشيطان، وقال سعيد بن جبير، الغرور بالله أن يعمل الإنسان بالمعاصي ثم يتمنّى على الله المغفرة، وقيل الشيطان أي لا يغرّنكم بوساوسه في أنه يتجاوز عنكم لفضلكم. وقيل الغرور هو الباطل؛ أي لا يغرّنكم الباطل. وقال ابن السكيت: والغُرور (بالضم) ما اغترّ به من متاع الدنيا (القرطبي، ١٩٩٨).



وأعمال الكافرين تمضي، ولكن تبقى منغصاتها وما فيها من تبعة ثقيلة وحساب شديد، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٦)، وفي هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد، وثمود، فأما عاد فكانوا مع كفرهم بالله، وجحودهم بآيات الله، وكفرهم برسله؛ مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم، قال تعالى رداً عليهم، بما يعرفه كل أحد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا، فلو نظروا إلى هذه الحال نظراً صحيحاً، لم يغتروا بقوتهم. فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها، فأرسل الله عليهم ريحاً عظيمة، من قوّتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف. فسخرها الله عليهم، في أيام نحسات، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.وقال تعالى هنا ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الذي اختزوا به وافتضحوا بين الخليقة، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا يمنعون من عذاب الله، ولا ينفعون أنفسهم (السعدي، ٢٠٠٢).

وسنن الله تعالى، اقتضت أن ينال الكافر والضال والعاصي والمتلفت، الألم والشدة والمحنة والرزية والذل في الحياة الدنيا والآخرة، وليس العبرة بظاهر ما هم عليه في الحياة الدنيا، بل بواقع ذواتهم الداخلية التي تعتريها الأزمات النفسية والتشتت والتشرذم، قال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٤)، بمعنى بل زين للذين كفروا مكرهم وهو كفرهم، وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله، وصدهم عن سبيل الله تعالى، أي صد عباده عن الطريق المستقيمة، الموصلة إلى الله، وإلى



دار كرامته، ويتوعد الله تعالى هنا الصادين عن سبيله، بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ لأنه ليس لأحد من الأمر شيء، وهؤلاء لهم عذاب في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا، لشدته ودوامه، وما لهم من الله من يقيهم من عذابه، فعذابه إذا وجهه إليهم، لا مانع منه (السعدي، ٢٠٠٢).

الحياة الدنيا في السنة النبوية وأقوال العلماء

حفلت نصوص السنة الشريفة بتعرية الحياة الدنيا عن قشورها، وبيان حقيقتها، ومهمة الإنسان الخطيرة في الحياة، في الاستخلاف في الأرض، وان الدنيا مسخرة لتلك الغاية، مما ينبغي على الكيس الفطن، أن لا يضيع عمره في اللهو اللعب، فينصرف عن اصل غايته في الحياة الدنيا، فيغرق في وحل الشهوات وظلمات الجهل عن نور الحقيقة، في العمل وتشمير السواعد للآخرة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا" (مسلم، د.ت، ١/ ١١٠).

وافرد الأمام مسلم باب كراهة الحرص على الدنيا، وارد حديثاً عن أبي هريرة ﷺ يبلغ به النبي ﷺ قال: "قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش والمال" (مسلم، د.ت، ٢/ ٧٢٤)، وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يهرم بن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر" (مسلم، د.ت، ٢/ ٧٢٤)، وفي رواية الأمام البخاري عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا و طول الأمل" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

ومن ابرز معالم الحرص على الآخرة، الالتزام بالطاعات، واستثمار الدنيا، لرفع الرصيد الأخروي يوم لقاءه تعالى، ومن ذلك المحافظة على الصلوات، ومن ذلك الحرص على صلاة الفجر، ومجاهدة النفس في ذلك، عن عائشة عن النبي ﷺ قال "ركعتا الفجر خير من الدنيا و ما فيها" (مسلم، د.ت،١/ ٥٠١).



وأبرزت السنة النبوية أن الدنيا دار كدح والم ونصب، وأنها فناء محض، واستظلالة تحت شجرة، عما قريب يغادرها أهلها، عن أبي قتادة بن ربعي ﷺ أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال "مستريح ومستراح منه قالوا يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" (مسلم، د.ت، ٢/ ٦٥٦)، وفي رواية الأمام البخاري عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري ﷺ أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: "مستريح ومستراح منه قالوا يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه قال العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا أذاها إلى رحمة الله والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٨٨).

وحذرت السنة النبوية من الانشغال بالدنيا، والركون إلى زخرفها الزائل، فيصرف المرء عن اصل غايته، ومن اصل الغاية التزام شرع الله تعالى، وعدم الخروج عن منهجه تعالى في السلوك والكسب، عن عبد الله بن سعد انه سمع أبا سعيد الخدري ﷺ يقول: "قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، قال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر، فصمت رسول الله ﷺ ساعة، ثم قال: كيف قلت، قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر، فقال له رسول الله ﷺ: إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو، إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر اختلفا حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثلطت أو بالت ثم اجترت فعادت فأكلت، فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع (مسلم، د.ت، ٢/ ٧٢٧)، وفي رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض ثم ذكر زهرة الدنيا بدأ بإحداهما وثني بالأخرى فقام رجل فقال يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر فسكت عنه النبي ﷺ قلنا يوحى إليه وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء فقال أين السائل آنفا أو خير هو ثلاثا إن الخير لا يأتي إلا بالخير وإنه كل ما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر كلما اختلفا حتى إذا امتلأت



خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه كلاهما يوم القيامة (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٤٥).

والدنيا متاع، وخير متاعها هو المرأة الصالحة التي تعين زوجها على طلب الآخرة، وعن عبد الله بن عمروﷺ أن رسول الله ﷺقال: 'الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة (مسلم، د.ت، ٢/ ١٠٩٠).

والعمل الصالح سفينة النجاة لصاحبه، ورصيدا له في الآخرة، فكل ما في الدنيا يذهب، ولا يبقى إلا ما رصدته لأخرتك، فكل ما تتركه عند الموت لا عبرة فيه، وما تأخذه معك بعد الموت، هو الخير الذي تنتفع به، فمما يرويه حذيفة ﷺ أن هناك رجل لقي ربه فقال: 'ما عملت، قال: ما عملت من الخير إلا أني كنت رجلا ذا مال، فكنت أطالب به الناس، فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور، فقال تجاوزوا عن عبدي' قال أبو مسعود ﷺ: هكذا سمعت رسول الله ﷺ وفي رواية أخرى عن حذيفة عن النبي ﷺ أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل قال: فإما ذكر وإما ذكر فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد فغفر له، وفي رواية أخرى عن أبي مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ 'حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه (مسلم، د.ت، ٣/ ١١٩٥).

وهناك مكانة للشهيد في الحسابات الأخروية، لأنه يوم يغادر الدنيا، يجد عظم الشهادة في عالم الآخرة، فيتمنى أن يرجع للدنيا، لا حباً في لهوها ولعبها وعبثها، بل في أن يرصد منها، أرصدة عالية في ميزان الشهادة في سبيل الله تعالى، فعن قتادة قال سمعت أنس بن مالك ﷺ يحدث عن النبي ﷺ قال 'ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا أن له ما على الأرض من الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (مسلم، د.ت، ٣/١٤٩٨)، وفي رواية الأمام البخاري عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: 'ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا له ما على الأرض من



شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا يقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٣٧).

وميزان الأعمال في الدنيا، درجاته متفاوتة، في الأجر والمثوبة، ويعد من اعظم الأعمال الجهاد في سبيل الله تعالى، فالقدم التي تغبر في سبيل الله، لها اجر عظيم، ومما يبقى أثره يوم لقائه تعالى، وعن أنس بن مالك ﷺ، قال قال رسول الله ﷺ: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها" (مسلم، د.ت، ٣/ ١٤٩٩)، وفي رواية البخاري في هذا الصدد، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٢٨)، وفي هذا الصدد أيضاً ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا ما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا ما عليها (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٥٩)، وعن عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ما فيها (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١١٨٧)، وفي رواية أخرى عن سهل ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها" (البخاري ،١٩٨٧، / ٢٣٥٨).

ويحذرنا النبي ﷺ من التكالب على الدنيا، والركض فيها ركض الوحوش، لأن الأصل أن نفر إلى الله تعالى، وننشغل بأمره، لا أن يشغلنا متاع الدنيا الزائل، ونظام الدنيا قائم على التحزبات والتكتلات والخلافات والصراعات، فكل يتربص بأخيه، حيث يفخخ الشيطان بين الأخوة والجمع الواحد، ويحرش بينهم، فيكون بينهم التنافس المذموم على متاع زائل لا عبرة فيه، لأننا لا نأخذه معنا بعد الموت، فيقتل الأخ أخيه، ويكون بأس المسلمين بينهم، فيكونوا لقمة سائغة للأمم الطاغية، كما هو حالنا في واقعنا المعاصر، فعن عقبة بن عامر قال: "صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين آيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا، تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما



هلك من كان قبلكم قال عقبة فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر (مسلم، د.ت، ٤/ ١٧٩٦).

وفي مجال التحذير أيضاً من التكالب على الدنيا، حيث يكون بأس المسلمين فيما بينهم، من اجل متاع الدنيا الزائل، ما رواه عبد الله بن الحارث بن نوفل قال كنت واقفا مع أبي بن كعب ﷺ فقال لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا، قلت أجل: قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول: من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٢٠).

ومن مظاهر تحذير السنة من تكالب الدنيا، ما روي عن عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف وهو حليف بنى عامر بن لؤي ﷺ وكان شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أخبره ثم أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح ﷺ إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ﷺ فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٣)، وفي رواية البخاري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمر بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي ﷺ وكان شهد بدرا أخبره ثم أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح ﷺ إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ﷺ فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين راهم وقال أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة ﷺ قد جاء بشيء قالوا أجل يا رسول الله ﷺ قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله

لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا ما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١١٥٢).

وفي تتبع السيرة النبوية، ونماذج القدوة في التربية والسلوك، وفي مقدمتهم سيدنا محمد ﷺ، يلمح البحاثة كيفية تربية النبي ﷺ لأتباعه، على العمل المستقبلي، وتكثيف الجهود له، وبذل الغالي من اجله، وتعمير الوقت بالعمل الجاد له، والمستقبل هو الآخرة، والدنيا جسر لها، فالأحرى بالمرء، أن يجتهد ما أمكن، لينال مستقبله الأخروي، في مستوى مرتفع من الأرصدة الخالدة، حيث مالا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر، فعن أنس ﷺ أن رجلا سأل النبي ﷺ غنما بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا ما عليها (مسلم، د.ت، ٤/ ١٨٠٦).

وحثت السنة الشريفة على التراحم في الحياة الدنيا، بنية صادقة لله تعالى، بحيث ترتقى الذات الإنسانية، في سلوكها الحضاري، وتحفظ ذاتها من الإفساد في الأرض، والإفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته، والتعذيب شكل من أشكال الإفساد في الأرض، وقد توعد الله تعالى من يمارسونه بالعذاب الشديد يوم لقائه تعالى، وقد افرد الأمام مسلم باباً عنوانه الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق عن حكيم بن حزام ﷺ قال ثم مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما هذا قيل يعذبون في الخراج فقال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يعذب الذين يعذبون في الدنيا (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠١٧).

ومن أشكال التراحم بين الناس في الحياة الدنيا، تنفيس الكرب، والتيسير على المعسر، وخدمة الخلق، ونشر العلم، وحضور مجالس العلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : مَن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا الآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله



ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٧٤)، وفي رواية أخرى لدى الإمام البخاري، عن بن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ قال "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" (البخاري، ١٩٨٧، ٢/ ٨٦٢).

ونظام الدنيا قائم على الاغراءات، في طريق السالكين إلى الله، فهنا يجب أن يكون مستوى الشحن الإيماني مرتفع لدى المؤمن، بحيث يعي حقيقة الدنيا، وأنها غرور زائل، ومحض فناء، وأنها دار تكليف لا تشريف، ويشير النص إلى ما يفسد طريق السالكين إلى الله، ويدمر الأعمال الصالحة، فلا يمكن أن يلتقي الالتزام في ضوء علاقات مشبوهة مع النساء، وكسب حرام، فمن تحرر من هاتين الأفتين، فقد سلم ثلثا دينه، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدنيا اتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء، وفي حديث بن بشار لينظر كيف تعملون (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٩٨).

وتؤكد السنة الشريفة على أن لا مجال لقياس الدنيا على الآخرة، ولا يقاس نعيم الآخرة، بأقصى نعيم الدنيا الفاني الزائل القائم على التنافس والأحقاد والأنانية والمصالح، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيرا قط، هل مر بك نعيم قط، فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط، هل مر بك شدة قط، فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢)، وفي رواية أخرى للإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٩٤).



وتشير السنة النبوية، إلى مساحات الفتن التي تنزل بالدنيا في آخر الزمان، حتى يتمنى المرء الموت على الحياة، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٣١).

والدنيا قائمة على التكليف، وفي المفردة، معنى الكلفة والجهد، إذ تقوم الطاعة على مجاهدة النفس، ولكن يعقبها لذة دائمة، والمعصية قائمة على استهواء الطبع، وهوى النفس، ولكن يعقبها غصة وتبعة وحساب، فعن أبي هريرة ﷺقال قال رسول الله ﷺ "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" البلاء (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٢).

وتشير السنة النبوية إلى أن مال المرء هو ما يحمله معه بعد الموت، من الصدقات والعمل الصالح الذي يدر عليه أجراً بعد موته، أما ما هو متعارف مما يعد من المال في البيوت الواسعة والبساتين الغناء والثياب الفاخرة والمراكب الأنيقة والدنيا المزخرفة، فهو لمن تخلفهم بعدك في الدنيا، وهكذا تواليك، فالمال هو ما ادخرته في أرصدتك الأخروية، لا ما أنفقته على دنياك الفانية، أو خلفته لورثتك، فعن مطرف عن أبيه ﷺ قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال يقول: ابن آدم مالي مالي، قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما اختلفا فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت البلاء" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٣).

ومن النصوص أيضاً في حقيقة المال في الحياة الدنيا، ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "يقول العبد مالي مالي إنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٣).

ومن هنا فإن العبرة، فيما يحمله المرء معه بعد موته، وما عدا ذلك فهو زخرف فاني، فعن عبد الله بن أبي بكر قال سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ ثم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٣).



ونموذج الأسوة النبي ﷺ لم تكن الدنيا دار مستقر عنده، بلا استظلالة تحت شجرة، عما قريب مفارقها، فكان أسوة لنا، في عدم إثقال الذات بمتاعها الفاني، والانشغال به، عن المهمة الخطيرة التي أوكلت للفرد، بالدعوة إلى الله تعالى، وليس الفقر والغنى في الدنيا، إنما بعد العرض على الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ قال والذي نفسي بيده، ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٨٤).

ومن كلمات الأوائل في تعرية الدنيا، وكشف حقيقتها، وان العبرة بالآخرة، وضرورة الأعداد لها حتى يدفع عذاب جهنم الأليم، وأهمية التواضع لله تعالى، وعدم الاعتداد بالذات، ما ذكره خالد بن عمير العدوي قال: "خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه" قال أما بعد فإن الدنيا، آذنت بصرم وولت حذاء ،ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، ووالله لتملأن أفعجبتم، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ينوي الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكا فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٢٧٨).

وجيل الصحابة كان يدرك قدر الدنيا، وقدر الآخرة، فكان يحاسب نفسه، قبل أن يحاسب، ويهيأ نفسه للعرض الأكبر بين يدي الله تعالى، إذ يروي إبراهيم بن سعد عن سعد عن أبيه قال أتي عبد الرحمن بن عوف ﷺ يوما بطعامه فقال: "قتل مصعب بن عمير ﷺ وكان خيرا مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ٤٢٨).



ومن ذلك أيضاً انهم كانوا يسارعون في الطريق إلى الآخرة بالعمل الصالح، ويتسابقون عليه، فعن عمرو سمع جابر بن عبد الله ﷺ قال "قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا قال: في الجنة فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل" (البخاري، ١٩٨٧، ٤/١٤٨٧).

وميزان النبوة في مقام الدنيا، قائم على التوازن، بين الحقوق والواجبات، واعطاء كل ذي حق حقه، فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال آخى النبي ﷺ بين سلمان ﷺ وأبي الدرداء ﷺ فزار سلمان ﷺ أبا الدرداء ﷺ، فرأى أم الدرداء ﷺ متبذلة، فقال لها: ما شأنك قالت: أخوك أبو الدرداء ﷺ ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ صدق سلمان" (البخاري، ١٩٨٧، ٢/ ٦٩٤).

وبينت السنة النبوية عظم رحمة الله تعالى بالمؤمن يوم لقائه، وتجاوزه عن سيئاته، فعن صفوان بن محرز المازني قال "بينما أنا أمشي مع ابن عمر ﷺ عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال سترتها عليك في الدنيا أنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين" (البخاري، ١٩٨٧، ٢/ ٨٦٢)، وفي رواية أخرى عن ابن عمر ﷺ يطوف إذ عرض رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أو قال يا ابن عمر ﷺ سمعت النبي ﷺ في النجوى فقال سمعت النبي ﷺ يقول: يدنى المؤمن من ربه وقال هشام: يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول أعرف يقول رب أعرف مرتين فيقول سترتها في الدنيا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو



الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ١٧٢٥).

وسنة الله تعالى في الدنيا، الرفع والوضع، فهي لا تدوم لأحد، وهذا من قوانين الحياة الحتمية، حيث يعطي الله الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، فكم جاءت سير الماضين بأغنياء افتقروا بين ليلة وضحاها، وفقراء اغتنوا في لمح البصر وذوي سلطان نزع السلطان عنهم في لحظة، فعن أنس ﷺ قال كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء لا تسبق قال حميد أو لا تكاد تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٥٣).

وحثت السنة النبوية، المؤمنين على الاعتصام بحبل الله المتين، والتحصن به على الدوام، والاستجارة به، من الملمات في الدنيا، من هم وحزن وبخل، أو ما يعتري العمر في كبره من الوهن والخرف، وفتن أخر الزمان، وعذاب القبر، فعن مروان بن ميمون الأودي قال كان سعد ﷺ يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر فحدثت به مصعبا فصدقه (البخاري، ١٩٨٧، ٣/ ١٠٣٨).

وتؤكد السنة النبوية على عدم إيثار الدنيا على الآخرة، والانشغال بالتنافس فيها، فمن زهد في الدنيا احبه الله، ومن زهد فيما في أيدي الناس احبه الناس، فعن عقبة بن عامر ﷺ قال صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ١٤٨٦).

وحث النبي ﷺ على حسن العمل في الدنيا، والتزود للآخرة، من خلال الدعاء والتبتل بين يديه تعالى، فعن أنس ﷺ قال كان النبي ﷺ يقول اللهم ربنا آتنا في الدنيا سنة وفي



الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ١٦٤٤)، وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال كان أكثر دعاء النبي ﷺ اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٤٧).

والعمل الصالح في الدنيا، يترجم نورا ورحمة على صاحبه، بحول الله تعالى وقوته، ومن ذلك ما روي عن البراء ﷺ أن النبي ﷺ قال: المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف محمدا رسول الله ﷺ في قبره فذلك قول الله جل وعلا ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ (ابن حبان، ١٩٩٣، ١/ ٤٣٦).

والنبي ﷺ يعد قدوة المسلمين في كل زمان ومكان، في التخفف من الدنيا، وعدم الركون إليها، والتنعم فيها، لأن دار عمل لا تشريف، والغفلة تقود المرء إلى أن يوطن نفسه فيها، فتغدو كل شئ في حياته، حتى إذا لقي الله لم يجد من العمل الصالح ما يعينه يوم لقائه تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ أنه ثم مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا لم يشبع من خبز الشعير (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٠٦٦).

وافرد الأمام البخاري باباً بعنوان قول النبي ﷺ هذا الدنيا خضرة حلوة وقال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا قال عمر: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٥)، وفي هذه العنونة لفتة جميلة في إبراز حقيقة الدنيا، وملهياتها، التي يجب أن لا ينحرف المرء بها بعيداً عن مسار الآخرة، بل يوظفها في طريقه إلى الله تعالى، حتى يكونوا عوناً له على الآخرة لا وبالاً عليه.

والدنيا متاع زائل، ليس لك منها إلا ما رصدته للآخرة، من العمل الصالح فحسب، فعن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ: "يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٨٨).



وتتبع نماذج الأسوة في جيل السيرة النبوية، يبرز لنا حجم التعلق بالآخرة، وعملهم بمقتضى حساباتها، لا معادلة الدنيا في الحياة، بما تقتضي الأسى والحسرة على متاعها الزائل، وتلك التربية الفريدة في نوعها، تلقوه من النموذج الأول في الأسوة، سيدنا محمد ﷺ، الذي ربى صحابته، على حسن العمار للآخرة، وتقدير المهمة الخطرة التي هم فيها في الدنيا، والتطلع إلى ما عند الله تعالى، لا متاع الدنيا الزائل القائم على نظام الفناء لا محالة، فعن أنس ﷺ أن أم حارثة ﷺ أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر أصابه غرب سهم فقالت: يا رسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع، فقال لها: أهبلت أجنة واحدة هي، إنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى، وقال: غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها الدنيا (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٤٠١).

وهنا لفتة جميلة من الأمام ابن خزيمة، في عنونته لباب الأمر بالخشوع في الصلاة ،إذ المصلي يناجي ربه، والمناجي ربه يجب عليه أن يخلو قلبه لمناجاة خالقه عز وجل، ولا يشغل قلبه التعلق بشيء من أمور الدنيا، يشغله عن مناجاة خالقه (ابن خزيمة، ١٩٧٠، ١/ ٢٤١).

وأمة الإسلام تتميز بتصورها الفريد للدنيا والآخرة، الذي لا يقاس على أعراف الدنيا، وملكها، ومتاعها، وما بسط فيها، إنما يقاس على حسن التعبد لله تعالى، وترك زخرفها الفاني، والعمل بمقتضى الأمانة، في الأرض، وهذا ما علم النبي ﷺ أصحابه، ففيما يرويه عمر بن الخطاب ﷺ قلت يا رسول الله ﷺ: ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أو في شك أنت يا بن الخطاب أولئك قوم عجلت لم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي (البخاري، د.ت، ٢/ ٨٧٣).



ويـوب الأمـام الـبخاري في صحيحه باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عـيش الآخرة، فعن ابن عباس ﷺ قال قال النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٧).

وفي هذا التبويب لفتة دعوية رائعة، بأن يستثمر العمر بكنوزه من الصحة والفراغ في طاعـة الله تعـالى، لا تضيعهما بما يجعل تجارتك خاسرة بين يدي الله تعالى، وتبرز العنونة هنا أن الحـياة الحقيقـية، لـيس في التكالب على الدنيا، أو الحسرة على ما فات فيها، بل في الحياة الحقيقـية بكـل المقاييس في الآخرة بالنسبة للمؤمن، حيث يجزى برحمة الله تعالى وعطائه ما لا عـين رأت ولا خطـر علـى قلـب بشر، وله الحسنى وزيادة برؤية الله عزَّ وجل، وهي النعمة العظمـى الـتي لا يـضاهيها نعمـة في الجـنة، وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اللـهم لا عـيش إلا عـيش الآخـرة، فأصـلح الأنـصار والمهاجـرين" (الـبخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٧)، وفي روايـة أخرى عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ "كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهـو يحفـر ونحـن نـنقل الـتراب وبـصر بـنا فقـال: "اللـهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرين" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٧).

وتكـشف لنا السنة النبوية عن حقيقة الدنيا، بأنها قصيرة، تقتضي من المسلم الملتزم، أن يحـيا فيها كعابر سبيل، فلا يركن إليها، ولا يوطن نفسه فيها، ويهيأ نفسه للرحيل، ويتفكر بالمـوت، لأنه عما قريب، مغادرها لا محالة، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال ثم أخذ رسول الله ﷺ بمـنكبي فقـال: "كـن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فـلا وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٨). وفي روايـة أخرى عن عبد الله ﷺ قال: "خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطـا في الوسـط خارجـا منه وخط خططا صغار إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسـط وقـال هـذا الإنـسان وهـذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهـذه الخطـط الـصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا، وفي روايـة انـس ﷺ قـال "خـط الـنبي ﷺ خطوطا فقال هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٩).



ومـن هـنا يجب أن ينتبه المرء، عندما تمضي به الحياة، ويقطع من أشواطها، فمن بلغ الأربعـين، فقـد جـاءه النذير، ويجب أن يغلب خيره شره، ودخل في أسواق الآخرة، فأعمار أمـة محمـد بين الستين والسبعين، فما بالنا لو بلغ المسلم الستين، فقد نضج، في عمره، فيجب أن يعـي الحقـيقة، مـشرقة بـلا كـدر، انـه لابد أن يهيأ نفسه للرحيل، والعرض بين يدي الله تعـالى، فعـن أبـي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

وافـرد الأمـام البخاري باباً عنوانه "العمل الذي يبتغي به وجه الله فيه سعد" وفي تلك العـنونة إشـارة جمـيلة، لسر السعادة في الحياة الدنيا، التي تكون نابعة من طاعته تعالى وابتغاء وجهـه الكـريم، وذكـر في هـذا الباب قوله ﷺ: "لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

وقـــال الله تعـــالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قـال عمـر ﷺ اللـهم إنـا لا نـستطيع إلا أن نفـرح بمـا زينته لنا اللهم إني أسـألك أن انفقه في حقه (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٥)، وهذا يبرز حقيقة الدنيا، وانه لابد أن نوظف أعمالنا في طاعة الله، لا في تعظيم الذات، والرياء والسمعة.

وحـثت الـسنة النـبوية على التخفف من الدنيا، والاجتهاد في العمل الصالح، الذي يعـد خـير رصيد في الآخرة، فعن حكيم بن حزام ﷺ قال "سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطانـي ثـم سـألته فأعطانـي، ثـم قال لي يا حكيم: إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطـيب نفـس بـورك لـه فـيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان ليث يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٥).

وقـدمت الـسنة النبوية زاداً للمؤمن، لكي لا يغلبه الحزن والحسرة في الدنيا، فمنحته من الطاقة النفسية، والقوة الروحية ما يعينه على الثبات على المصاعب والملمات، ومن ذلك الـتوجه بالـدعاء، لتخفـيف الألم والمعانـاة، فعن انس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا



يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا، ولكن ليقل اللهم أحيي ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي وأفضل (ابن حبان، ١٩٩٣، ٧/ ٢٣٢).

والمؤمن موفق في دنياه، حيث تغمره رحمة الله تعالى في كل أحواله، حتى في منامه وعالم اللاشعور، الذي يتسم بالطهر، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه الشيخان (النيسابوري، ١٩٩٠، ٢/ ٣٧٠).

وتضع السنة مؤشراً للسعي نحو الدنيا أو طلب الآخرة في العمل، حيث يحددها، النية التي محلها القلب، حيث أنها تعدد مؤشر العمل في التوجه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم إنما الأعمال بالنيات، إنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (البخاري، ١٩٨٧، ١/ ٣).

والهجرة لأمور الدنيا لا تنحصر فقد يهاجر الإنسان لطلب دنيا مباحة تارة، ومحرمة تارة، وأفراد ما يقصد بالهجرة من أمور الدنيا لا تنحصر، فلذلك قال فهجرته إلى ما هاجر إليه؛ يعني كائنا ما كان، وقد روي عن ابن عباس ﷺ عنهما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير والبزار في مسنده وخرجه الترمذي (الحنبلي، ١٩٨٧).

والأصل أن يتوجه المرء بكل عمل، إلى الله تعالى، لا يطلب به الدنيا الزائلة، ومن ذلك الحب والتآخي في الله، لا على مصالح دنيوية، قال ابن عباس رضي الله عنهما من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما ينال ولاية الله بذلك ولن يجد

عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا (الحنبلي، ١٩٨٧، ١/ ٣٤).

فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين في مخالفته فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة وقد أقسم ﷺ بأن لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (ابن القيم، ١٩٨٦، ١/ ٣٧).

وهكذا يداول الله تعالى أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس وأنها عرض حاضر يقسمها دولا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة فإن عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا (ابن القيم، ١٩٨٦، ٣/ ٢٢٢).

والمؤمن يعلق أماله بالله تعالى، فلا يتولى الله عبد في الدنيا، فيوليه غيره يوم القيامة والمرء مع من أحب (ابن القيم، ١٩٩٥، ١٤/ ٢٤).

وذكر الله تعالى يقرب العبد من الشعور بالآخرة، وكأنها حاضرة بين عينية، فانه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة فان الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر (ابن القيم، ١٩٨٥، ١/ ٩٢).

وزينت الدنيا للإمام علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أنت طالق ثلاثا لا رجعة لي فيك، وكانت تكفيه واحده للسن، لكنه جمع الثلاث؛ لئلا يتصور للهوى جواز المراجعه (ابن القيم، ١٩٧٣، ١/ ٥٥).



مفهوم الحياة الآخرة:

وهي دار الجزاء والتشريف، وفيها تظهر المقاييس الحقيقة، وتنجلى القشور، ويبرز لب الحقيقة، فكما قال الأمام علي بن أبي طالب ﷺ الغنى والفقر بعد العرض، لأنه هناك يظهر المفلس الحقيقي، لا وفق مقياس الدنيا الذي يرتبط بالمادة، والمتاع الزائل.

والآخرة، موضع غنى النفس، وسكينة القلب، لمن حضرت قلبه واستحكمت فيه، عملاً وسلوكاً، بحيث عمل لها، وأثرها على دنياه، حيث تأتيه الدنيا راغمة، فكل من ادار ظله للدنيا، لحقه ظلها، وجمع الله شمله، وربح الدنيا والآخرة معاً، ومهما واجهته اغراءات وضغوطات، فإنه من المحال، أن يركن إليها، ويبيع أخرته بزخرفها الزائل، فالعاقل من عمل لما بعد الموت، حيث تظهر هنا حقيقة الأشياء والأعمال، فما تخلفه في الدنيا عند الموت، لا خير فيه، وليس لك، وما تأخذه معك بعد الموت هو لك، من الخير العميم والعمل الصالح، الموجه لمرضاة الله تعالى، لا لنزوات الأنا وتعظيمها، ولا لدنيا ذاهبة، ولا لمصلحة عابرة، ولا لهوى جامح.

وفي اللغة الأخر يُقَابَلُ به الأَوَّلُ، وَآخَرُ يُقَابَلُ به الواحِدُ وَيُعَبَّرُ بالدَّارِ الآخِرَةِ عنِ النَّشْأَةِ الثانيةِ كَمَا يُعَبَّرُ بالدَّار الدُّنْيَا عنِ النَّشْأَةِ الأُولَى نحوُ: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ وَرُبَّمَا تُرِكَ ذِكرُ الدَّارِ نحوُ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ وقد تُوصفُ الدَّارُ بالآخِرَةِ تارةً وتُضَافُ إليها تارةً نحوُ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (ابن منظور، ١٩٩٤).

الحياة الآخرة في القرآن الكريم:

إن المتتبع لنصوص الشرع بشأن توصيف الدنيا، يجدها الدنيا نظاماً قائماً على الضغوطات والأغراءات، فمن هنا فعلى الفرد، أن يجتنب هذين المنزلقين، فيثب عند الضغوطات على أمره تعالى، ولا يسقط أمام الأغراءات، فيبقى أمره تعالى ساكن في قلبه،

محرك لجوارحه، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ (المدثر: ٥٣). بمعنى انهم لا يخافون الآخرة، اغترارا بالدنيا، وهذه سمت القوم الكافرين (القرطبي، ١٩٩٨).

ويعد من أسباب مرض القلوب، الأعراض عن أمره تعالى، والغفلة التي يحدثها التعلق بالدنيا ومتاعها الزائل، ومن هنا حذر القرآن الكريم من ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ (القيامة: ٢١)، فإعراضهم عن الآخرة هو الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها؛ لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها، وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسار ما حصل، فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم العواقب نظر البصير العاقل، لنجحتم، وربحتم ربحاً لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه، ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا (السعدي، ٢٠٠٢).

وعباد الدنيا، في غفلة عما ينتظرهم يوم لقائه تعالى من العذاب الشديد؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٧)، وكذلك؛ أي هذا الجزاء لمن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له، ولم يؤمن بآيات ربه الدالة على جميع مطالب الإيمان دلالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها؛ وإنما السبب إسرافه وعدم إيمانه.ولعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة، وأبقى لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب، الخوف والحذر من عذاب الآخرة (ابن كثير، ١٩٩٦)، وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٤)، فهنا ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر



والشرك ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي بأيدي المؤمنين قتلاً وأسراً، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي المدخر مع هذا الخزي في الدنيا ﴿أَشَقُّ﴾ أي من هذا بكثير، كما قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين: إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبداً في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته (ابن كثير، ١٩٩٦).

والدنيا قائمة على نظام العمل، والآخرة قائمة على نظام الجزاء، فكما يكون الزرع يكون الحصاد، ومن هنا؛ فإن الضال العاصي، الغافل عن أمره تعالى، لن ينال إلا ما كان من جنس عمله من العقوبة وسوء المآل، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢)، أي من كان أعمى عن الحق، فلم يقبله، ولم ينقد له بل اتبع الضلال. فهو في الآخرة أعمى، سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، وأضل سبيلاً فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان.

ومن هنا فإن المجاهدة في سبيل الله، والتضحيات التي يقدمها المسلم في سبيله تعالى، يجد لذتها في الدنيا، بحلاوة الاتصال بالله تعالى والتعلق به، وبالآخرة بالأجر العظيم من رب كريم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤١)، فالذين هاجروا في الله بمعنى الذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم؛ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً يقول: لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا، وروي عن قتادة، قوله: وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ قال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين، وروي عن الشعبي: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: المدينة، وروي عن ابن عباس، قوله: وَالَّذِينَ



هاجَرُوا فِـي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِـمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِـي الدُّنْـيا حَسَنَةً قال: هم قوم هاجروا إلـى رسـول الله ﷺ من أهل مكة بعد ظلـمهم، وظَلَـمَهُم الـمشركون، وقال آخرون: عنى بقوله: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِـي الدُّنْـيا حَسَنَةً لنرزقنهم فـي الدنـيا رزقا حسنا، وعن مـجاهد لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لنرزقنهم فـي الدنـيا رزقا حسنا، عن العوامّ، عمن حدثه أن عمر بن الـخطاب كان إذا أعطى الرجل مـن الـمهاجرين عطـاءه يقـول: خذ بـارك الله لك فـيه، هذا ما وعدك الله فـي الدنـيا، وما ذخـره لـك فـي الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِـي الدُّنْـيا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخرَةِ أكْبَـرُ لَوْ كانُوا يَعْلَـمُونَ، وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب قول من قال: معنى لَنُبَوِّئَنَّهُمْ: لنـحلنهم ولنسكننهم، لأن التبوأ فـي كلام العرب الـحلول بـالـمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالـى: وَلَقَـدْ بَـوَّأْنا بَنِـي إسْـرَائِـيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ. وقـيـل: إن هذه الآية نزلت فـي أبـي جـندل بـن سـهيـل. ذكر من قال ذلك، فعن داود بن أبـي هند، قال: نزلت والَّذِينَ هاجَرُوا فِـي اللَّـهِ مِـنْ بَعْـدِ مـا ظُلِـمُـوا ... إلـى قـوله: وَعَلـى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فـي أبـي جندل بن سـهيـل، وقـوله تعالى: وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَـمُونَ يقول: ولثواب الله إياهم علـى هجرتهم فـيه فـي الآخرة أكبر، لأن ثوابه إياهم هنالك الـجنة التـي يدوم نعيـمها ولا يبـيد، وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل؛ فعن قتادة، قال: قال الله: وَلأَجْرُ الآخرَةِ أكْبَرُ أي والله لـما يثـيبهم الله علـيه من جنته أكبر لَوْ كانُوا يَعْلَـمُونَ (الطبري، ١٩٨٤).

وتبرز أهمية العلم بالآخرة وعظمها، على الحراك في الحياة الدنيا، وتوجيهه في ضوء الأهـداف الأخـروية، ومـن هـنا يأتي العتاب على عدم الحراك، إن كان أطفأ نوره، الاغترار بالدنـيا الزائلة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الـتوبة: ٣٨)، يخاطـب الـنص القرآنـي المؤمـنون؛ ألا تعملـون بمقتـضى الإيمـان، ودواعـي اليقين، من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه لدينكم، فمـالكم تكاسـلتم، وملـتم إلى الأرض، والدعـة، والكون فيها، أي ما حالكم، إلا حال من رضـي بالدنـيا، وسـعى لهـا، ولم يـبال بالآخـرة، فكأنه ما آمن بها، فما متاع الحياة الدنيا التي

مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة إلا قليل، أفليس قد جعل الله لكم عقولاً، تزنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟ أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة، فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً من الدنيا، حتى يجعله الغاية، التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه، وكده، وهمه، وإرادته، لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار، فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة، من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب (السعدي، ٢٠٠٢).

والعقيدة الإسلامية، تعمق عقيدة الأيمان بأن الله الرازق، وانه مدبر الكون وحاكمه، ومن هنا يتوجه بطلبه من الله تعالى، وتبذل له الأسباب المشروعة، ولكن وفق معادلة الرصد للآخرة لا التكالب على الدنيا، وفي ضوء حقيقة أن المال الحقيقي هو ما تأخذه معك بعد الموت، من الصدقات والأعمال الصالحة الجارية، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ (الرعد: ٢٦)، يقول تعالى ذكره: الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه، لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك. وَيَقْدِرُ يقول: ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار. وَفَرِحُوا بالحَياةِ الدُّنيْا يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم. ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته، فقال: وَما الحَياةُ الدُّنيْا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مَتاعٌ يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة إلا متاع قليل وشيء حقير ذاهب. فكما روي عن مجاهد إلاَّ مَتاعٌ قليل ذاهب، روي عن عبد الرحمن بن سابط في قوله: وَفَرِحُوا بالحَياةِ الدُّنيْا وَما الحَياةُ الدُّنيْا فِي الآخِرَة إلاَّ مَتاعٌ قال: كزاد الراعي يزوّده أهله الكفّ من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن (الطبري، ١٩٨٤).



والإسلام يعلمنا، التعاطي مع الحياة وفق سنن كونية واجتماعية وسلوكية، تعد قوانين حتمية، فمن وجه قلبه وعمله ومسعاه وسهره للدنيا، فهي له، بكل أحزانها وصراعاتها وتكتلاتها وانقساماتها، وما ينعكس عليه من تشرذم وقلق وأزمات نفسية، وليس له في الآخرة، رصد وعمار، فالمعادلة إما أن تكون مع الدنيا ومتاعها الزائل غافلاً عن الآخرة أو تعمل بجد للآخرة، وترصد أعمالك الصالحة في الدنيا، في ميزان أعمالك يوم لقائه تعالى الآخرة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦)، يخبر النص القرآني بأن من كانت كل إرادته، مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث. قد صرف رغبته، وسعيه، وعمله، في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته، شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان، يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال، أثر من آثار إرادته الدار الآخرة، ولكن هؤلاء الأشقياء، الذي كأنهم خلقوا للدنيا وحدها نعطيهم ما قسم له، في أم الكتاب من ثواب الدنيا، وهم فيها لا ينقصون شيئاً، مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم، فهؤلاء ليس لهم في الآخرة إلا النار، خالدين فيها أبداً، لا يُفتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب، إذ بطل واضمحل ما صنعوا في هذه الدنيا مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان (السعدي، ٢٠٠٢).

والمؤمن يتعاطى مع الدنيا والآخرة في إطار، جسر لدار بقاء وخلود، يتزود من دنياه بالعمل الصالح، ويعلق أمله بأن يكون مرضياً عند ربه يوم لقائه تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ



هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه: وَٱكۡتُبۡ لَنَا: أي اجعلنا ممن كتبت له فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وهي الصالحات من الأعمال، وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ممن كتبت له المغفرة لذنوبه، كما روي عن ابن جريج، قوله: وَٱكۡتُبۡ لَنا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً قال: مغفرة، وقوله: إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ يقول: إنا تبنا إليك.

وبنحو ذلك قال أهل التأويل، وروي عن ابن عباس: إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ قال: إنا تبنا إليك.

وروي أيضاً عن سعيد بن جبير، قال: إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ قال: تبنا إليك، وروي كذلك عن العوام، عن إبراهيم التيميّ، قال: تبنا إليك.، وروي كذلك عن قتادة: إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ أي إنا تبنا إليك (الطبري، ١٩٨٤).

وتاريخ الكفر واحد، لا يتعدد، فملة الكفر تشترك في حقيقة الغفلة عن الآخرة، وإسقاطها من حساباتهم، لأن جهدكم بأقصى طاقاته، موجه لدنيا فانية زائلة، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ (النمل: ٦٦)، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: بل أدرك علمهم في الآخرة فأيقنوها إذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها، إذ كانوا بها في الدنيا مكذّبين. وعن ابن عباس بَلۡ ٱدۡرَكَ عِلۡمُهُمۡ قال: بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر، وقال آخرون: بل معناه: بل غاب علمهم في الآخرة وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قوله: بَلۡ ٱدۡرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡآخِرَةِ يقول: غاب علمهم، وعن ابن زيد، في قوله تعالى: بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ قال: يقول: ضلّ علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم، هُمۡ مِنۡهَا عَمُونَ، وقال آخرون: معنى ذلك: لم يبلغ لهم فيها علم (الطبري، ١٩٨٤).

فالآخرة هي المعول، في عمل المؤمن في الدنيا، وهي مركزه وعصبه، لأنها محل المستقبل الحقيقي المنشود، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم



مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٢)، ولقد صدقكم الله وعده بالنصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقتم فيهم قتلاً، حتى صرتم سبباً لأنفسكم، وعوناً لأعدائكم عليكم، فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف والخور، وتنازعتم في الأمر؛ الذي فيه ترك أمر الله، بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلفتم، فمن قائل: نقيم في مركزنا، الذي جعلنا فيه النبي ﷺ، ومن قائل: ما مقامنا فيه، وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور؛ فعصيتم الرسول، وتركتم أمره من بعد ما أراكم الله ما تحبون وهو الخذال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من غيره. فالواجب في هذه الحال خصوصاً، وفي غيرها عموماً، امتثال أمر الله ورسوله، منكم من يريد الدنيا وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺ، وثبتوا حيث أمروا، ثم صرفكم عنهم، أي: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم، وامتحاناً، ليتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة، ما صدر منكم، فلهذا قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم، ومن فضله على المؤمنين، أن لا يقدر عليهم خيراً ولا مصيبة، إلا كان خيراً لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا، جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين(السعدي، ٢٠٠٢).

وعلامة قبول العمل، هي بمقتضى المنهج الرباني، الذي يوجه نحو طلب الآخرة، وعدم الركون للدنيا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٧)، فالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَاء ٱلْأخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ أي من فعل منهم ذلك، واستمر عليه إلى الممات حبط عمله، حيث



تجازيه بحسب أعماله التي أسلفت إن خيراً فخير وإن شراً فشر وكما تدين تدان (ابن كثير، ١٩٩٦).

والمؤمن يتطلع إلى رحمات الله تعالى، بالنجاة من أهوال يوم القيامة، في حسن ظن بالله تعالى، بأن يكتب له حسن المقامة في نعيمه المقيم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ١٠٩)، أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير، كقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (ابن كثير، ١٩٩٦).

والقرآن يعلمنا، انه من المحال أن تكون مقاييس الدنيا مثل مقاييس الآخرة، فالخير والنجاة والفوز في حسن رصد الأعمال الصالحة في حسابات الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ (يوسف: ٥٧) أي ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطيناه في الدنيا؛ لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع (القرطبي، ١٩٩٨).

ويرغب الله تعالى في الدار الآخرة والعمل لها، ولا يعي ذلك إلا الكيس الفظن، الذي احسن استخدام عقله، في خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٩)، وهنا يرغبهم الله تعالى في جزيل ثوابه ويحذرهم من وبيل عقابه، وثوابي وما عندي خير لمن اتقى المحارم وترك



هـوى نفـسه وأقـبل علـى طاعـة ربه، أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عما عندي عقل يردعهم عما هم فيه من السفه والتبذير (ابن كثير، ١٩٩٦).

ومـن هـنا لا يمكـن أن تكـون الدنـيا، وهـي مـن الدنـو، يمـثل الآخـرة وهي البقاء الـسرمدي، ولـدار الآخـرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْـيا، وكرامة الله التـي أعدّها لهم فـيها أعظم مـن كـرامته التـي عجلها لهم فـي الدنـيا، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (الـنحل: ٣٠)، وقوله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِـي هَذِهِ الدُّنْـيا حَسَنَةٌ يقول تعالـى ذكره: للـذين آمـنوا بـالله فـي هذه الدنـيا ورسوله وأطاعوه فـيها ودعوا عبـاد الله إلـى الإيـمان والعمـل بـما أمر الله به حَسَنَةٌ يقول: كرامة من الله، وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ يقول: ولدار الآخرة خير لَهُمْ مِنْ دَارِ الدُّنْـيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فـيها أعظم من كرامته التـي عجلها لهم فــي الدنـيا وَلَنِعْمَ دَارُ الـمُتَّقِـينَ يقول: ولنعم دار الذين خافوا الله فـي الدنـيا فـاتقوا عقابه بـأداء فرائـضه وتـجنب معاصيه دار الآخرة، وبـنحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. إذ روي عـن قـتادة، قوله: وَقِـيـلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ماذَا أنْزَل رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرا لِلَّذِينَ أحْسَنُوا فِـي هَـذِهِ الدُّنْـيا حَسَنَةٌ وهـؤلاء مؤمـنون، فـيقال لهـم: مـاذَا أنْزَل رَبُّكُمْ فـيقولون خَيْرا لِلَّذِينَ أحْـسَنُوا فِـي هَـذِهِ الدُّنْـيا حَـسَنَةٌ: أي آمـنوا بـالله وأمروا بطاعة الله، وحثوا أهل طاعة الله علـى الـخير ودعوهم إلـيه (الطبري، ١٩٨٤).

ويـوجه الله تعـالى المـؤمن، في تدبـره لأحوال الأمم السابقة، إن ما في سنن الماضين، وقـصص الله تعـالى للأمـم الضالة، آيات للمتعظين، الذين تتقد قلوبهم خوفاً من عذابه تعالى، علـى الرغم من انشغال جوارحهم في حراك لحوح دؤوب للآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ (هــود: ١٠٣) يقـول تعالــى ذكـره: إن فــي أخذنا مَن أخذنا من أهل القرى التـي اقتصصنا خبرها علــيكم أيها الناس الآية، يقول: لعبرة وعظة لـمن خاف عقاب الله وعذابه فـي الآخرة من



عباده، وحجة عليه لربه، وزاجرا يزجره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه، وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بأن الله سيفي له بوعده، وروي عن ابن زيد، في قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة كما وفينا للأنبياء أنا ننصرهم. وقوله: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ يقول تعالى ذكره: هذا اليوم، يعني يوم القيامة، يومٌ مجموعٌ له الناس، يقول: يحشر الله الناس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب. وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يقول: وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذب رسله، وروي عن مجاهد في قوله: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ قال: يوم القيامة، وعن ابن عباس، قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة. ثم قرأ: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قال: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة. ثم تلا هذه الآية: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، وعن الضحاك قوله: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ قال: ذلك يوم القيامة، يجتمع فيه الخلق كلهم ويشهده أهل السماء وأهل الأرض (الطبري، ١٩٨٤).

والقرآن الكريم يعري ادعاءات الكافرين، بأنه لا محل لها من الصحة، وان الحق، لا يلغيه افتراءاتهم، والحقيقة مبثوثة في آياته تعالى الكونية والمسطورة في القرآن الكريم وأفعال الله تعالى، التي تعاقب المتمرد، وتجازي المحسن، فالله يدهش أن أعطى من عظيم عطائه، ويدهش إذا عاقب، من عظيم غضبه تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤).

بمعنى قل لهم يا محمد ﷺ على وجه تصحيح دعواهم ،إن كانت لكم الدار الآخرة، أي الجنة، خالصة من دون الناس؛ كما زعمتم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وأن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة، فإن كنتم صادقين في هذه الدعوى، فتمنوا الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله ﷺ وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد



العـناد مـنهم، إلا أحـد أمرين: إما أن يؤمنوا بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمـر يسير عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلـك، فعلم كل أحد أنهم في غاية المعاندة والمحادة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعـالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مـن الكفـر والمعاصـي، لأنهـم يعلمـون أنه طـريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كـل أحـد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب، ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا، فقال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وهذا أبلغ ما يكون من الحـرص، تمـنوا حالـة هـي مـن المحالات، والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شـيئاً، ولا دفـع عـنهم مـن العـذاب شـيئاً، والله بـصير بمـا يعملون؛ تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم (السعدي، ٢٠٠٢).

وبـيت النبوة يعد أسوة للمؤمنين، حيث اخترن أمهات المؤمنين الله ورسوله والدار الآخرة، وهن أسوة لكل مؤمنة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحـزاب: ٢٩)، فقـد اجتمع نساء رسول الله ﷺ في الغـيرة، وطلـبن مـنه أمـراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، وفي مـرادهن متعنتات شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهراً، فـأراد الله أن يـسهل الأمـر علـى رسـوله، وأن يـرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر يـنقص أجـرهن، فأمـر رسـوله أن يخيرهن فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، أي: لـيس لكـن في غيرهـا مطلـب، وصـرتن ترضـين لوجـودها، وتغـضبن لفقـدها، فلـيس لـي فـيكن إرب وحاجـة، وأنـتن بهذه الحال، فتعالين أمـتعكن شـيئاً ممـا عندي، من الدنيا وأفارقكن من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة؛ أي: هـذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لما تبالين



بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً؛ أي رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات الرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي بل لا يفيد شيئاً مع عدم الإحسان. فخيَّرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن كلهن الله ورسوله، والدار الآخرة، لم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن، وفي هذا التخيير فوائد عديدة (السعدي، ٢٠٠٢):

- الاعتناء برسوله، والغيرة عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.
- سلامته ﷺ، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾.
- تنزيهه عمّا لو كان فيهن من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.
- سلامة زوجاته، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله. فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.
- إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.
- إظهار استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر المختار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.
- ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل، وأراد الله أن تكون نساؤه، كاملات مكملات، طيبات مطيبات، قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.



- أن هـذا التخـيير داع، ومـوجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويـزول عـنهن جـشع الحـرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.
- الحـث على أن يكون اختيارهن هذا، سبباً لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة لـيس فـيها أحـد مـن النـساء، ولهـذا قـال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٤).

ويعـد مـن سمـات الكفـرة، الـسخرية بالمـآل، وتكـذيب الرسـالات والدعـوات، وتـشويهها، وهـم مقيمين على شـهواتهم وشـبهاتهم، لا يغادرونهمـا قـيد انملـه، ومن هنا تـوعدهم الله بالعذاب المقيم ،قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ (الـروم: ١٦)، والمقـصود بلقـاء الآخـرة هـنا الـبعث، فـتوعدهم الله تعـالى بـأنهم في العـذاب مقـيمون. وقـيل: مجموعون. وقيل: معذبون. وقيل: نازلون (القرطبي، ١٩٩٨).

وقـال العلمـاء بـأن المجالـسة مجانـسة، ومـن هـنا يبرز اثر الرفقة الصالحة، ومصاحبة الـصالحين، الموقـنين بالآخـرة، فالـصحبة تنـشر ما ينضح بدلوها من خير أو شر، فإما نصح ودعـم في طـريق الحـق، والمـؤمن نافع وخير حيثما حل، أو تثبيط وصد عن سبيل الله تعالى، والكافر لؤم وأنانية وشر حيثما حل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ (الممتحنة: ١٣).



يقـول الله تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ فقال بعضهم: معنى ذلك: قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة، وأن يُبعثوا، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم، وروي عن ابن عباس قوله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... الآية، يعني من مات من الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وروي عن الحسين أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات، وروي عن قتادة في قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة يقول: يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا، وفي رواية أخرى عن قتادة. قوله: يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ... الآية، الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره، وروي عن الضحاك انه كان يقول في قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة، كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ يقول: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها، ويغفر لهم، كما يئس الكفار الذي هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم، وعن مجاهد، في قوله قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ قال: من ثواب الآخرة حين تُبين لهم عملهن، وعاينوا النار، وعن عكرمة أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة ... الآية، قال: أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة، وقال الكلبي قد يئسوا من الآخرة، يعني اليهود والنصارى، يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها، كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار، و قال ابن زيد، في قول الله: لا تَتَوَلَّوْا قَوْما ... الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا



الـذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكـون لهـم آخـرة، كمـا يـئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقامـوا علـى الكفر به، وما صنعوا وقد علموا، عن منصور، في قوله: يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ... الآيـة، قـال: قـد يئسوا أن يكـون لهـم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عاينوا العذاب والهوان.

وأولى القـولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله علـيهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا ﷺ علـى علـم مـنهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصـحاب القـبور، وهـم علـى مـثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغـيره مـن الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم، وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأمـوات قـد يئسوا مـن رجـوعهم إلى الدنـيا، أو أن يُبعـثوا قـبل قيام الساعة المؤمنون والكفـار، فـلا وجـه لأن يخـصّ بـذلك الخـبر عـن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون (الطبري، ١٩٨٤).

وتحـذر النصوص القرآنية، من الانسحاب عن المهمة الخطيرة، التي أوكلت بالإنسان في الأرض، في رسالة التعمير الإيمانية والكونية، ومن هنا فعندما ينشغل الفرد بالدنيا ومتاعها الـزائل، فإنـه في الواقـع يمارس حراكاً سمته اللهو بما فيه من تضيع الجهد، ولعب بما فيه من الخـروج عن الهدف، بمعنى انه يصرف ذاته عن اصل مهمته في الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).فهنا يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتـشويق للأخـرى، إذ إنهـا في حقيقـتها لهـو ولعب تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بـسبب مـا جعـل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعـيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة. ثم تزول سريعاً، وتنقضي جميعاً، ولم يحصل



منها محبها، إلا على الندم والخسران، والدار الآخرة هي الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها، في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجوداً فيها، كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذة، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت. ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلو كانوا يعلمون لما اثروا الحياة الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، تدل ذلك إن الذين يعلمون لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين،ثم ألزم تعالى، المشركين بإخلاصهم لله، في حال الشدة، عند ركوب البحر، وتلاطم أمواجه، وخوفهم الهلاك، يتركون وقتذاك أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له. فلما زالت عنهم الشدة، ونجى مَنْ أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به، من لا نجاهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة. فهلا أخلصوا لله الدعاء، في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين حقاً، مستحقين ثوابه، مندفعاً عنهم عقابه، ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته الكفر بما رتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، فسوف يعلمون حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف، وأليم العقوبة، ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن، وسعة وزرق، والناس من حولهم، يتخطفون ويخافون. فلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف (السعدي، ٢٠٠٢).

وتخبر النصوص القرآنية بأن مفتاح النجاة، بالالتزام بالمنهج الرباني 'دليل الصانع' في إسلامنا الحنيف، حيث يتضمن ما فيه استجابة لنداءات الفطرة الكامنة في أعماقنا، ومخاطبة ناضجة للعقل، وحراك هادف، موجه إلى الآخرة، التي هي محل المستقبل المنشود، في أحلى صورة له، حيث النعيم المقيم، لا العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، فهنا من ابتغى غير الأيمان وأصوله المشرعة في الإسلام، فعمله مردود، وليس له دين يعول عليه. فمن زهد عنه،



ورغب عنه، فأين يذهب؟ إلى عبادة الأشجار والأحجار والنيران؟ أو إلى اتخاذ الأحبار والرهبان والصلبان، أو إلى التعطيل لرب العالمين؟ أو إلى الأديان الباطلة، التي هي وجه الشيطان؟ وهؤلاء كلهم في الآخرة من الخاسرين (السعدي، ٢٠٠٢).

ويتوجه المسلم بالدعاء مخبتاً لله تعالى، بأن يوفقه لخير الدنيا ويسدده، وان يكرمه بحسن المقام في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١)، واختلف أهل التأويل في معنى الحسنة التي ذكر الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: يعني بذلك: ومن الناس من يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة، وروي عن قتادة؛ قال: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية، وقال قتادة: وقال رجل: اللهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض مرضا حتى أضنى على فراشه، فذكر للنبيّ ﷺ شأنه، فأتاه النبيّ ﷺ، فقيل له: إنه دعا بكذا وكذا، فقال النبيّ ﷺ: "إِنَّهُ لا طاقَةَ لأَحَدٍ بِعُقُوبَةِ اللَّهِ، وَلَكِنْ قُلْ: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارْ" فقالها، فما لبث إلا أياما أو يسيرا حتى برأ، وروي عن انس بن مالك انه قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ المنتوف، فقال رسول الله ﷺ: "هَلْ كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ، أوْ تَسألُ اللَّهَ شَيْئا؟" قال: قلت: اللهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعاقبني به في الدنيا. قال: "سُبْحانَ اللَّهِ هَلْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ أحَدٌ أوْ يُطِيقُهُ فَهَلاَّ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا عَذابَ النَّارْ"، وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بالحسنة في هذا الموضع: في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، وروي عن الحسن: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، ورويعن الحسن في قوله: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا عَذابَ النَّارِ قال: العبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وروي عن الحسن في قوله: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: الفهم في كتاب الله والعلم، حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت سفيان الثوري



يقـول هذه الآية: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِـي الآخِرَةِ حَسَنَةً قال: الحسنة في الدنيا: العلم والـرزق الطيب، وفي الآخرة حسنة: الجنة.وقال آخرون: الحسنة في الدنيا: المال، وفي الآخرة: الـجـنة، وقـال ابن زيد: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِـي الدُّنْـيا حَسَنَةً وفِـي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّارِ قال: فهؤلاء النبـيّ ﷺ والـمؤمنون، وروي عن السدي وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِـي الدُّنْـيا حَسَنَةً وفِـي الآخِـرَةِ حَسَنَةً هؤلاء الـمؤمنون أما حسنة الدنـيا فـالـمال، وأما حسنة الآخـرة فـالـجـنة، والـصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخـبر عـن قـوم من أهل الإيـمان به وبرسوله، مـمن حجّ بـيته، يسألون ربهم الـحسنة فـي الدنـيا، والـحسنة فـي الآخـرة، وأن يقـيهم عذاب النار. وقد تـجمعُ الـحسنة من الله عزّ وجـل العافـية فـي الـجسم والـمعـاش والـرزق وغير ذلك والعلـم والعبـادة. وأما فـي الآخرة فلا شك أنها الـجنة، لأن من لـم ينلها يومئذٍ فقد حرم جميع الـحسنات وفـارق جميع معانـي العافية، وإنـما قلنا إن ذلك أولـى التأويلات بـالآية لأن الله عز وجل لـم يخصص بقـوله مخبرا عـن قائل ذلك من معانـي الـحسنة شيئا، ولا نصب علـى خصوصه دلالة دالة علـى أن الـمـراد مـن ذلـك بعـض دون بعض، فـالواجب من القول فـيه ما قلنا من أنه لا يجـوز أن يخـصّ مـن معانـي ذلك شيء، وأن يحكم له بعمومه علـى ما عمه الله، وأما قوله: وَقِـنا عَـذَابَ الـنَّارِ فإنـه يعنـي بـذلك: اصرف عنا عذاب النار، يقال منه: وقـيته، كذا أقـيه وقايـة وواقـية ووقاء مـمدودا، وربـما قالوا: وقاك الله وَقْـيا: إذا دفعت عنه أذى أو مكروها (الطبري، ١٩٨٤).

وكـل شـيء مرصود يوم القيامة، وكل فرد سيلقاه كتابه منشورا، إن خيراً فخير، وان شـراً فـشر، والخسارة العظيمة، هي بيع الآخرة بعرض فإني زائل من الدنيا، لا قيمة له جملة وتفـصيلا، قـال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ



﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، ويشير النص الكريم إلى انه لما جاء هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله، الذي أنزل إليهم، أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون، ولما كان من العوائد القدسية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به ولم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل.

كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبةٌ في ذلك فلم يستعمله سليمان، بل نزّهه الصادق في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه،ولكن الشياطين كفروا في ذلك يعلمون الناس السحر؛ من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاءً من الله لعباده فيعلمانهم السحر.وما يعلمان من أحدٍ حتى ينصحاه، بمعنى لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة، فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم



الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه، ثم ذكر مفاسد السحر، فقال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾، مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة؛ ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين، ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، فهذا السحر مضرة محضة، فليس له داعٍ أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات، إما مصلحة محضة، أو خيرها أكثر من شرها، ولقد علموا، أي: اليهود لمن رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة، ما له في الآخرة من نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، علماً يثمر العمل ما فعلوه (السعدي، ٢٠٠٢).

وعدالة الله تعالى، تحكم شريعته تعالى، حيث يجازى كل فرد على عمله، فطلاب الآخرة، تجارتهم رابحة في المضاعفة والزيادة، وطلاب الدنيا ليس لهم من الدنيا إلا ما اخذوا، وقدر لهم في نصيبهم، لذلك هم يتكالبون على الدنيا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ



مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)، يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقترّ على من يشاء منهم وَهُوَ القَوِيُّ الذي لا يغلبه ذو أيدٍ لشدّته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته العَزِيزُ في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشراً، إلى ما شاء ربنا من الزيادة وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْها يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إذ يروى عن ابن عباس، قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ... إلى وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ قال: يقول: من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها، ويروى عن قتادة مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا ... الآية، يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئاً إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له، ويروى عن ابن زيد، في قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله وَمنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها ... إلى آخر الآية، قال: من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب الحرث العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومن عمل للدنيا أعطاه الله، ويروى عن السدي قوله: مَنْ كانَ يُرِدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ قال: من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله.وقوله: وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ قال: للكافر عذاب أليم (الطبري، ١٩٨٤).

وهنا تتأكد المعادلة القرآنية بأن من اثر الدنيا على الآخرة خسرهما معاً، ومن اثر آخرته على دنياه كسبهما معاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، ويشير النص القرآني إلى أن من كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله



منها مع ما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ وهكذا قال ههنا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم (ابن كثير، ١٩٩٦).

فالدار الآخرة لها عاملوها، وطلابها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)، يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض أي ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم، كما قال عكرمة العلو: التجبر. وقال سعيد بن جبير: العلو البغي. وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين: العلو في الأرض التكبر بغير حق، والفساد أخذ المال بغير حق. وقال ابن جريج ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تعظماً وتجبراً ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ عملاً بالمعاصي. وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد' وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل، فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: 'لا، إن الله جميل يحب الجمال' (ابن كثير، ١٩٩٦).



فمعيار الخسارة هو خسارة الآخرة، لأنها العطاء الباقي الخالد، والدنيا دار زاول وترح، وممر لا مستقر، قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ (هود: ٢٢)، يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظل من يحموم وعن الحور العين بطعام من غسلين وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (ابن كثير، ١٩٩٦).

والقوم الضالون، عندما ركنوا للدنيا، وأقاموا حياتهم فيها، خدام لها، في ظل تزيين أهوائهم إليهم، وشياطين الأنس والجن، فهم الذين تسببوا بسوء المآل لأنفسهم، قال تعالى: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ (النمل: ١-٥).

ينبه الله تعالى عباده على عظمة القرآن، ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فهي أعلى الآيات، وأقوى البينات، وأوضح الدلالات، وأبينها على أجل المطالب، وأفضل المقاصد، وخير الأعمال، وأزكى الأخلاق. آيات تدل على الأخبار الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل عمل وخيم، وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها البصائر النيرة، مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان، ودعت للوصول إلى الإيمان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، طِبْقَ ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه، ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين، ولم يهتد بها جميع المعاندين، صوناً لها، عن من لا خير فيه ولا صلاح، ولا زكاء في قلبه. وإنما



اهتدى بها، من خصهم الله بالإيمان، واستنارت بذلك قلوبهم، وصفت سرائرهم، فهي تهدي المؤمنين إلى سلوك الصراط المستقيم، وتبين لهم، ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله، المرتب على الهداية لهذا الطريق، وربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان فهل يقبل من كل أحد ادَّعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق، فلذلك بَّين تعالى صفة المؤمنين فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرضها، ونفلها، فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها، وشروطها، وواجباتها، ومستحباتها. وأفعالها الباطنة، وهو: الخشوع الذي روحها ولبها، باستحضار قرب الله، وتدبر ما يقول المصلي ويفعله، ومن أوصافهم انهم يؤتون الزكاة المفروضة لمستحقيها، وهم بالآخرة هم يوقنون، بمعنى بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين، وهو: العلم التام، والواصل إلى القلب، الداعي إلى العمل. ويقينهم بالآخرة، يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب، وهذا أصل كل خير، ومن هنا فإن الذين يكذبون بالآخرة، ويكذبون من جاء بإثباتها، زينا لهم أعمالهم فهم حائرين مترددين، مؤثرين سخط الله على رضاه، قد انقلبت عليهم الحقائق، فرأوا الباطل حقاً، والحق باطلاً، فتوعدهم الله بأشد العذاب وأسوأه، وأعظمه، وهم في الآخرة هم الأخسرون، حيث حصر الخسار فيهم، بكونهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وخسروا الإيمان الذي دعتهم إليه الرسل (السعدي، ٢٠٠٢).

ومهما أوتي الضالون من قوة ومال وذكاء، فإنه لا عبرة بذلك، إذا لم تكن حقيقة الكون والإنسان والحياة، واضحة لديه، كالشمس، يعمل بمقتضاها، لا يغادرها قيد انمله، في ضوء المنهج الرباني السامي، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾ (الروم: ٧)، فقد حصرت الآيات علمهم بظاهراً من الحياة الدنيا، بمعنى انهم ينظرون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر، الذي في رأيهم، انعقدت أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده، شيئاً فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها، المتصرف فيها، وهم عن الآخرة هم غافلون؛ قد توجهت قلوبهم، وأهواؤهم، وإرادتهم، إلى الدنيا وشهواتها، وحطامها، فعملت لها،



وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة. فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه، ويروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة، ومن العجب أن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم، الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا، إلى أمر يحير العقول، ويدهش الألباب. وأظهروا من العجائب الذرية، والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية، والهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عمّا أقدرهم الله عليه. فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك، أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب. قد رآهم أهل البصائر النافذة، في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يترددون. نسوا الله، فأساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون، ولو نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه، من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها، وما حرموا من العقل العالي، لعرفوا أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه أو خذلانه، ولخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم، من نور العقول والإيمان، حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته. وهذه الأمور لو قارنها الإيمان، وبنيت عليه، لأثمرت الرُّقِيَّ العالي، والحياة الطيبة. ولكنها لما بنى كثير منها على الإلحاد، لم تثمر إلا هبوط الأخلاق، وأسباب الفناء والتدبير (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ (غافر: ٣٩)، فهنا يخبر الله تعالى عن المؤمن بالله من آل فرعون وَقالَ الَّذي آمَنَ من قوم فرعون لقومه: يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بيَّنت لكم طريق الصواب الذي تَرشدُون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى. يقول: إنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيا مَتاعٌ يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرّون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ قال أهل التأويل. إذ يروى عن قتادة



قوله وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ بمعنى استقرّت الجنة بأهلها، واستقرّت النار بأهلها (الطبري، ١٩٨٤).

وقال تعالى بشأن الملأ الذين كذب بالآخرة: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٣-٣٧)، وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، وأترفناهم في الحياة الدنيا، أي: قال الرؤوساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وإنكار البعث والجزاء، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيباً، وتحذيراً منه؛ ما هذا إلا بشر من جنسكم؛ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون، فما الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكاً، لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولئن إتبعتموه وجعلتموه لكم رئيساً، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة، لمن لم يتابعه، ولم ينقد له. والجهل والسفه العظيم، لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر،وهذا نظير قولهم: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾، فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾، أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم، وكنتم تراباً وعظاماً، فنظروا نظراً قاصراً، ورأوا هذا، بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن، فقاسوا قدرة الخالق بقدرتهم. تعالى الله عن ذلك. فأنكروا قدرته على إحياء الموتى وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن



الذي أنشأهم من العدم، فإعادته لهم بعد البلى، أهون عليه وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إننا، لم نزل موجودين، حتى يسلم لهم إنكارهم البعث، وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟، وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثمّ دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، فقال في جوابهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، أي: في البلى، وعندنا كتاب حفيظ، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس، وما نحن بمبعوثين (السعدي، ٢٠٠٢).

واخبر الله تعالى هنا بحقيقة مفادها: ﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ (النجم: ٢٥) بمعنى أم للإنسان ما تمنى، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعاً لأمانيهم، ولا موافقاً لأهوائهم، فلله الآخرة والأولى (السعدي، ٢٠٠٢).

ووصف الله تعالى القوم الضالون بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (النحل: ١٠٧)، تصف الآيات الذين ارتدوا على أدبارهم طمعاً في شيء من حطام الدنيا، رغبة فيه، وزهداً في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر على الأيمان منعهم الله من الهداية، فلم يهدهم، لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم، فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم، ويصل إلى قلوبهم، فشملتهم الغفلة، وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها اتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها (السعدي، ٢٠٠٢).



وحسن الجزاء مقترن بأن تكون حساباتك في الدنيا اخروية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩)، فيخبر الله تعالى بأن من كان يريد الدنيا العاجلة المنقضية الزائلة، فعمل لها وسعي، ونسي المبتدأ والمنتهى، إن الله يعجل له من حطامها، ما يشاؤه ويريده، مما كتب الله له في اللوح المحفوظ، ولكنه متاع غير نافع، ولا دائم له، ثم يجعل الله له في الآخرة جهنم يصلاها أي يباشر عذابها في حالة من الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله، فيجمع له بين العذاب والفضيحة (السعدي، ٢٠٠٢).

وسر التعاطي مع الحياة الدنيا في ضوء متطلبات الآخرة، هي الكنز النوراني، الذي ضيعه الكثير من الأمم والغابرين والأحياء والأموات، ومن لا يزال في حراكه الدنيوي يلهث لهث الكلاب، خلف متاع الدنيا القائم على الفناء والمنغصات والصراعات والتحاسد والتباغض، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧) ويشير النص انه قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فأبتغ بها ما عند الله ،وتصدق، ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ولا تنس نصيبك في الدنيا بمعنى لا نامرك أن تتصدق بجميع أموالك، وتبقى ضائعاً، بل انفق لأخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر أخرتك ،واحسن إلى عباد الله كما احسن الله عليك بهذه الأموال، ولا تبغ الفساد في الأرض بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، إن الله لا يحب المفسدين، بل عاقبهم عن ذلك اشد العقوبة (السعدي، ٢٠٠٢).

وبشارة المؤمن بأن يتولاه الله تعالى، ويظله برحمته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (فصلت: ٣١)، فهنا تبشر الملائكة الذين اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى،



واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علماً وعملاً، بأن لا يخافوا على ما يستقبل من أمرهم، ولا تحزنوا عل ما مضى،، ويبشرونهم بالجنة، التي وجبت وثبتت لهم، وكان وعد الله مفعولا، ويقولون لهم أيضاً مثبتين لهم نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ ويقولون لهم لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم قد اعد وهيئ ولكم فيها ما تدعون أي ما تطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ أي هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزل وضيافة من غفور رحيم حيث وفقكم لفعل الحسنات ثم قبلها منكم، فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته انالكم المطلوب (السعدي، ٢٠٠٢).

وطلب الآخرة ليس بالتمنى، وإنما يصدقه الجوارح، والحراك المقترن بأهداف أخروية، في التعبد وحسن الخلق، فشرف المؤمن قيام الليل وعزه بالاستغناء عن الناس، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر: ٩) فهذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تبيانها، وعلم عملاً يقيناً تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة الله، المتبع لهواه، كمن هو قانت، أي مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بالخوف والرجاء، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصف بالعمل الظاهر والباطن (السعدي، ٢٠٠٢).



وكما قال العلماء من كان مع الله فمن عليه، ومعية الله تعالى نوعان، عامة وخاصة، فمعية الله تعالى للمؤمن هي من النوع الخاص، حيث تفسر بالتأييد والتوفيق والكفاية والهدي والرشاد والسلامة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (ابراهيم: ٢٧)، فيخبر الله تعالى انه يثبت عباده المؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت مَن ربك؟ وما دينك؟ هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيٌ، ويضل لاله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعميه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه.

والله تعالى، كلمة تثير خبراتنا مع الله تعالى، ومعرفة عظمتها تتطلب استشعار عظمة الكون، وآيات الله المسطورة في القرآن الكريم، وعظيم أفعاله تعالى في الكون، في العطاء والمنع، فالحمد لله، وهو منزه عن كل نقص، الأول والأخر والظاهر والباطن، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والسعي للآخرة، يتطلب أدراك عظمة الله تعالى وتسبيحه، وشكره تعالى في السراء والضراء وحسن التعبد له، وتوجيه الأعمال له، ورفع ذكره في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (سبأ: ١)، بمعنى له الحمد في الآخرة، الحمد الذاتي والحمد المرتفع من عباده، حتى ممن كانوا يجحدونه في الدنيا، أو يشركون معه غيره عن ضلاله، تنكشف في الآخرة فيتمحض له الحمد والثناء، وهو الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بحكمة، ويصرف الدنيا والآخرة بحكمة، ويدبر أمر الوجود كله بحكمة، الخبير الذي يعلم بكل شيء، وبكل آمر، وبكل تدبير علماً كاملاً شاملاً عميقاً يحيط بالأمور (قطب، ١٩٨٦).



ويسلي الله تعالى نبيه محمد ﷺ وأجيال الدعاة في كل زمان ومكان، فالخلق أمام عابد للدنيا أو حر عابد لله تعالى، فمن أوتي التوفيق الإلهي، الهم العقل الحكيم، والفطرة السليمة، التي توجه نحو الله تعالى بلطائف الإحسان لا بقيود الأبتلاءات والقصم الإلهي، فالضال لا تتحسر عليه، فهو اختار أن يكون بمقام الأعمى والأصم والأبكم، الذي تعشعش أفكاره في الظلمات وطقوس الجاهلية الثانية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٦).فقد كان النبي ﷺ حريصاً على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، فلا يحزنك الذين يسارعون في الكفر فالله ناصر دينه ومؤيد رسله ومنفذ أمره من دونهم الكفرة إنما هم يسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الأيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة من ثوابه، خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أولياءه ومن أراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم (السعدي، ٢٠٠٢).

وهكذا ركنت نفوس الضال المتمرد، إلى منظومة لعبه الذي لا ينتهي، وملاهيه التي تشغل ليله بنهاره، فغدت الدنيا معبوده الأول في أموالها ونساءها وملذاتها المحرمة وخبثها المخبث، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.(الأنعام: ٢٢)، وهؤلاء الضالون اعتبروا الدنيا هي البداية والنهاية، الأمل والطموح، حيث يتوهموا بأنه خالد سرمداً، حيث غفلوا عن لحظة الموت، التي توايتهم فجأة، ونسوا انهم لا يأخذون معهم إلا رماد أعمالهم السوداء، وانهم بضلالهم يفجرون أنفسهم من الداخل انحرافاً وعناداً واستكباراً وصداً عن سبيله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧).



الحياة الآخرة في السنة الشريفة وأقوال العلماء

وورد أن أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار"، فعن انس ﷺ كان أكثر دعوة يدعو بها ربنا بإحسانك آتنا في الدنيا حالة حسنة لنتوصل إلى الآخرة بها على ما يرضيك، وقيل إن حسنة الدنيا هي الكفاف من مطعم ومشرب وملبس ومأوى وزوجة لا سرف فيها، وفي الآخرة حسنة أي من رحمتك التي تدخلنا بها جنتك وقنا عذاب النار بعفوك وغفرانك، وقال الطيبي إنما كان يكثر من هذا الدعاء لأنه من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية (السيوطي، د.ت، ١/ ٢١٤).

ومعيار العمل هو الرصد الأخروي، وهو مشروط بالتزام المنهج الرباني، الذي سطره الإسلام العظيم، في شرعه الحكيم، فعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيراً" (البيهقي، ١٩٩٠، ١/ ٢٦٠).

وبينت السنة النبوية، أن معيار خيرية العمل، هو ما تجاوز الدنيا إلى الأخر، وكان معك بعد الموت، أما ما كان خيره في الدنيا، يذهب بذهابها، فهو خير مؤقت، لذا وجهت السنة النبوية، إلى شروط العمل الخالد، عند الالتزام بشريعة الإسلام الحقة، حيث يصحبك عملك الصالح في القبر، ويوم لقائه تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك أنه حدث عن رسول الله ﷺ "إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).



وورد عـن علمـاء الأمـة الأوائل انه كما أن أمور الدنيا لا تحصل إلا بقدر عزائمهم فأمـر الآخـرة لا يحـصل إلا بأشـد (المـناوي، ١٩٣٤، ٢/ ٦١)، كما أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بأدنى سعى (أبو العلا، د.ت، ٧/ ١٢٤).

وورد في الأثـر مثل هذه الأمة مثل أربعة رهط؛ بر تقي موسع عليه في الدنيا وموسع عليه في الآخـرة، وبر تقي محظور عليه في الدنيا وموسع عليه في الآخرة، وفاجر شقي موسع عليه في الدنـيا ومحظـور عليه في الآخرة، وفاجر شقي محظور عليه في الدنيا ومحظور عليه في الآخرة (الكوفي، ١٩٨٧، ١/ ٣٢٩).

وورد أيـضاً أن القلـب بمنـزلة المـرآة إذا جلـيت، وورد أيضاً أن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وإن الجوع عنده في خزائن مدخر لا يعطيه إلا من أحب خاصة، والقرآن العظـيم سـر عـصمة المـؤمن في الحياة الدنيا، وهو غذاء الروح الذي يزوده بالطاقة في حسن العمـل للآخـرة، وعدم الركون للدنيا واعتبارها وطنا، فالدنيا جسر للآخرة، فعن ابن عباس ﷺ انـه قال من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلـك بـأن الله تـبارك وتعـالى يقـول فمـن اتـبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس فـضمن الله لمـن اتـبع القـرآن ألا يـضل في الدنـيا ولا يـشقى في الآخـرة (القرطبي، ١٩٩٨، ١/ ٩).

ومـن هـنا حذرتـنا الـسنة النـبوية، مـن أن نبـيع أخـرتنا بعـرض فانـي من الآخرة، ويتجـرون بالـدين، فعـن أبـي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل الله في بعض الكتب أو أوحـى إلى بعـض الأنبـياء قـل للـذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنـيا بعمـل الآخـرة، يلبـسون للـناس مـسوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلـى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون؛ وبي يستهزئون؛ لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران (القرطبي، ١٩٥٩، ١/ ١٩).

وسمـة الأمـة المسلمة، هي شرفها وعزها بالعمل الأخروي، محل المستقبل الحقيقي، وسمـة الأمـم، التـنعم المـترف بالدنـيا، والانشغال بهذا التنعم المترف عن اصل مهمتهم في الحياة، في عمارة الكون الإيمانية والكونية، فقد دخل عمر بن الخطاب ﷺ على النبي ﷺ، وإنه



لعلي حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف وإن ثم رجليه قرظا مـضبورا وعـند رأسه أهبا معلقة فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله ﷺ فبكيت، فقال: ما يبكـيك، فقلـت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة" (مسلم، د.ت، ٢/ ١١٠٩)، وعن حذيفة ﷺ قـال: نهانـا النبي ﷺ عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال هن لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢١٣٢).

وعلـم النبي ﷺ أمته أن الحياة الحقيقة، محل التشريف في الآخرة، وان الدنيا دار عمل وتكلـيف ومجاهـدة، وعمـا قـريب يغادرها المرء للآخرة، والإنسان فيها بضع وقت لا بد أن ينتهي، عن سهل بن سعد ﷺ قال "جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافـنا فقـال رسـول الله ﷺ: اللـهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار، وفي رواية أخرى إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة" (مسلم، د.ت، ٣/ ١٤٣١).

ووجهتـنا الـسنة النـبوية إلى الدعاء الذي يكفل لنا خير الدنيا والآخرة، دون اعتداد فـيه، فعـن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال لـه رسـول الله ﷺ: هـل كـنت تدعو بشيء أو تسأله إياه قال: نعم كنت أقول اللهم ما كنت معـاقبي بـه في الآخـرة، فعجلـه لـي في الدنيا فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله لا تطيقه أو لا تـستطيعه أفـلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله لـه فـشفاه (مـسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٦٨)، وقـد سأل قتادة أنسا ﷺ أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر قال كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقـنا عـذاب الـنار قـال وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه (مسلم، د.ت، ٤/ ٢٠٧٠).

وافـرد الأمـام مسلم باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، فعن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي ﷺ قـال وكـان مـن كـتاب رسول الله ﷺ قال ثم لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة ﷺ قـال قلـت نافق حنظلة ﷺ قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون ثم رسول الله ﷺ يذكرنا



بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من ثم رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (مسلم، د.ت، ٤/٢١٠٦).

ولا عبرة بنعيم الدنيا، مهما كان زخرفة أمام نعيم الآخرة المقيم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم هل رأيت خيرا قط، هل مر بك نعيم قط، فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط، هل مر بك شدة قط، فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).

وبينت السنة النبوية، إن معيار خيرية العمل، هو ما تجاوز الدنيا إلى الأخر، وكان معك بعد الموت، أما ما كان خيره في الدنيا، يذهب بذهابها، فهو خير مؤقت، لذا وجهت السنة النبوية، إلى شروط العمل الخالد، عند الالتزام بشريعة الإسلام الحقة، حيث يصحبك عملك الصالح في القبر، ويوم لقائه تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك أنه حدث عن رسول الله ﷺ إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٦٢).

والدنيا بضع وقت ويذهب، لا تبقى لغني ولا لفقير، ولا لحاكم ومحكوم، فهي في مقياس الآخرة، ليلة أو ضحاها، أو مثل ما يضع احكم اصبعه في اليم، ودلالة ذلك ما يرويه



يحيى بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل حدثنا قيس قال سمعت مستوردا أخا بنى فهر ﷺ يقول: قال: رسول الله ﷺ: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه؛ وأشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع" (مسلم، د.ت، ٤/ ٢١٩٣)، ومن هنا فإن الخير هو خير الآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ثم أن رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة (الجارود، ١٩٨٨، ١/ ١٢٦)، وعن انس ﷺ يقول ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدا، على الجهاد ما بقينا أبداً (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ٢١٠٦).

ووجهت السنة النبوية إلى التراحم في الدنيا، ونبذ الخصال الشيطانية، ومنها ايذاء الآخرين والتجبر، لأن تلك الأعمال وبال عليهم، في الحسابات الأخروية، لو كان أمثال هؤلاء يعون أن لهم نهاية محتومة لا محالة، ووراءها حساب عسير، فلذة الأنا السادية تذهب، وتبقي العقوبات الأخروية، مع ما تحمل من أسى وحسرة آنذاك، فقد روي عن النبي ﷺ انه قال: "إن الذي يعذب الناس في الدنيا يعذبه الله في الآخرة" (الجارود، ١٩٨٨، ٢٧٩).

والعمل الصالح في الدنيا يرافق المؤمن بعد موته، ويكون له نوراً، وسنداً في تجاوز المواقف العصيبة، عند السؤال في القبر وشدته، ومنها التوحيد الحقيقي، الذي يتجاوز اللفظ، إلى السلوك الحقيقي، فيكون لسان المؤمن، موحداً، حيث ينسب كل فعل إلى ربه في العطاء والمنع، فلا ينشغل بحمد العباد وذمهم، إذا ما أعطوه أو منعوه، بل يثني على ربه، ويحمده على الدوام، فيؤمن أن يد الله تفعل في كل شيء، وأقداره هي الحاكمة، فكل فعل أراده الله وقع، وكل فعل وقع أراده الله، وكل ما أراده الله هو حكمة مطلقة، وكل ما هو حكمة مطلقة من الله تعالى، هو خير مطلق، فالله هو مدبر الكون وخالقه ومبدعه، فالرزق والعطاء والرحمة والتوفيق له تعالى، عزّ شأنه وجلاله، فينعكس التوحيد من القلب إلى الجوارح، إلى أعماق النفس، فتكون من أهل الطمأنينة والتفويض لله تعالى، وهذا معنى لا اله إلا الله، فعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله



وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (البخاري، ١٩٨٧، ٤/ ١٧٣٥)، وفيما يروى أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: "لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

والأعمال درجات، في الأجر والمثوبة، والعاقل من لزم محاب الأعمال في القرآن والسنة، فعن سهل قال سمعت النبي ﷺ يقول ثم موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٨).

وافرد الأمام البخاري باباً عنوانه "قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وجاء فيه عن عبد الله بن عمر ﷺ قال "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان بن عمر يقول إذا أمسيت فلا وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقال علي بن أبي طالب: "ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا نجاسة وغدا نجاسة ولا عمل بمزحزحه بمباعده (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٨).

والدنيا دار غرور، وبنيت على ذلك، والكيس الفظن، من حاسب نفسه حساباً عسيراً، وعمل لما بعد الموت، وتهيأ للعرض على الله تعالى، فالدنيا بضع وقت وجيز، فلا عبرة بمن يؤمل فيها، لأنها ستخذله، ويفارقها، فالموت بين عينيه، وهو لا يدري، في لهوه وغفلته، فكم من غافل ضاحك لاه، وكفنه يسنج في الغيب، وهو لا يدري، فعن ربيع بن خثيم عن عبد الله ﷺ قال: "خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغار إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن



أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٩)، وفي رواية اخرى عن أنس ﷺ قال: "خط النبي ﷺ خطوطا فقال هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٥٩).

وفي صدد تخليص القلب من التعلق المذموم بالدنيا ودفع الأمل الذي يؤدي إلى التهلكة، وترك العمل للآخرة، ما رواه أبو هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "يكبر بن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠).

وافرد الأمام البخاري باباً عنوانه من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعني الشيب، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢٣٦٠)، وفي العنونة هنا لفتة معبرة، لأنها تفيد أن من بلغ الستين، ولم يسلك جاداً في طريق الآخرة، فقد وقع في التهلكة، والحجة قائمة عليه لا محالة.

والنص هنا يؤكد على عظم العلم بالآخرة، وانه لا عبرة بعلم الدنيا في المادة والمال والخلق والمعاش، إن كان فارغاً من الآخرة، لأن هذا العلم لن يضبط الغرائز، ويحرر الكسب من الحرام، وهو محض توجه نحو المادة أو تأليه العلم والمختبر أو الآلة والمصنع، فيخرج عن إنسانيته، وسمته الأخلاقية، وهذا ما نلحظة في المجتمعات الغربية، حيث أن تقنياتها التكنولوجية، ومساهماتها العلمية، لم تقودها إلا إلى الإلحاد، واللصوصية على المجتمعات المستضعفة في نهب خيراتها ومقدراتها، واستخدام تقنياتها النووية والتسلحية، في تدمير البلاد وقتل العباد، والإدعاء بحقوق الإنسان والقيم، في عقر دارهم، وانتهاكها الصارخ في بلاد الشعوب المستضعفة والفقيرة، فماذا قدم للغرب علمهم الدنيوي، وقد فقد كل معاني الإنسانية، وفي هذا الصدد عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١/ ٢٧٣)، وفي رواية أخرى للنص وعن أبي هريرة ﷺ قال قال



رسول الله ﷺ "إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة" (أبو الحسن، د.ت، ١/ ٤٨٥)، فالعلم في الدنيا يتألق عندما يكون العالم ملتزماً بالمنهج الإلهي، قواماً بالليل، ساعياً في النهار ابتغاء مرضاة ربه، يستهدف في علمه خدمة أمته المسلمة في كل مكان وزمان.

والسنة النبوية تضمنت البشارة للأمة المسلمة، إذا ما انتصرت على نفسها، بالتزام المنهج الرباني، وانتصرت على معاصيها، وأقامت أمره تعالى فيها، دون مواربة، بجد ومثابرة، فهنا لا تتكالب عليها الأمم، ولن يكون للأمم الطاغية سلطاناً عليها، وسيكون التمكين لها، وان كانت على قلة في العدد والعتاد، والطغاة على كثرة ومال وعتاد، فالعبرة هنا بأيمانها بالله والتزامها بأمره فهو يرجح كفتها ولو كانت على غير كفؤ مع الطغاة في العدد والعتاد والعلم والمعرفة، وان انساقت للدنيا ومتاعها الزائل، وعكفت على شهواتها، ومالت للشبهات يمنة وشمالا، وهان أمر الله عليها، عندئذ تهون على الله، ولا يبال الله بها، على أي وادي هلكت، فإن عملت الأمة للآخرة، ربحت الدنيا والآخرة، وان ركنت لدنياها وعكفت عليها، سلط الطغاة عليها، وخسرت الدنيا والآخرة معاً، عن أبي بن كعب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "بشر هذه الأمة بالنصر والسناء والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ١٣٢)، وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة (المقدسي، ١٩٩٠، ٣/ ٣٥٨)، وعن أبي بكرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم" (ابن حبان، ١٩٩٣،٢/ ٢٠٠).

والأصل في حياة المؤمن، أن تكون الآخرة حاضرة في قلبه، مركز عمله، ونور حياته، يستشرف من خلال معاييرها، نمط عمله في الدنيا، ويعمل بمقتضى ذلك، فتكون همه وغايته، وتكون حاضرة بين عينيه، كأنه يطالع جنانها، فيرجو رحمته، وبين عينيه جهنم وعذابها الأليم، فيخشى أن يكون من أهلها، هذا معنى أن تكون الآخرة موضع همة وغايته، فتهون الدنيا بين عينيه، فعند تلك الروح الإيمانية الراقية، تواتيه كل اغراءات الدنيا، فلا يبالي بها،



لأنه عرف الحقيقة، أما من كانت الدنيا غايته، فحاله يختل بين الصراعات والأحزان والفجائع والقلق والأزمات النفسية والخوف الذي يهده، فتجده غنياً ويملك كل معايير السعادة الدنيوية ولكنه اتعس الناس، مشتتا مشرذماً بين الجهات الأرضية، وربما تجد فقيراً يفتقد كل معايير السعادة الدنيوية، ولكنه سعيداً غنياً بالقناعة في قلبه، والسكينة في حاله، والتعلق بالآخرة لأنها دار التشريف والفصل بين العباد، وعدم الركون للدنيا لأنها منزل ترح لا فرح ومعبر لا مستقر، فعن زيد بن ثابت ﷺ، إن رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماع، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٤٥٥).

فالتعلق بالدنيا، يشتت المسعى، وتناله الشدة والخوف، فالخوف من الفقر، فقر، والخوف من المرض مرض، وان ركض في الدنيا ركض الوحوش لم يأته منها إلا ما كتبه الله تعالى له، فعن زيد بن ثابت ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم؛ إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته؛ فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته؛ جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة" (ابو الحسن، د.ت، ١/ ٤٧).

وافرد ابن حبان باباً عنوانه " الإمعان في الدنيا، يضر في العقبى، كما أن الإمعان في طلب الآخرة، يضر في فضول الدنيا، وأورد فيه هذا الحديث عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال ثم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٤٨٦)، وافرد ابن حبان باباً عنوانه " الخبر الدال على أن على المرء أن لا يعتاض الآخرة بشيء من حطام هذه الدنيا الفانية الزائلة، فعن أبي موسى قال



أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه فقال له ائتنا فأتاه فقال له: رسول الله ﷺ سل حاجتك قال ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل قالوا: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل قال: إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال ما هذا فقال علماؤهم إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل قال فمن يعلم موضع قبره قال عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال: دليني على قبر يوسف قالت حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقالت: أنضبوا هذا الماء فأنضبوه، فقالت: احتفروا فاحتفروا فاستخرجوا عظام يوسف فلما أقلوها إلى الأرض وإذا الطريق مثل ضوء النهار" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٢/ ٥٠١).

وحثت السنة على كل ما من شأنه، تعليق العبد بالآخرة، وتذكيره بها، حتى لا تأخذه الدنيا في غفلتها، فينسى مآله في غمرة معاشه، ويفقد أنوار تذكرها، في ظلمة هموم الدنيا ومعضلاتها، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة" (ابن حبان، ١٩٩٣، ٧/ ٢٢١)، وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء أن يزور قبرا فليزره فإنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الآخرة" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٥٣٢).

ووضعت السنة النبوية معايير، لطالب الآخرة والساعي إليها على وجه الحقيقة لا الإدعاء، بأنه المشمر لها، الذي لم يهوي أمام اغراءتها، عرف هدفه، فوجه جهده وطاقته إليه، ولم يشتت جهده، فيما يصرفه عن هدفه الأخروي الأول والأخير في الحاية، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، قال أبو حاتم قوله ﷺ الإيمان ليأرز إلى المدينة يريد به أهل الإيمان وذلك أن المدينة خشنة قفرة ذات بسابس ودكادك، منع الله جل وعلا عنها طيبات اللذات في الأعين والأنفس، وقدر فيها أقواتها لمن طلب الله والدار الآخرة فلا يركن إليها إلا كل مشمر عن هذه الفانية الزائلة ولا قطنها إلا كل منقلع بكليته إلى الآخرة الدائمة (ابن حبان، ١٩٩٣، ٩/ ٤٦).



وتحدد السنة معايير الصلاح والخلق الحسن وذوي الكلمة الطيبة، بأنهم من طلاب الآخرة والعاملين لها، فبشرهم النبي ﷺ بالمقام العلي، والقرب منه ﷺ، فعن أبى ثعلبة الخشني ﷺ عن النبي ﷺ قال إن أحبكم إلي وأقربكم منى في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً وان ابغضكم إلى وابعدكم منى في الآخرة أسوؤكم أخلاقا المتشدقون المتفيهقون الثرثارون (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٢/ ٣٦٨).

وأنماط الناس في الدنيا، متنوعة، بين طالب للآخرة، وهالك نفسه في طلب الدنيا، فقد روي عن النبي ﷺ انه قال: "الناس أربعة، والأعمال ستة؛ موجبتان ومثل بمثل وحسنة بعشر أمثالها وحسنة بسبع مائة ضعف، والناس موسع عليه في الدنيا والآخرة وموسع عليه في الدنيا مقتور عليه في الآخرة، ومقتور عليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة، ومقتور عليه في الدنيا والآخرة، وشقي في الدنيا وشقي في الآخرة، والموجبتان من قال لا إله إلا الله أو قال مؤمنا بالله دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله دخل النار، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرة أمثالها، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة مضعفة، ومن أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مائة ضعف" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٤/ ٤٥).

وافرد ابن حبان بأبا عنوانه "أن الدنيا يملكها من لا حظ له في الآخرة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "لا تنقضي الدنيا حتى تكون ثم لكع بن لكع" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٥/ ١١٦).

والآخرة دار التشريف للمؤمن، حيث مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، في نعيم خالد لا يفنى، فعن أبي هريرة ﷺ يقول: قلنا: "يا رسول الله إنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، فقال: لو تكونون على كل حال على الحال الذي أنتم عليه عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفكم، ولو أنكم في بيوتكم ولو لم تذنبوا، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم، قال: قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؛ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ أو الياقوت، وترابها الزعفران؛ من يدخلها ينعم فلا يبؤس، ويخلد لا



يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم؛ الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات (حبان، ١٩٩٣، ١٦/ ٣٩٦).

وحضت السنة على التسابق على الأعمال التي ترفع رصيدك الأخروي، في همة وسعي، لأنك بذلك تسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض، مهيأة للمتقين، فعن مصعب بن سعد عن أبيه قال الأعمش ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال "التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة"، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ١٣٢).

والعاملون في الآخرة، هم نخبة الصفاء في المجتمع، وجوههم مشرقة بالنور، يسارعون إلى محاب الأعمال في القول والعمل، خيرهم عميم، وحيثما حلوا نفعوا، فعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "المعروف إلى الناس يقي صاحبها مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٢١٣).

والسنة توجهنا، إن الدنيا دار بلاء، وان المؤمن يتعاطي مع الأبتلاءات بروح عالية لأنه على يقين بأن الصبر والاحتساب، يرفع رصيده الأخروي، وان في كل ألم وشوكة وهم وحزن تكفير من الذنوب والخطايا، وانه في الخير العميم في السراء والضراء، ففي كل أمره خير، إن إصابته نعمة شكر، وان إصابته ضائقة صبر واحتسب الأجر عند الله يوم لقائه تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ قال "عاد رسول الله ﷺ مريضا من وعك كان به ومعه أبو هريرة، فقال النبي ﷺ: أبشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٤٩٦)، وفي نص أخر؛ بينما أبو بكر الصديق ﷺ يتغدى مع رسول الله ﷺ إذ نزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فامسك أبو بكر وقال يا رسول الله أكل ما عملنا من سوء رأيناه، فقال ما ترون مما تكرهون فذلك ما تجزون؛ يؤخر الخير لأهله في الآخرة، صحيح الإسناد ولم يخرجاه (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٥٨٠).

ويعد القبر أول منازل الآخرة والعبرة فيه على نوعان، إن ما ينفع المرء ما يأخذه معه في القبر من العمل الصالح، وعدا ذلك لا عبرة فيه من البيوت الأنيقة والمركبات الفارهة وأرصدة البنوك والمشاريع الضخمة، هذا من جهة، والعبرة الثانية، في النجاة من ما يواجه المرء في القبر من السؤال والشدة، فعن هانئ مولى عثمان بن عفان قال: "كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فيقال له: قد تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه" (النيسابوري، ١٩٩٠، ١/ ٥٢٦).

وعمل الصحابة، كان نبراساً من نور، لأنه كان على منهج النبوة، فمعاييرهم أخروية بامتياز، فهم لا يعتدون بالدنيا وما حفلت من مقايسها في التفاخر والتباهي والاعتداد بالذات، فقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "لا تغلوا صدق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة، كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أنكح شيئا من بناته ولا نسائه فوق اثنتي عشرة أوقية وأخرى تقولونها في مغازيكم قتل فلان كلاهما مات فلان كلاهما ولعله أن يكون قد أوقر عجز دابته أو دف راحلته ذهبا وفضة يبتغي" (المقدسي، ١٩٩٠، ١/ ٤١٠).

وتعلمنا السنة، إن قيمة العمل الأخروي، في الدرجات العلى، يتركز في حسن الخلق مع الناس، ورفع الأذية عنهم، وخدمتهم واعانتهم، فعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ: قال: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل جهنم وهو عابد (المقدسي، ١٩٩٠، ٥/ ١٩١).

وقيل لأحد العلماء: صليت صلاة فوجدت لها لذة فقال: أي شيء لذتك منها، قال قلت: لم يرني أحد، قال: أنت ضعيف حين خطر الناس على قلبك في الخلاء، قال رجاء: لأبي سليمان إني أريد من الدنيا أكثر مما أعطى قال: لكني أعطيت منها أكثر مما أريد، وورد أيضاً طوبى لمن حذر سكرات الهوى، وسورة الغضب، والفرح بشيء من الدنيا؛ فصبر على مرارة التقوى؛ وطوبى لمن لزم الجادة بالانكماش والحذر، وتخلص من الدنيا بالثواب والهرب



كهربه من السبع الكلب، طوبى لمن استحكم أموره بالاقتصاد، وأعتقد الخير للمعاد وجعل الدنيا مزرعة، وتنوق في البذر؛ ليفرح غدا بالحصاد، طوبى لمن انتقل بقلبه من دار الغرور ولم يسع لها سعيها، ومن برزت له حظوات الدنيا وأهلها منه على بال، اضطربت عليه الأحوال؛ من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها، بنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد ومقامع من حديد وشراب الصديد، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ونعيم الأبد في ظل ممدود وماء مسكوب وانهار تجري بغير أخدود، وكيف يكون حكيما من هو لها يهوى ركون، وكيف يكون راهبا من يذكر ما أسلفت يداه، وإن ذاب الفكر في الدنيا فهو حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولاية، والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلب، ومن نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه جبها، ومن تمت معرفته اجتمع همه في أمر الله وكان أمر الله شغله (الأصبهاني، ١٩٨٤، ٩/٢٧٨).

الفصل الثاني

رؤى فلسفية متفردة للحياة



الفصل الثاني

رؤى فلسفية متفردة للحياة

تنوعت رؤى الفلاسفة حول الحياة، وقد أخذت وقتهم وجهدهم وكل إمكانياتهم، وسلبت عقولهم، في المحاولات تلو المحاولات، لفهم كنهها، وجوهرها، وماهيتها، وهل هي البداية والنهاية معا، أم أنها بداية النهاية، واحتارت أقوالهم، واختلفت، واتفقت، فكل يعبر عن رؤيته وفق منظومته الفكرية، وكلٌ يراها من وجهة نظره، وكلٌ يراها من زاويته، ومساحات النفسية التي يتمتع بها، وهذا الفصل يركز على رؤى مختارة، فيها درجة من التفرد، والتميز، والمساحات الإيجابية في العرض، وإدرجها على النحو الآتي:

فلسفة الكندي للحزن

يعرف فيلسوف العرب الكندي الحزن بأنه ألم نفساني يعرض لفقد المحبوبات أو فوت المطلوبات، ويقول إنه لا يسلم منه أحد في هذه الحياة التي لا ثبات لما فيها من خيرات، ولا سبيل فيها إلى وصول الإنسان لكل ما يريد.

والحزن ينشأ من أن الإنسان يعتمد في سعادته على أنواع المقتنيات المادية التي لا يمكن تحصينها من عوادي التغير والتي هي بطبيعتها "مقبلة مدبرة ومبذولة لكل متغلب"، وذلك بدلا من أن يوجه إرادته إلى الممتلكات العقلية التي هي ملك لصاحبها حقيقي باق ولا يستطيع أن يغلبه عليها غالب أو يغصبه إياها غاصب، والحكيم في نظر الكندي هو الذي يكون بالنسبة لأنواع القنية المادية كالملك الجليل المتعزز بنفسه؛ الذي لا يتلقى مقبلا، ولا يشيع ظاعناً.

ولما كان الإنسان في حقيقته هو النفس الباقية لا الجسد الداثر، ولما كانت النفس أيضا هي السائس والبدن هو المسوس والآلة فإن الواجب على الإنسان أن يتعهد نفسه وأن يتحمل في سبيل ذلك من المعاناة أكثر مما يحتمل من الألم لإصلاح أمور بدنه، وهو يستطيع

ذلـك إذا أخـذ نفـسه بقـوة العـزم وألـزمها في أخلاقهـا الأمر الأكبر، وضبطها بالإرادة عن المطالـب والانفعالات التي ينشأ عنها الحزن، ثم يذكر الكندي كثيراً من أنواع الحيلة والتبصر والحكايـات الـتي تعين على احتمال الأحزان، ويدعو القارىء إلى أن لا يستسلم للحزن وأن يدفعـه عـن نفـسه بـأن يتذكـر كـم سـلا هو نفسه وسلا غيره عن الأحزان، وأن يقبل الحياة بحسب طبيعـتها، وأن لا يطمـع في أن يـستأثر بالأشـياء، أو يحـسد غـيره، على ما عنده وأن خـيرات الدنـيا عاريـة مـن الله جل ثناؤه يستردها متى شاء وعلى يد من يشاء، بحيث يكون الحزن على ما يفوت من الخيرات خروجا عن أقل الشكر لله، وهذا مالا ينبغي للعبد في حق ربه جل جلاله.

ومـن وسائل التسلية للمحزون؛ إقناعه بأن الحزن شيء طبيعي ملازم للحياة، بحيث لا يكـون هـناك معنى للتفكير فيه، وكل المعول في ذلك على تنبيه الإنسان إلى حقيقة روحه، وأنهـا جوهـر شـريف حـصين باقـي، وتربية الشعور بالشخصية الإنسانية حتى تؤمن بقوتها وأسـتغنائها عن الكثير مما يطلبه الإنسان ويقتنيه؛ فيجلب بذلك لنفسه القلق، ويعاني متاعب الطلب وآلام الفقد.

ويـشبه الكندي بنى آدم في اجتيازهم هذه الحياة الخادعة الفانية إلى العالم الحق؛ بقوم في سـفينة تحملـهم إلى غاية ينشدونها، فترسو بهم حيناً على شاطىء حافل بالأشياء الجميلة، فمـنهم مـن خرج ولم يأبه لما رأى من مغريات ورجع إلى مكانه، ومنهم من استهوته الرياض الزاهـرة ،والطـيور الـتي تغني، والأحجار الكريمة، فبقى حينا ومتع نفسه بلون ورائحة ونغم، ولم ينـسى غايـته، فعـاد إلى مكانـه، ومـنهم الذين أكبوا على اجتناء الأزهار والثمار ونحوها، وعـادوا مـثقلين بمـا حملـوا، ولم يجـدوا لمـا حملـوه مكانـاً فسيحاً، وأخذوا يتعهدونه مع القلق والخـوف علـيه، وهو يفنى من أيديهم فيحزنون عليه، حتى ثقلت عليهم مهمة المحافظة عليه، فقذفـوا به في البحر، وآخرون تولجوا في المروج الكثيفة، يجمعون ويتمتعون، بين روعة ونكبة وافتراس سبع أو تلطيخ وحل، غافلين عن غايتهم، فلما نادى قائد المركب للمسير؛ كانوا قد توغلـوا في الغـياض وغـرقوا في المتاع، فلم يبلغهم نداؤه، فتركوا للمهالك والتهمتهم لهوات المعاطب.



ويخلص الكندي من هذا إلى أنه يقبح بالعاقل أن يكون من مخدوعي حصى الأرض، وأصداف الماء وأزهار الشجر، كما يحسن به، إن أراد أن يأسى على شيء، فليأس على عدم بلوغه مكاناً حسناً في العالم الحق الدائم الذي ليس فيه إلا الخيرات الحقيقية التي لا تنالها الآفات، ولعيش فيه الإنسان فوق الآلام والأحزان.

ولا ينسى الكندي أن يعنى بدفع ما يلحق النفوس من غم بسبب الموت الذي لابد من مواجهته في يوم من الأيام، وهو هنا يعمل إلى المنطق، فيقول لقارئه إن الموت ليس شراً، لأنه تمام الطبيعة الإنسانية!، وهو جزء من مفهوم الإنسان في هذه الدنيا، لأنه هو الحي الناطق المائت، فلا بأس أن يكون الإنسان ما هو في حقيقته، ومن يرفض الموت فكأنه يرفض الحياة.

ويريد الكندي أن يطمئن قارئه بأن يشرح له كيف جاء وإلى أين سيصير بعد الموت، ويرشح له باب الأمل، فيقول له إن الإنسان يتنقل لأطوار الخلقة من طور خلايا غذائية في أعضاء البدن إلى نطفة في مستقرها تصير جنيناً ثم يخرج إلى هذا العالم، وهو في كل مرحلة ينتقل إلى ما هو أرحب وأوسع، ولو طلب منه أن يعود إلى ما قبلها لحزن كل الحزن، ولو عرض عليه أن يعي إلى بطن أمه، وكان يملك كل ما في الأرض، لافتدى به نفسه، فليعلم الإنسان إذن أنه إنما يجزع من مفارقة هذه الحياة لشدة تعلقه بما فيها من ماديات حسية، هي في الواقع مصدر آلامه، ولجهله بما هو فيه من ضيق هذه الدنيا وبما سينفتح له بعد الموت من آفاق فسيحة وملك عريض دائم وخلاص من كل الآلام وخيرات لا تنالها الآفات، وهو لو أقام في ذلك العالم الجميل ونعم حيناً بلذاته الخالية من الكدر، ثم أريد منه أن يعود إلى هذه الدنيا، لكان جزعه أضعاف جزعه لو أريد إرجاعه إلى ضيق بطن الأم وظلامه، فحري بالعاقل أن لا يعطي هذه الحياة من قيمة أكثر مما تستحق، ولتكن عنده هي المرحلة الأخيرة الشاقة قبل بلوغ الغاية العظيمة، وليصبر على المصائب التي تصيب الخيرات المادية، لأنها تقلل أحزانه وتخلصه من القلق عليها، وليعلم أن المصائب تقلل من وقع المصائب، حتى تصير عند الحكيم كالنعم، وأن التقلل من المقتنيات فيه إخضاع للشهوات التي هي ينبوع الرذائل والآلام والتي تسترق الملوك، فمن سيطر عليها استطاع امتلاك ناصية عدوه المقيم معه في حصنه، وليعلم أن النفس الشهوانية نفس سقيمة وسقامها أعظم من سقام البدن.



ومن هنا يجتهد الكندي في علاج الحزن، وهو في ثنايا كلامه ينحو نحو سقراط وأفلاطون، ويرسم سيرة فلسفية تحر الروح من المادة وتسري في كلامه روح إسلامية إيمانية بالمصير الإنساني، وهو يختم رسالته بأن يطلب من قارئه أن يجعل ما قدمه له من وصايا مثالاً ثابتاً في نفسه، لينجو بها من الحزن ويبلغ بها افضل وطن من دار القرار ومحل الأبرار.
(www.islamset.com)

ومن الواضح أن الكندي يريد من قارئه أن يكون فيلسوفاً مثله، وهذا ليس بالأمر السهل، لأنه يحتاج إلى الحكمة الكبيرة وقوة الشخصية واعتزازها بنفسها. والحق أن الكندي، خصوصا في أخريات حياته، عانى الكثير، وتؤثر عنه أبيات عبر بها عن نفسه عندما انقلبت عليه الأحوال وكاد له الأعداء ممن لم يكن لهم ما كان له من نسب ولم يبلغوا من العلم ما بلغ، هو يقول:

أناف الذنابى على الأرؤس فغمض جفونك أو نكس

إلى أن يقول:

فإن الغنى في قلوب الرجال	وإن التعزز بالأنفس
وكائن ترى من أخي عرة	غني وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت	على أنه بعد لم يرمس
فإن تطعم النفس ما تشتهي	تقتك جميع الذي تحتسي

ومن هنا تبرز فلسفة الكندي في مداواة الحزن، وهو موجه إلى قراء عصره الذين كانوا يعرفون آراء اليونان، ولابد أنهم عرفوا ما عرفه هو من الأحزان.



فلسفة الرازي والحياة

كان الرازي طبيباً مبتكراً، وكانت مؤلفاته مراجع في الشرق والغرب. وله آراء في الطبيعيات وأخر ى في الفلسفة، وكما أنه كان طبيباً للأبدان فإنه أراد أن يكون طبيباً للنفوس، وطبه هنا أخلاقي- نفسي- إيماني، كما سنرى.

وهو في كتابه السيرة الفلسفية رسم أسلوباً لحياة الإنسان على أساس أن له بعد الموت حياة فيها سعادة أو شقاء، فعليه أن لا يتبع الهوى الذي يدعوه إلى إيثار اللذات الحاضرة، بل يتبع العقل ويقتني العلم ويستعمل العدل؟ وهذا هو، كما يقول الرازي، ما يريده خالقنا الرحيم الذي منه نرجو الثواب ونخاف العقاب.

وخلاصة السيرة الفلسفية هي أن يكون الإنسان في أفعاله مقتدياً بخالقه، عادلاً رحيما رؤوفاً. أما عن تفصيل هذه السيرة فإنه يحيلنا إلى كتاب الطب الروحاني الذي اقترح عليه الأمير منصور بن نوح الساماني أمير خراسان أن يكتبه ويسميه بهذا الاسم، ليكون قرينا لكتاب المنصوري الذي غرضه في الطب الجسماني وعديلا له، لما قدر أن الأمير، في ضمه إليه من عموم النفع وشموله للنفس والجسد، وأساس ذلك ما كان يؤمن به الرازي من علاقة وثيقة بين سلامة النفس وسلامة الجسد وتأثير الأحوال النفسية في البدن.

وهو يؤسس طبه النفسي- الأخلاقي على ضرورة استعمال العقل الذي فضل الله به الإنسان على سائر الحيوان، وبه توصل الإنسان إلى العلوم والصناعات، وهذا يقتضي أن يكون هو الحاكم في تدبر حياة الإنسان والداعي إلى السيطرة على الهوى في متابعته للشهوات والتحكم فيه بالفكر والروية والرياضة، لأن متابعة الشهوات والتفنن في تحصيلها ينزل بالإنسان إلى مستوى البهائم.

وللرازي رأي في اللذة، وهو أنها ليست شيئا إيجابيا، بل مجرد راحة من ألم طرأ فكدر الحالة الطبيعية، فلا يصح أن يطلب الإنسان من اللذات إلا بمقدار الحاجة، لكي يمارس حياة الفكر والمعرفة، وبما أن طمع الإنسان في اللذات والخيرات لا يقف عند حد، فإن السعيد من يضع حدا للهوى ونزواته وللركبة في اقتناء الأشياء، وكل ذلك لكي يتفادى الآلام البدنية والنفسية، وهنا يتحدث الرازي طويلا عن السيرة الفلسفية لأفلاطون وأستاذه سقراط.



ويهتم الرازي بضرورة أن يتعرف المرء عيوب نفسه، وهذا لا يسهل عليه بسبب الهوى ومحبته لنفسه واستحسانه لما يفعل، فلذلك عليه أن يلجأ إلى مرب مجرب ويبقى تحت إشرافه ليبصره بإزالة الصفات الذميمة التي تعرض للنفس.

ثم يدخل في ذكر أنواع هذه الصفات ويحمل حملة شديدة على ما يسميه "العشق" وهو "بلية" عظيمة لما فيه من ذلة النفس، والخضوع والاستكانة واحتمال التجني والاستطالة، وهذا ما يحتمله المخنثون من الرجال والغزلون والفراغ والمترفون والمؤثرون للشهوات الذين لا يهمهم سواها ولا يريدون من الدنيا إلا إصابتها وهذا ما يأباه الكبار الهمم والأنفاس. ويضم الرازي إلى العشق ما يسميه "الإلف"، وهو ما ينشأ عن طول الصحبة من كراهة مفارقة المحبوب، وهو "بلية" أيضا، ماذا انضم إلى العشق تعسر النزوع عنه، والإلف يزداد مع مرور الأيام ولا يحس به الإنسان، حتى إذا جاء الفراق ظهر على صورة ألم شديد وأذى يلحق النفس.

ويوجه الرازي نقده اللاذع إلى من يعتبرهم "الموسومين بالظرف والأدب الذين يعارضون الفلاسفة في سيرتهم ويزعمون أن العشق إنما تعتاده الطبائع الرقيقة والأذهان اللطيفة، وأنه يدعو إلى النظافة واللباقة والزينة والهيئة، ويتبعون هذا ونحوه من كلامهم بالغزل من الشاعر البليغ في هذا المعنى، ويحتجون بمن عشق من الأدباء والشعراء والسراة ويتخطونهم إلى الأنبياء، يرد الرازي عليهم بأن رقة الطبع ولطافة الذهن وصفاءه يعرفان ويعتبران بإشراف أصحابهما على الأمور الغامضة البعيدة والعلوم اللطيفة الدقيقة، وهذا لا يوجد إلا عند الفلاسفة، وهو يذكر هنا اليونان، ويلاحظ أن العشق في جملتهم أقل مما في جملة سائر الأمم، فأما الأنبياء فلا يستجيز أحد أن يكون العشق من مناقبهم وفضائلهم.

أما ما يزعمه أولئك الظرفاء من أن العشق يدعو إلى النظافة والزينة فإن الرازي يتساءل: "ما يصنع بجمال الجسد مع قبح النفس، وهل يحتاج إلى الجمال الجسداني ويجتهد فيه إلا النساء وذوو الخنث من الرجال".

ويوجه الرازي في علاجه إلى ضرورة الوقاية من المرض قبل وقوعه، فالواجب في حكم العقل المبادرة في منع النفسي وزمها عن العشق قبل وقوعها فيه وفطمها منه إذا وقدت



فيه قبل استحكامه فيها لا، وكذلك في الإلف: الاحتراس منه يكون بالتعرض لمفارقة المصحوب حالاً بعد حال وبأن يدرج الإنسان نفسه إلى ذلك ويمرنها عليه.

ويتحدث الرازي في علاج كثير من الأمراض النفسية- الخلقية، ومن بعض الأمثلة في ذلك: ومنها انه يعمد إلى تحليل الرذائل ويعتبرها "عوارض نفسية رديئة"، ويشرح أسبابها ثم يصف العلاج، فالعجب مثلا ينشأ من محبة الإنسان لنفسه واستحسانه للحسن منها فوق حقه واستقباحه للقبيح منها دون حقه، أما إذا رأى من غيره شيئاً حسناً أو قبيحاً فإنه، إذا كان بريئاً من الحسد والبغض للغير كان حكمه بالحسن أو القبح عادلا صافيا لا يشوبه الهوى، فأما في حكمه على أحوال نفسه فإن هواه يجعل أدق فضيلة له عظيمة عند نفسه، فيحب أن يمدح عليها فوق استحقاقه، وإذا تأكدت فيه هذه الصفة صار ذلك عجبا، ولا سيما إن وجد قوماً يساعدونه على ذلك ويبلغون من تزكيته ومدحه ما يجب، ومن بلايا العجب أنه يؤدي إلى النقص في الأمر الذي يقع به العجب، لأن العجب بنفسه لا يروم التزيد ولا الاقتداء والاقتباس من غيره في الباب الذي منه يعجب بنفسه.

أما سلاح المعجب بنفسه فهو في رأي الرازي، فإنه يكون بأن يكل اعتبار مساوئه ومحاسنه إلى غيره ... أن لا يعتبر ولا يقيس نفسه بقوم أخساء ليست لهم حظ وافر من الشيء الذي أعجب به من نفسه، فإنه من احترس من هذين البابين لم يزل يرد عليه كل يوم ما يكون به إلى تنقص نفسه أميل منه إلى العجب بها، ومع ذلك يحب الرازي أن يرى الإنسان الفاضل عادلا مع نفسه، هو يقول: وفي الجملة فإنه ينبغي أن لا تكبر وتعظم نفسه عنده حتى يجاوز مقدرا نظرائه عند غيره، ولا تصغر ولا تقل- حتى ينحط عنهم أو عن من هو دونه ودونهم عند غيره، فإنه إذا فعل ذلك وقوم نفسه عليه كان بريئاً من زهو العجب وخسة الدناءة، وسماه الناس العارف بقدر نفسه.

ومن العوارض النفسية الرديئة التي عالجها الرازي داء "الحسد" ويقول إنه "يتولد من اجتماع البخل والشره في النفس"، ويذكر رأي الأخلاقيين في أن الشرير عندهم هو من يتلذذ بما يضر غيره ويكره ما يفيدهم، وإن كانوا لم يؤذوه، وأن الخير هو من يحب الخير للناس ويسره ذلك، والحسد شر من البخل، لأن البخيل لا يحب ولا يرى أن يعطي أحد شيئاً مما



يملكه، أما الحسود فإنه يتمنى أن لا ينال أحد خيراً أصلاً، ولو كان ذلك الخير ليس مما يملكه هو، وأيضا ولو كان من يحصل. على ذلك الخير لم يقدم له أذى ولا إساءة، وذلك داء من أدواء النفوس عظيم الأذى لها.

ويدخل، الرازي في تحليل مفهوم الحسد، ويذكر أن التحاسد لا يكاد يكون إلا بين الأقرباء والمعارف والمعاشرين للإنسان، وهم مثلاً قد لا يحسدون غريبا ملك أمرهم، ويحسدونه إذا كان من بينهم، وذلك من فرط حبهم لأنفسهم، لأن كل واحد منهم يحب أن يكون هو السابق إلى المراتب المرغوب فيها.

ويصور الرازي مضار الحسد للنفس والجسد، هو يضر النفس لأنه يشغلها عن التصرف المفيد لها وللجسد، وذلك بسبب طول الحزن والفكر، ثم إنه يضر الجسد لما يعرض للحسود من طول السهر وسوء الاغتذاء، وينشأ عن ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج، وهذا مما يدعو الحاسد، إذا كان عاقلاً، أن يجتهد في تجنب الحسد وما يجره عليه من عناء في نفسه وبدنه.

أما علاج الحسد فيكون بأن يراجع الحاسد نفسه فيفكر، هو سيرى أنه يكره الخير للناس، وهذا من صفات الشرير، والشرير يستحق المقت من الله ومن الناس: من الله لأنه يعترض على إرادته تعالى، لأنه هو ذو الفضل على الكل المريد الخير للكل، ومن الناس لأنه ظالم لهم بحبه وقوع المكروه لهم وعدم وصول الخير إليهم، ثم على الحاسد أن يتأمل حقيقة حال المحسود، فهذا قد لا يكون في الواقع في السعادة التي يتصورها حاسدوه، لأنه ربما لا يسعد بما ناله إلا مديدة يسيرة يقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها، ثم لا يلبث أن تسمو نفسه إلى ما هو فوقها وتتعلق أمنيته بما هو أعلى، فيستقل ما كان فيه، ويصير بين خوف وهم: أما الخوف فمن فقد ما ناله، وأما الهم فبالحالة الجديدة التي يطمح إليها ويريد بلوغها فلا يزال متعب الفكر والجسد في إعمال الحيلة للتنقل والترقي منها إلى ما سواها، حتى إذا وصل إليه عاد ما كان عليه من خوف وهم، وبعد ذلك يقول الرازي: "وإذا كان الأمر كذلك فيحق على العاقل أن لا يحسد أحداً".

(www.islamset.com)



رونسار والحياة

نسجت الحياة ردائها على الوجود واحتارت في ماهيتها العقول، وتنوعت المدارس الفكرية في تدفق انفعالات التعبير حولها، بين لغات مثالية وواقعية وتعبيرية، ولكنها مقرونة في بعد المدرسة السيكولوجية في لغة المدرسة التعبيرية، التي تكسر القيود وتعلن انسيابات الأنا الكامنة، وترتسم عليها بجمال اسقاطات المكان والزمان، في لغة تتجاوز الواقع، وتسافر في آفاق لغة الذات بين نشوة التعبير والم الإحساس، في الأشكال الأدبية المتنوعة وفي عوالم الفن التشكيلي، وترتكز المدرسية السيكولوجية في التحليل الأدبي في كافة أشكاله الفنية، على معادلة (الأنا، الآن، هناك) وعلى انعكاسات المدرسة التعبيرية في الأدب والفن التي تعتبر الوجود كله امتداد لروح الأديب أو الفنان ونفسيته، والأديب والفنان في مرجعية تلك المدرسة يعتبر مركز الكون والكون نابع منه، وهنا تعتبر الانعكاسات الأدبية والفنية ليست موضوعية وتسجيلية بحته للواقع، بل ذاتية ترتسم بتحليق حر جميل، لذا فهي تخالف الانطباعية التي هي موضوعية قبل كل شيء، ومن ثم إذا كان الأديب أو الفنان حزيناً أو بائساً فالوجود كله قاتم الألوان في انسيابات اليراع وتشكلات الأنا عليه في اسقاطات وانكسارات الزمان والمكان على الصفحات، والقول ذاته في فرشاة الألوان وتشكلها على اللوحة في ألوان قاتمة وانسيابات تعبيرية حزينة في الشعر أو النثر أو القص وغير ذلك حتى لو كانت الشمس ساطعة وتنثر ضحكاتها على الوجود، وهذا هو لب المدرسة التعبيرية التي تستقي من معين سيكولوجيا الذات و ترتسم انعكاساتها على النص أو اللوحة بلغة اللاشعور الدفين المختزن في الأعماق، وربما هذا هو مصدر ضعفها عند بعض النقاد ولكنه أيضا مصدر قوتها وجمالها بل وروعتها الساحرة في الأسقاطات، وكما يقول أحد الفنانين في الغرب في هذا الصدد (بدلا من أن أحاول أن انقل ما أمام عيني بحذافيره فأنني استخدم اللون استخداماً جائراً حتى اعبر عن نفسي بقوة اكبر).

ويجدر بالذكر هنا أن لغة استيعاب الأنا والوجود ومنظومة اسقاطاتهما لا تتشكل لتوها عند تشكل الحروف على السطور أو رقصات الفرشاة مع الألوان، بل تكون قد اخترقت مرحلة الإشباع في ذبذبات التماهي في الأنا والوجود، التي تخلق معها الحروف



وانسيابات الألـوان، فتغدو الصورة الفنية التعبيرية في الأدب واللوحة الفنية في تماهي مبدع، تـشكلت مادتـه مـن لـوحة الواقـع واسـقاطاتها وتماهـيات الأنـا وتعـرجاتها في الـشعور وانعكاسـات الـزمان والمكان الذي تختزنه مشاعر الأديب والفنان فتنصهر في بؤرة أيدلوجيته وكـنه أفكـاره، فـتخلق مـادة ابداعـية في حلـة سـيكولوجية مرهفة، تتجاوز القيود والأسوار وتـسافر بعـيدا في عـوالم اللامالـوف وارتسامات العاطفة بانسياب تحت مظلة حرة لا تقيدها الأسـوار والحـدود. وبـذلك لا تكـون الـصورة الفنية نقلاً للواقع الخارجي بل هي شحنات عاطفية متولدة من انصهار الوجود في مخيلته ثم افراغة على المادة الأدبية أو الفنية التي تشكل تـؤامة روحـية مـع انعكاسـات الأنـا في ذاتـه الدفيـنة في عوالم اللاشعور الدفين لا جزءاً من الواقع الموضوعي المحيط به.

والـسؤال المطـروح هـنا حـول ماهـية الحياة؟ وهل هي ذاتها في الدراما المتشكلة في المـسرح في كافـة اشـكالة أو لغـة القـص والرواية أو انسكابات الشعر في اللذة والألم أو لغة الفـن التـشكيلي في كافـة خطوطها، ومن وجهة نظري أن السؤال المطروح بهذه الصيغة عند الكـثيرين يقتـضي تعـديل الـصياغة فـيه في بعـد مدرسة سيكولوجيا الأدب ليدور حول هل الحـياة تتـشكل في تلـك الفنون جميعا في المدرسة المثالية أو الواقعية أو التعبيرية، وهل تتحقق ماهيـتها في ظل المدرسة الكلاسيكية المحافظة في قيودها الصارمة أم المدرسة التعبيرية الحرة في التعبير، أم لا بد من حالة تماهي تتوسط بينهما فتشكل ماهية الحياة.

وتبقـى في نهاية المطاف سيمفونية الحياة مفردة احتار فيها الفلاسفة وتغني بها الجميع وتاهت في موائد التنظير عند علماء النفس، وكل بذل ما في وسعة في تحديد جوهرها وكنهها الـدفين، وبقـيت عصية على كشف ردائها الأرجواني الذي يخبئ جمالا وجوديا ماسيا خاصا في الوجـود وبقـيت ظلالا فحسب تتشكل اشراقاتها النورانية على السطور، وستبقى شعورا ذاتـيا يـنعكس في ظـلال الأنـا بكافـة ألوانها، وانعكاسات أزمان في كافة أطيافه، وإسقاطات المكـان في كافـة تناثـراته، وسـتبقى شـحنات مـتماوجة بين هدير هائج وانسياب هادئ وبين أسوار مغلقة وأفاق حرة شاسعة تخترق الحدود في لغة الوجود.



وعلى حد قول الشاعر الفرنسي رونسار:

يا صغيرتي هيا نرى الوردة
هل أسقطت هذا المساء
طيات فستانها الأرجواني
ولونها صنو بشرتك الجميلة؟
واحسرتاه! انظري في هذا الوقت القصير
يا صغيرتي، قد ألقت الوردة على التراب
واسفاة! كل جمالها
يا للطبيعة القاسية!
آه لتلك الوردة الجميلة التي لا تعيش
إلا بين صباح ومساء
صدقيني إذاً يا صغيرتي
أنت في زهرة العمر
وفي خضرته المتجددة
اقطفي شبابك قبل أن يأتي عليه العمر
كما تقضي على الوردة الناضرة

وكما يجسدها الشاعر الفرنسي دي بولليه:

لو أن عمرنا ليس إلا نهارا واحدا بالنسبة للخلود ن لو أن السنة التي تدور تذهب بأيامنا دون رجعة،
لو أن الأنسان مصيره الفناء ..
يا أيتها الروح الحبيسة، ففيم الفكر اذاً؟
لم تفضلين ظلمة العيش.

وأنت تمتلكين أجنحة.
تقودك، لو أردت، إلى بلاد النور؟
هناك الخير الذي تصبو إليه كل نفس ..
هناك الراحة التي تتوق إليها..
هناك الحب والهناء.
هناك، يا أيتها الروح، ستحلقين إلى العلا،
وستلتقين بالله.
الذي أعشق هنا صورته ...

ثنائية نيتشة وجاسبرز في الحياة

تتسارع الأيام وتزداد الفجوات وتنكمش حيناً آخر لتلتقي عند مفصل زماني واحد، فيغدو الأمس اليوم، والغد فيهما واحد، وذات الواقع بعينه الذي يجدد جيناته موروثات الماضي ودينامية الحاضر ونشوة استشراف المستقبل، فيتشكل مقطعاً واحداً في ثلاثية (الماضي، الحاضر، المستقبل) في لحظة سبر عميقة عند الإطار العام للوحة الحياة وأركان وحداتها الرئيسة، وتتشكل هنا التساؤلات في ظل تلك الثلاثيات الساكنة على مقاطع الزمان، هل هي وجه الواقع في آنه أم هي عين لغة الحضارة في كافة أشكال مقاطع محياها في نضرة الجمال وشحوب الطلة، وعند تلك الجدلية الحائرة تتحرك طرقات استلهامات الأوراق القديمة وانتثارات حروفها الباحثة الناقدة في عوالم تؤامية، وترتسم في لغة نيتشه وجاسبرز، في رؤية جمعية لمقاطع زمانية غابرة، وكأنها لغة ناطقة في ديارنا العابرة نحو آفاق مجهولة مبهمة.

فيشير نيتشة في كلماته النقدية العتيقة لواقعه، انه متأزم حتى النخاع، سواء من سلسلة التفكك الأسري التي تتهاوى شيئاً فشيئا، وانهيار التقاليد، وتواجد تكتلات جمعية لأضعاف الفرد، وبقائه حرف بلا معني في تركيبة المجتمع، وظهور نوع من الزعماء المنافقين المتخصصين في التملق للجماهير وعبادة الدولة، وتسخير الحضارة لغايات همجية، وظهور



اقتصاديات المنفعة التي انعكست في إيمان المجتمع بالقيم السوقية، وتسخير غايات الحضارة للأغراض الشخصية، وتبديد طاقات قدر كبير من طاقات الأفراد في هم الكدح ولقمة العيش، حتى لا يكون هناك لغة تفكير في الأدمغة باستثناء هم لقمة العيش، في متتاليات حرمان فكري، وتحويل الفرد إلى عبد للميكانيكا، وتدهور المعتقدات الدينية والأخلاقية، إذ لم يعد الفرد مركزاً للكون ولكنه اصبح فكرة مسخرة في خدمة الأخر القوي.

فضلاً عن إهدار آدمية الفرد عبر قنوات التعليم وطغيان البعد التدريسي الجامد، حيث يقهر العمل الخلاق ولا يولد البته، فانتشرت الضحالة فيه، وأصبحت غايته تخريج عبيد من الموظفين السطحيين الملمين بالقراءة والكتابة فحسب في نتاجات سطحية وثقافة قاصرة، لا تتذوق إلا الأعمال الرديئة من الموسيقى والشعر، لذلك فأن أنظمة التعليم هذه هي أسوأ عائق لخلق حضارة نضرة، وفي الفن طغت الصنعة على الأصالة والنعومة المخنثة على الفحولة واصبح شعاره التأثير بأي ثمن، والجري وراء طرائف الموضوعات الغريبة أو المريضة أو المرعبة، وتلفيق الأساليب المستعارة، والخضوع الكامل لأذواق الجماهير أو المجهدين الباحثين عن المتعة أو الأغبياء.

وفي الدين تترأى لك بجلاء سلبية المتدين الذي ينأون بأنفسهم عن إيجابيات الدين والانغلاق في ظاهرية النصوص، وركونهم نحو مطالب الدين عن الدنيا، فضاعت الدنيا في سوء الفهم في سلوكهم الظاهر، وبقيت دفينة الأعماق تعمل أثرها في الدمار للمنهج وحقيقة الفهم.

فضلا عن اختفاء عمالقة الإبداع ليحل محلهم نفر من الأقزام الذي لا يليق انتسابهم للمهمة الجليلة التي تضطلع بها فلسفة الحضارة والحياة .فلسفة الحقيقة، وتواتر استنساخي على الركون إلى الماضي ورواية تاريخه بنمطية مترهلة.

وفي البعد الأخلاقي بلبلة من المثل المتضاربة الحائرة بين النزعة الإنسانية والتفاؤل والإيثار والرحمة ونوع من الرخاوة والنفاق ومنظومة متناقضات ومنها من يدعو إلى مثالية زائفة تتجاهل الحقائق. وإهمال الذات في الهروب نحو المعاش والآمة وعدم الاستماع لنداءاتها في لغة الوجدان، حيث يغدو الفكر فيها مشوشا، ولاشيء يستطيع النفاذ إلى قاع



الـوجدان، وظهـور آدمـية متناقـضة من المتسامحين الضعفاء أو من المتعصبين الأغبياء، وبروز أزمة عدم التكيف مع مشكلات العصر.

وبـذلك اصـبح الإنـسان الحـديث ألعـوبة في يـد المتغيرات الخارجية، وتسبب ذلك الاضـطهاد الخارجـي في إحـداث قلـق مـستبد في الحياة اليومية، فالحضارة الحديثة أضعفت الإرادة الإنـسانية في لغـة الاسـتلاب، وأحكـام نتـشة علـيها هـي أنهـا في إطـار الـتدهور والاضمحلال لما تعج فيه من تفكك وتضارب وإنهاك.

وينـتقد جاسـبرز واقعـه المـتأزم بـشكل لاذع إذ وصـفه بـتدهور الروحية واصابتها بالهـزال وبتـنا مهـددين باختفاء صفوة المثقفين الذين جاهدوا لترويض أفكارهم ومشاعرهم، وخلقـوا لنا كل مفاخر البشرية، والجماهير العريضة محرومة من الفراغ مع الفكرة العاقلة ولا تهـتم إلا بلقمـة العـيش والـبحث عـن المتع الرخيصة، فلا عجب أن تحل الصحف المصورة مكان الكتب الجادة، لأن الناس يقرأون على عجل مجرد شذرات مهمشة مشوشة، ويطالبون بمـا قـل، ولا يهـم مـزيته في الدلالـة، لأنه لم يعد هناك صلة عميقة بين القارئ ومادة قراءته، فـضلا عـن حالة الانعزال الثقافي للمثقفين فكل غارق في جزئيات تخصصه دون تواصل بين التخصـصات وتلاقيها معا في رحلة الفكر والتغيير، إذ لم يعد هناك موضوعات جادة مشتركة تجمـع بيـنهم، ممـا عـزز العـزلة الثقافية بين المتثقفين في كافة التخصصات، والمثقف بحاجة إلى حالـة توعـية لمعرفة طريقة التعاطي مع التاريخ، إذ عليهم أن يدركوا أن قراءة التاريخ ليست وسيلة للهـرب مـن الحاضـر ومشكلاته أو بقصد متعة دراسة ما فعله جدودهم وأسلافهم. فـيحب آلا يكـون الإلمـام بالماضـي سـببا في تحطيم الحاضر أو تصوره في صورة مزرية. إن ما نكتسبه من معرفة بالماضي يساعدنا على إعادة خلق الحاضر.

والـتعلق بالـتاريخ الـذي يكتفـي بالقـراءة لا قـيمة لـه على الإطلاق، فالواجب أن يساعدنا تعمق التاريخ على اكتشاف المنابع التي تغذي الحياة الحاضرة بالأصالة.

ويـنسب باسبرز كل انحلال في الحضارة إلى الإعلام عبر صحفه، لأن نفقات الجريدة ترغم صاحبها على بلوغ غايته في الكسب بأي ثمن ولو أراد العثور على سوق لسلعته فعليه أن يخاطـب غرائـز الملايـين بالإثـارة والتركيـز علـى التوافه والصغائر، والحرص على تجنب



إجهاد قرائه باستعمال عقولهم والاكتفاء بجعلها معطلة تحت وطأة الحس بغرائزي، لذا اتسمت الصحافة بالضحالة بل بالخسة! وإذا أرادت الصحف الانتعاش فعليها أن تبيع نفسها لمراكز القوى السياسية والاقتصادية، ومن هنا يفتن الصحفيون في تنميق الأكاذيب والتهويل في الدعاية على نحو منفر، فتتعطل المراكز العليا من عقولهم لأنهم يكتبون ما يكلفون القيام به، ولا يستطيع الكاتب الإخلاص إلا إذا سيطرت على ضميره مثل أخلاقية سليمة، وإذا تحدثنا عن رسالة العلم فسنرى اختفاء الاهتمام بالنظرة الجامعة التكاملية منه والاقتصار على العلم بالجزئيات، دون دراية بعلاقتها بالكل، وتقدر قيمة المعرفة من ناحية نفعها بدلا من ارتباطها بفلسفة غايتها الاقتصار على الجزئيات، وبذلك أصبحت نتائج العلم معلقة بالهواء بلا جذور في المعرفة بمعناها الصحيح، لذلك اصبح العالم في موقف سيء فهو يعرف جزءا صغيرا للغاية مما ينبغي أن يعرفه، لأن الحضارة الحديثة لم تلهمه الرغبة الحق في المعرفة بما كان ينبغي أن يعرف، ويبرر جاسيرز نقده القاسي لواقعه بأنه هدف منه إنقاذ ذلك الواقع والحضارة معا مشيرا إلى أن من يهدف إلى المستحيل هو وحده الذي يستطيع بلوغ الممكن.

وهذه المساحات النقدية لعمالقة الفكر الألماني في القرن التاسع عشر لماهية واقعهم المتأزم بالمتناقضات، هي عين واقعنا في عين الألم والنكوص، ولا يوجد تمايز بين الرؤى النقدية المطروحة في العرض السابق وواقعنا المعاصر بكافة أشكاله وتنوعاته في الفكر والسياسة والتربية والفنون والأدب ومسيرة العلم والعلماء والواقع الأخلاقي والرؤية للواقع الديني وأزمته في واقعنا المعاصر، وهذا يعيدنا لمفاصل التقاء مساحات الزمان في الرؤية النقدية، في عين المفكر التي تسبر أعماق هموم واقعه لترنو إلى المستحيل في الإبداعية المطلقة من خلال اجتياز محطات الممكن الإبداعي في سماءات العطاء والإنجاز، على حد قول جاسيرز، وتلك تناثرات استلهامات القراءات في أوراق عتيقة صفراء، تنسكب بردا على قلوبنا في همة التطلعات وإبداعية المنجزات والرؤى التنويرية في فك أزمة الواقع بالفكر ولغة الحوار الهادئة وتشخيص الداء ومعالجته في التلاقي والتلاقح الفكري في مسيرة علمية عملية معطاءة تتسق النظرية فيها مع مسرحها العملي على ارض واقعنا، وتطول محطات التجاوب مع تلك المعطيات الفكرية ولن تنتهي.



رابلية والحياة

يعد الأدب صورة انعكاسية عن الواقع في كل آلامه وآماله، ولغة ناطقة تعبر عن متضاداته وجمالياته، وتركيبة مشفرة في نكهة لها خصوصيتها في ايدلوجية التعبير وسمت متفرد في منظومة إيحاءاتها حول هالة المجتمع وما يعتريها من إضاءات عاكسة. وقد ارتقى الأدب في صوره التعبيرية مع رحلة الحضارات في ألوان متنوعة من المثالية والواقعية ومدرسة تيار الوعي الإسقاطية، لذا يعد الأدب لوحة مشرقة في وجه الحضارات المسفرة عن ثقافة الشعوب وتراثها ومنظومة مشاعرها وتصوراتها عن الحياة والواقع المشاهد واللامرئ من الأشياء، ويشكل الأدب الفرنسي صورة ناطقة لتلك التحولات، وقد تأجج في رحلة العصور الوسطى بلوحات فسيفسائية من البعد الأيدلوجي المكثف، وحالة الرفض الاجتماعي بكل أبعادها، ورسالة داعية للتغيير والإصلاح، وتتناول هذه الوقفة النقدية نموذجاً مختاراً في الأدب القصصي في تلك الحقبة التاريخية، للأديب الفيلسوف 'رابلية' لاعتبارات عدة منها خصوصية أدبه الذي يشكل صورة ناطقة عن مجتمعه، فضلاً عما ترسمه نصوصه من الرنو الجاد نحو رحلة انطلاق فضفاضة بما تحمل من حماسة وتفاؤل، ويثري أدبه إعجابه الشديد بالفلسفة وروادها القدماء وحبه للحياة والارتواء بنهم من معين العلم، إذ يعتبر رجل كنيسة رفض واقع الكنيسة وما يعتريها من تضادات، واشبع فضوله في خوض غمار علوم متنوعة، واتسم أدبه بخصوصية متشكلة في الروح الضاحكة التي تشرق في وحي السخرية المتهكمة اللاذعة من جانب وانطلاقات عشق الحياة من جانب آخر، حتى أن القارئ يستشعر معها تعالي ضحكاته في نصوصه، ولكنها تحمل في مكامنها الساخرة رسالة فلسفية ولغة خاصة في التعبير، وتعكس البعد التراثي للمجتمع الفرنسي آنذاك، في نكهة تحمل شيفراتها لغة ثورية على الواقع سواء في بعد الكنيسة أو تربية الأبناء على وجه الاستشهاد لا الحصر، وتسطع منها لغة الولاء لوطنه فرنسا، لذا يشكل أدبه القصصي بعداً فلسفياً في لغة الإيحاء المعبرة عن منظومة رؤاه ونظرته للحياة، التي تتسم ببعد نقدي للمجتمع ولغة ذاتية فلسفية في الإصلاح.



ويـرفض "رابلية" النمطية السلبية في سلوك رجال الكنيسة ويدعو إلى الإيجابية والعمل الجـاد ويقـدم تلـك الأبعـاد في شخصية "جان ديزا نتومور" الذي يعتبره مثالا للقسيس المتفتح والمتحـرر إذ يـترك صلاته لمواجهة شرذمة لصوص قد سطو على الحقل الذي يحيط بالكنيسة في حـين بقـي زملائه القساوسة في الدير منشغلين بالصلاة والدعاء للصوص بأن يهديهم الله ويثنيهم عن عمل الشر، لذا تنطلق كلماته في طيور عاشقة للحرية المطلقة وإدانة القهر التجبر في الـنظام الكنسي، وترسم لوحات مطالبة بسيادة الفضيلة والعفة والاحترام المتبادل وفرصة الـزواج في أي وقت لساكني الأديرة، ويعبر عن تصوره في تلك القضايا بإشارات رمزية منها أن الأبـواب المغلقـة والقـوانين الـصارمة لا تؤدي إلا إلى القسوة والمرارة والحقد، ويستشف القـارئ في نـصوصه أيـضا روحـه الـوثابة إلى حـياة هادئـة ومنها دعوته إلى التحرر من قيود الـوقت، لـذا مـنع وجود آيه ساعة أو أجراس تنبئ عن الوقت داخل الأسقفة، وأشار إلى أن الحياة النقـية ليـست مقـصورة علـى الأديـرة، وللمـرء أن يحيا حياة كريمة فاضلة نقية خارج الأديـرة، فهـي ليـست محـصورة في تلـك الأديرة واسوارها كما تصور رسالة النظام الكنسي ولغة المجتمع الببغاوية لها.

وقـد وسم "رابلية" بالإلحاد من قبل الكنيسة بناءا على ما اعتبرته الكنيسة خروجا عن الكنيـسة في لغـة فلـسفته الإصـلاحية المنبعـثه من أدبه القصصي، بالرغم من انه كان يعبر في نصوصه عن إيمانه بقوة الله وعظمته.

ويتـسم نقـد رابلـية في لغـته القصـصية بأنـه لاذعاً وقوي الجرس في اللسع ويثير في نـصوصه تـساؤلات تـثير إشـكاليات دينـية اجتماعية في مجتمعه الكنسي آنذاك، مثل هل من الأفـضل أن يتـزوج المرء أو أن يبقـى عازبـاً؟ وترفض نصوصه التقليد في لغة المجتمع بكافة أشكالها ويعبر عنها من خلال نص "أغنام بانيرج"، إذ يعد هذا النص رمزاً لغباء الناس وحبهم للتقلـيد الأعمـى وتدور أحداث هذا النص في انه اشترى بانيرج وهو على الباخرة التي تقله إلى الـبلاد البعـيدة خـروفاً واحـداً مـن ضـمن قطـيع كـبير مـن الأغنام كان على ظهر نفس الباخـرة، ثـم هـم فـرماه في أعماق البحر ولم يستطع صاحب القطيع ولا أعوانه إيقاف سيل قطيع الأغنام الذين القوا بأنفسهم وراء زميلهم في البحر.



وتتسم الانعكاسات الفلسفية في أدب رابلية بالمرح والتفاؤل والانطلاق ومهاجمة النفاق وضيق الأفق وعدم التسامح، والحديث في ذلك يطول، وانطلاقاً مما سبق، فأنه يمكن تحديد أبعاد فنيات القص عند رابلية في الآتي:

- استخدام الأسلوب الساخر من خلال استخدام الطرافة والدعابة في تصوير الأحداث وتشابكها، فيستشعر القارئ في النص جرس الضحكات المجنونة التي تحمل في مكامنها لغة نقد المجتمع ولغة التغيير والإصلاح.
- تصوير الشخصية في اقل عدد من الكلمات والتصوير الفني البارع لمقاطع مجتمعه من الريف والرعاة وحواري باريس وما تحوي من لصوص وحراس.
- الدقة في تجسيد روائع فنيات التعبير لواقع الإحساس بالحياة من خلال مشاهده الاجتماعية إذ تسمع من خلالها رنين الضحكات وأصوات العواصف الهائجة في البحار والأصوات الحادة وطرقاتها في معارك الحقول، فينقل القارئ إلى عمق الإحساس بالأحداث وتشكلها في لوحان ناطقة بالحياة بجمال وإبداع.
- التسلسل في المشاهد في انسياب، في ثنائية مترابطة بين تسلسل الحدث وبراعة تشكيل منظومة المشاهد في اتساق منساب جذاب.
- تعتمد نصوص "رابلية" على حقيقة اعتبار أن الضحك هو الوسيلة الوحيدة الفعالة التي تفيق القراء من سباتهم العميق، وتحثهم على الرؤية الواعية، ويشكل هذا الأسلوب الساخر- الذي اختاره رابلية كخصوصية يتمايز فيها أدبه عن غيره- عنوانا للتفاؤل المطلق لديه وأيماناً برسالته في التغيير، وتشكل تلك النصوص ثورة جادة في رسالة التغيير والإصلاح لمجتمعة في كافة الأبعاد الفكرية والكنسية والاجتماعية، وبعداً معبرا عن منظومة فكرة وتصوراته الفلسفية في الحياة ولغة المجتمع.

وركزت فلسفة رابلية من خلال نصوصه على إسقاطات ظلمات العصور الوسطى، يبرز لديه اعتبارها عين لغة الواقع العربي المكفهر، وهناك حيث الظلمات وما تلاها من نهضة أوربية على أيدي عقول نيرة، ومن خلال اسقاطات خرفان بانورج، تبرز مفارقات



الأديب والفيلسوف الفرنسي رابلية، الذي سخر طاقاته الأدبية الساخرة لتسليط الأضواء على الخرافات السائدة في مجتمعه، ومنها معطيات لغة القطيع والانسياق الإمعي وراء الآخرين دون وعي وتفاعل عقلاني نير، في ظل شخصيات امعية تشكل ظلالا لغيرها، لا تقوى على تحديد مسارات استقلالية عقلانية واعيه لها في مجتمعاتها.

وهكذا تسير حكاية القص في (خرفان بانورج) برمزية رابلية الذكية، بين رجل يدعي بانورج وتاجر الماشية الجشع وتجري أجواء القص على مركب بحري، حيث وقع شجار حاد بينهما، وأراد بانورج الانتقام منه، فأشترى منه خروفا بثمن باهظ، وجره بقوة إلى سور المركب ثم ألقى به على البحر على مرأى الجميع وعلي الفور تحرك أحد الخرفان وسار في نفس مسار الخروف الأول ثم ألقي بنفسه في البحر وتلاه ثان ثم ثالث .. ثم اصطفت الخرفان الباقية في طابور لتمارس دورها في القفز.

والنص يبرز رمزية عالية، في ماهية السلوك الأمعي، وكيفة اثره، في غسل الأدمغة ولغي لغة العقل، بحيث يؤجر الآخرين عقولهم، ويجعلونها وعاءً لكي يملأه الآخرين، بما شاءوا، حيث يلتغي الوعي، وتسلب الحياة، في ابسط صورة، وادنى الأسباب.

وهكذا غدت (خرفان بانورج) مصطلحاً شائعاً في اللغة الفرنسية لانسياق الجماعة دون وعي أو إرادة وراء أفعال الآخرين، ومتتاليات (خرفان بانورج) في الحياة لا تنتهي، وكثيرا ما تصادفنا في حياتنا الآن قطعان كاملة من (خرفان بانورج) تردد كلاما أو تفعل أفعالا لمجرد أنها سمعت أو رأت من يقوم بذلك في الصف الأول.

ومتتاليات خرفان بانورج من استبداد لغة اللسان وجبرية الاستسلام لها دون حوار متكافئ بينهما، وبروز ثقافة الشكل لا الجوهر، وإلى ما لانهاية خرفان بانورج في عوالم ثقافة الصمت الدامية، التي تعشعش في الأجواء الرمادية، وتقتضي نداءات متعالية تصدح ليل نهار نحو لغة الإرادة الواعية وثقافة الحوار المتكافئة بعيدا عن الانسياق الأمعي، ومن هنا فإن رمزية النص، تقدم رؤية للحياة من جهة إلغاء العقل، وسلب لغة الحوار والتلاقح، واثبات صورة امعية في الحياة، الغائية، تغدو فيها أناء للآخرين، يحركونك كيفما شاءوا ومتى شاءوا.



وتشكل رمزيات رابلية، هالة خاصة في روائع الأدب الفرنسي، التي تجسد رؤية رابلية للحياة، واستقلالية السلوك في الحياة، ورفض الظلامية، وتقديس الحرية، وتلك المبادئ أسهمت في بناء قيم الحضارة الغربية فيما بعد، وان كان تقيمنا وتوصيفنا لها في ظل الواقع، أنها ما تعدت المدنية وحراك الآلات، ولم تبلغ حق التطور الحضاري الحقيقي للإنسان.

مقاربة بين رؤية كولن ولسن وفرجينيا وولف للحياة

تعد فرجينيا وولف (١٨٨٢- ١٩٤١) من اشهر الروائيات البريطانيات، وحياتها محض مأساة مطلقة بكل ما تعني الكلمة، وقد برزت في الصحافة البريطانية، وسجلت من خلالها رؤيتها للحياة، التي هي انعكاس لحياتها المؤلمة، حيث ودعت الحياة بنوبة عقلية أثرت على نفسيتها فملأت جيوبها بالحجارة، وأغرقت نفسها في نهر اوسي بالقرب من منزلها.

وتتشكل رؤية فرجينيا وولف للحياة، في أنها محض أشباح وهلوسة (بيت الأشباح)، ويمكن استخلاصها من كتاباتها الأدبية التي تدور في محاورة بين شبحين، تسدل من خلالها الرؤية المبطنة للحياة، في أعماق الكاتبة التي تتنهد كلماتها ألما وتململا على لسان تلك الأرواح الخفية المتحركة عبر منظومة اسقاطات في البيت المفتوح وحراك الستائر والصفحات والحديقة في مساحات الأشجار وتلاعب الريح بأفق المكان والزمان معا، في ظل تصوير فني ماتع، ورسالة مشفرة في النص تحكي مساحات الأنا القلقلقة المتمردة في فرجينيا وولف، في ظل أجواء عبثية تحرك أحداث القص عبر تماهيات الشبحين في مساحات المنزل والحديقة، حيث تتحرك ارواحهما الناطقة في النص في ظل انتشاءات الأمن.

وهنا تبرز روح فرجينيا في النص عبر حراك تلك الأرواح الخفية بحثا عن مفاجاة ومنظومة أسرار مخبئة في أحضان المكان والزمان، وتماهيات الرجل على مساحات القص، وتنهدات المرأة بحاثة عن سر وجودها بين متواترات لحظات الحياة ولغة الصفحات، فالقص يحكي(أنا) فرجينيا في تمرد رؤاها عبر لغة القص من جهة وعمق حالة الكشف عبر لغة تكثيف السرد في عوالم صامتة في حياتنا، تحركها لغة فرجينيا بحثا عن الحقيقة الحاضرة المفقودة في أعماق الكاتبة المتمردة المنهكة في الآن ذاته، في ظل فوضى أحداث تمر من بين عين الكاتبة



المبدعة المتمردة، فتختزلها مشاعرها في عمق المعاناة، فتبث على النص في حرارة القص وحيرة السؤال، بحثا عن جواب مفقود دوما، يغلفه تساؤلات في ميلاد تساؤلات، تؤجج (أنا) الكاتبة في مزيد من الحيرة والفضول، عبر مساحات الألم والمعاناة في ماهية الشخوص المختارة من قبل الكاتبة.

والمتتبع للنصوص الواردة في المجموعة القصصية، يبرز له حدة الإسقاطات التي تتشكل من قبل ذات الكاتبة على النص، من خلال لوحة فسيفسائية اسقاطية للطبيعة التي تواترت مفرداتها في النصوص في ظل رؤية فلسفية متمردة للكاتبة، عبر تتابع المفردات والمقاطع والمشاهد والتنهدات على بساط التمرد والتساؤل، مما يؤكد حضور ذات فرجينيا في كافة مقاطع القص وتعبيرها عن مساحات القلق والتوتر من جانب عبر لغة عبثية إبداعية في الآن ذاته.

وهناك مقاربة بين رؤية فرجينيا وولف ورؤية كولن ولسن للحياة، حيث يتكرر لدى ولسن الهلوسة، ويقدم ولسن تحليلاً عقلياً لذلك، إن الشطر الأيمن والشطر الأيسر والجزء العلوي والمجموع التقني، فأنت في الشطر الأيسر، والأخر في الشطر الأيمن، حيث يتكلم معك، في لغة تمتدد إلى أغوار الماضي، تحرك سلوكك على ارض الواقع، وهذه محض نغمات تأتي من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر، تؤثر في سلوك ابن وسلبيته، وسلوك زوجة وعدم إدراك أبعاده العقلية، واشكالات وأزمات نفسية، نابعة من شريط الماضي ومعطياته، بين لغة الأخر الذي يسكن الدماغ وبين الهلوسة وما يراه الآخرين بأنه محض إشباع، فولسن يرفض اعتباره شبحاً، إنما هو كائن في داخلنا، يتكلم في أبجدية الماضي واسقاطاته ويحرك سلوكنا بمقتضاه، فيفهم السلوك في ضوء ذلك.

وربما ما يؤكد عليه ولسن في كتاباته، هو ما قاله فرويد ولكن بلغة أخرى، وان كان كلا المنطقين يرفض الأخر، ولكن الجوهر واحد، إذ يعتبره فرويد الأنا اللاشعورية التي تسكن أعماقنا، وتحرك سلوكنا من حيث لا ندري، ومن خلالها نفسر السلوك، وابهاماته في مساحات متعددة، إذ لا تشكل الانا العليا الناطقة، مساحات التجسيد الحقيقي للشخصية، ولكن يمكن فهمها من خلال اسقاطات الأنا اللاشعورية في السلوك.



وربما منطق وولف وولسن وفرويد، وان تناقضا في الشكل، ولكنهما في عين الحقيقة، الجميع يعبر عن حالة الفراغ الروحي، وحالة الهستيريا في فهم الواقع، من خلال الكبت واللاشعور، أو صوت أخر يسكن فينا، أو ما يعرف عبر التجسيد الرمزي الأدبي حالة من الأشباح، تعبر حياتنا، وهي تجسد ماهية الصراع الذي يدور في الداخل، ويحدث ازيزه في داخلنا، فعبر عنه بلغة بسيطة، محض أشباح في حياتنا، تحركنا، وتتحكم في سلوكنا، ويراها ولسن محض هلوسة في عيون العامة، وحللها عبر اسكان الأخر في شطر الدماغ الأيمن.

وربما فلسفة ولسن للحياة تعبر عن الحيرة والرفض لما سبقه من رحلة الفكر والفلسفة، وان كان منتقديه يعتبروه انه خلاف في المسميات ولكن الجوهر واحد، فهو من خلال فلسفته، يعبر عن الأنا الحائرة في أعماقه، التي تبحث عن الحقيقة، في حكايا الناس، وعلاقاته العاطفية، ومساحات الكدح والعمل في الحياة، وما فيه من متناقضات، أثرت على نفسية ولسن ورؤيته للحياة، التي يعتريها القلق والتشرذم والتشتت، ومنظومة التساؤلات، والتفسيرات لها، التي تبناها بمقتضى قناعته، ورؤيته المتأملة للحياة، وفق منظور الصراع والفراغ والتناقضات.

الحياة في رؤية غادامير

تبرز رؤية غادامير في حالة الرفض للقلقة التي أحدثتها الثقافة الغربية في الحياة، وما ترتب عنها من انعدام الثقة في مسيرتها، حيث ألغيت الحياة في نكهتها الحقيقية، لتغدو محض آلة متحركة.

ويرى غادامير الحياة في حالة توأمة بين الحاضر والماضي، ولكن دون تسليم للماضي، بل يجب أن تقرأ نصوص الموروث باستمرار، لكي تجيب عن الأسئلة بطريقة مختلفة، التي تطرحها معطيات الحياة في كل عصر، وهذا ما يسميه غادامير المحاورة الحية والتواصل بين الناس في الماضي والحاضر، بحيث يحدث حوار تلقائي بينهما، في هذا الموروث المكتوب، فالموروث ليس شيئاً صارماً، فهو لم يثبت مرة وإلى الأبد، وليس ثمة قوانين هناك،



ويجب أن لا تقف الكنيسة ضد ذلك، فيجب أن تبادر هي على التعامل مع الموروث، من خلال المحادثة المستمرة معه، وكذلك كل مفكر وفيلسوف وإنسان عادي (صالح وناظم، ٢٠٠٢، ٦٨).

ويصف غادامير الحياة في ظل الثقافة الغربية، بأنها تفقد الإنسان حراكه، لتجهز عليه بالسيطرة، حيث ينشأ منها ما يسميه عدوانية العلم، الذي يتوجه دائماً إلى السيطرة على موضوعات الحياة وفق رؤيته الحتمية المادية، بعيداً عن اللغة المعنوية، في ضوء أنانية واستقلالية الذات المفكرة، بعيداً عن حس المشاركة والتلاقح الفكري، الذي ميز أو وفق ما يقول النقطة الأسمى في الفلسفة الأغريقية، حيث أتاحت إمكانية المشاركة في رؤية الجمال والخير والحق، واعلت من قيم الإنسانية والاجتماعية، فالحوار كان ماهية المعرفة عند الإغريق وليس اللغة الآلية المسيطرة، والمشاركة لا الاستقلالية المحضة، واكبر الخسائر التي نشأت من اللغة الحتمية التي أتت بها الثقافة الغربية، وعكستها على رؤية الحياة، في ثوب آلي، إنها أعدمت الميتافيزيقيا، والتفكير والتأمل فيما وراء الطبيعة، في لغة مفكرة معنوية، إلى الذوبان في الآلة ومعطياتها في الحياة، مما افقد الحياة كنه روحها، وحراكها الطبيعي الفاعل، لتكون محض دمية، وحجر شطرنج يحرك آليا، والأدهى انه يحرك الإنسان معه أيضاً في عبثية الآلة واحادية اللغة وحتمية السلوك وأنانية الذات (صالح وناظم، ٢٠٠٢، ١٠١).

ويعد التأمل الذاتي في جوهره البنية التلقائية لما هو موجود، وهو في الواقع استشراف يحرزه المرء بعد تطوير فكري طويل (صالح وناظم، ٢٠٠٢، ٩٩).

ويقرر غادامير حقيقة أن الوجود موجود، وانه لا يمكن إلا أن يكون موجوداً، وانه الطريق اليقين، لأنه يرافق الحقيقة، ولو كان الوجود غير موجوداً، واللاوجود هو بالضرورة موجود، فإن هذا الطريق هو درب حمق لا يمكننا أن نتعلم منه شيئاً، ذلك انه ليس بإمكاننا أن ندرك اللاوجود والفكر، لأنه خارج تناولنا، كما لا يمكننا أن نعبر عنه بالعبارات، وفي الواقع ان الفكر والوجود هما نفس الشيء ومن الضروري أن نقول ونفكر بأن الوجود موجود لأنه الوجود، الذي نرى أثاره بأعيننا، كما نرى اثر الفكر في سلوكنا، (صالح وناظم، ٢٠٠٢، ١٠٣)، وحلقات الكون تتصل فيما بينها، ووسط هذه الحلقات رابط لها، يحكمها



هـو الألوهـية، وهـي تـشرق في كـل مكـان، مـوجدة الميلاد في الولادة، دافعة الأنثى للاتحاد بالذكر، والذكر بالأنثى، وحتماً سينمو كل شيء وسيموت (صالح وناظم، ٢٠٠٢، ١٩٨).

ومـن هـنا فـأن الحـياة فقدت كنهها، في ظل سيطرة النظام التقني والعلمي، وقوانين المادة الحتمية، وتغلغل هذا في الرؤية للحياة، مما أوجد ثنائية المنهج الواقع، وتآكل الإحساس بالحياة والشعور بالانطلاق، ورؤية ما وراء المادة، وتلمس المعنى والروح والجوهر، وانعكاسه على الواقع والطبيعة والمادة، والخروج من اسر الإله إلى غمار بحار الفكرة، وهذا اشد ما يميز المغامرات الفكرية التي ارتادها غادامير في طروحاته الفكرية.



الفصل الثالث

مفردات في سيكولوجية الحياة ما بعد الموت



الفصل الثالث

مفردات في سيكولوجية الحياة ما بعد الموت

دليل الصانع

يعد من لوازم الحياة الإيمانية، التزام المنهج الرباني في عبادة الله تعالى، وهو بمثابة دليل الصانع، فكما لو انك اشتريت آلة ثمينة حساسة الصنع، تنبري لقراءة دليلها التقني 'الكتالوج' حتى لا يحصل منك تشغيل لها، في غير محله، فتحدث عطلاً فيها، وربما يؤدي إلى إتلافها، وإذا كان المرء في قضايا الدنيا بهذا الوعي والحساسية، فأمور حياتنا وفق شرعه تعالى ومنهجه القويم، هي اشد أهمية وخطراً، لأن المصير فيها أخروياً، والخسارة هنا فادحة للغاية، فالآلة يمكن تعويضها فهناك مثيلها وبديلها، ولكن حياتنا لا يمكن أن تستعيدها مرة أخرى، فلحظة الحساب الأخروي حاسمة، وليس هناك رجوع البتة للدنيا، حيث الخسارة المصيرية.

ومن هنا يجب أن نعبد الله تعالى وفق منهجه وتوجيهاته الشرعية، لا وفق تشريع الهوى ورغبة الأنا وجموح الغريزة، ويجب أن يكون في وعينا العميق، أهمية الكمال الإنساني، الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التزام منهج الله تعالى التعبدي، الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ وهو دليل الصانع، وهو الكفيل بتحقيق الكمال الشخصي والنفسي والاجتماعي والجسدي، فهذا المنهج هو الضمانة في أن يوصلنا إلى لذة السعادة، من خلال الاتصال مع الله تعالى، واستشعار لذة القرب.

وينبغي التنبيه هنا على أن أي طريقة يُكلف بها أحدٌ أياً كان بغير ما كلف الله تعالى نبيه ﷺ وأصحابه، هي طريقة مرفوضة، وتخالف دليل الصانع الرباني، الذي نستقي مصادره من القرآن الكريم والسنة الشريفة وسير السلف الصالح، ومن هنا فإن كل بدعة في الأمور التعبدية في الشرع ضلالة، وكل ضلالة في النار، وأي فتنة من أن تزايد على النبي ﷺ، وتشعر انك سبقت النبي ﷺ في قضايا تعبدية، بابتداع عبادات لم يأتي الشرع بها.



انطلاقاً مما سبق يجب الالتزام بأوامر الشرع في العبادات بحذافيرها، دون زيادة أو نقصان، لأن في ذلك عظمة الالتزام والرقي الإنساني، فالمنهج الرباني يسع الناس جميعاً، ويرقي بهم، إلى اعلي مراتب الكمال الإنساني.

ومن هنا هناك بعض القوانين الحتمية في العبادة التي ينبغي أن تترسخ في خلد المؤمن وهي على النحو الآتي:

- إذا التزمت أوامر الله فأنت في نعمة عظيمة وشخصية فذة لأن معك تعليمات الصانع.
- أحب الأعمال إلى الله تعالى، أدومها وان قلت.
- لا تقيد نفسك ببرنامج تعبدي في النافلة، لا تستطيع تحمله، والمداومة عليه، لأنه ينعكس بعد ذلك عليك، نفوراً من هذه العبادة التنفلية.
- لا يعد من العبادات، ما بني على تضيع الحقوق، وإهمال الأولاد والزوجة ومن تعول، وإهمال العمل والتقصير به، وعدم إتقان الصنعة، والتسيب.
- إذا التزمت عبادةً ما، وكان منك تضييع للحقوق، وإهمال وتقصير في واجباتك تجاه الآخرين، كنت مبغوضاً عند الناس.
- دع خيراً يربو الشر عليه، ودرء المفاسد أولى من تحقيق المصالح.
- خذ من الأعمال ما تطيق نفسك.
- نحن بحاجة إلى الإقبال على المزيد من العبادات، حتى نصل إلى الحد الأدنى من العبادة.
- أوقات النشاط في العبادة أول النهار وعند الغروب وفي الليل.
- ألزم المنهج الوسط، المعتدل، تبلغ الهدف، القصد، القصد تبلغوا، أي بالتوسط والاعتدال تبلغ المقصود.
- المبالغة في التعبد، توصل إلى الملل والانقطاع.
- المنهج الرباني، منهج وسط، معتدل، واقعي، متوازن.
- اخذ العزيمة عند الرخصة، تنطع وتشدد في غير محله.



- البدء بتمرين رياضي عالي الجهد يسبب نكسة صحية لك، ابدأ تمارينك الرياضية بالتدريج تسلم، وهكذا بالعبادات التنفلية ابدأ بالتدريج تسلم، لأن الحياة واحدة، في قوانينها المعنوية والمادية.
- لا تدخل العبادة على كره ونعاس، ادخلها على جدٍ ونشاط.
- ليس البراعة في أن تبدأ أمراً ما جميلاً، بتألق وهمة، ونشاط وثورة نفسية، لكن الكمال الحقيقي، في أن تستمر على هذا الشيء الجميل، بعد هذه الثورة النفسية والنشاط، وهذا التألق والهمة، لا أن تمل فتدعه، المهم دائماً، الاستقرار والتوازن على الشيء الجميل، لا أن تصعد القمة، ثم تفتر، فتنحدر.
- أي مصيبة تقع على الأرض، أساسها مخالفة أوامر الله تعالى.
- اكبر عدو للإنسان جهله، واعظم الجهل جهلك بمصيرك المستقبلي الأخروي.
- يجب أن تعلم ما الذي ينفعك وما الذي يضرك، فما بالك بما يخص بمصيرك في الحياة، وغايته.



كنوز الصحة

كثيرون هم من يتمنون، سمات معينة لخريف العمر، ورحلة كبر السن، في كمال من الصحة والعافية، بعيداً عن الأمراض المزمنة والمقعدة، والآلام النفسية التي تواكب كبر السن، فضلاً عن حالات من الاكتئاب والشدة النفسية.

وكم من أفنى حياته في الكتابة والتأليف في كيفية العناية بالجسد ولياقته، والغذاء المتوازن، وكيفية تجنب الأمراض، وكيفية الاحتفاظ بعمر مديد من الحياة، ولم تنفعه ارواقه التي كتبها، وناله المرض والتعب وفارق الحياة، ولم تغني عنه اراقه التي كتبها شيئاً.

الكل يتكلم عن المادة في حفظ خريف العمر، عبر سبل الغذاء والرياضة، ولا ينكر ذلك أحد، ولا يمكن لأحد أن يعترض على ذلك، ولا خلاف أنها من الأسباب النافعة في ذلك، وحث عليها الشرع الحكيم، فيما يعرف بالطب النبوي.

ولكن يغفل الكثير، عن دور الطاعة، في حفظ الصحة في خريف العمر، واثر النشأة على الأيمان في ذلك، من خلال قضاء الشاب عمره، في طاعة الله والتزام أوامره تعالى، وضبط شهواته، بحيث ينأى بنفسه عن السلوكات المنحرفة، فيهيأ لذاته برنامجاً لطلب العلم، في أوقات محددة، لا يساوم به، بنزهة أو شهوة، ويبرمج ذاته على أداء العبادات، والحياة الاجتماعية وفق ذوقيات الشرع الحكيم، ويعلي في ذاته قيمة التأسي بالنبي ﷺ، وينمي قيمة الغيرة على محارمة في اللغة الفردية وامته في اللغة الاجتماعية، ويأخذ من الدنيا فيما لا يضره في الآخرة، وفيما هو رصيد مستمر له في حساباته الجارية في الآخرة، لأنه رسخ في أعماقه، أن التجارة الرابحة هي التجارة الأخروية، وان الدنيا بضع أيام، وتذهب عن كل ما فيها، وانه بضعة أيام، كل يوم يمضي منها، يقترب من نقطة النهاية، فلا بد من أن يلحق بالركب، حيث نماذج الأسوة في عهد السيرة النبوية، وسير العلماء الأفذاذ الأوائل.

ومن هنا ادرج تلك المعادلات الحتمية في تحقيق الصحة والعافية في نهايات العمر، ومن هنا أن حفظت أمر الله في شبابك وقوتك، حفظها الله تعالى لك، في خريف عمرك، وروي عن أحد العلماء، وقد كبر سنة، وقطع نهراً بقوة شبابية مذهلة، أدهشت من معه من



الشباب، فقال: تلك جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وارج منظومة من المعادلات الحتمية في الصحة وهي على النحو الأتي:

- كن تقياً تعش قوياً (صحياً).
- أحفظ جوارحك في شبابك بالطاعة، يحفظها الله لك عند الكبر.
- عند كبر السن تتجمد الخلايا الدماغية (تتكلس) على ما كنت عليه في شبابك، من سلوك وأفكار وهمة واهتمامات، فلتكن في شبابك تلك السلوكات والأفكار والاهتمامات وفق شرعه الله، حتى تستمر عليها في كبرك وخريف عمرك.
- إذا التزمت أوامر الله تعالى، فأنت في مأمن من الخوف من آية جهة أرضية، والنكسات النفسية.
- عند الضال العاصي نهاية الخط البياني للقوة والهمة هي مرحلة الشباب، وفي حياة المؤمن يستمر الخط البياني في التصاعد همة وحيوية وقوة مشتقة من قوة الله عز وجل، وحكمته تعالى، إذ بهذا المنعطف الحاد من العمر، يزداد حكمة وعلما ومكانة وإيمانا وطهارة ويهتم بمعاني الأمور ويدع سفاسف الأمور.
- احفظ جوارحك بالصغر بطاعة الله يحفظها الله لك في الكبر.
- العبرة بالسعادة، عندما تكون بالقرب من الله تعالى، لأنها قمة السعادة والنشوة.
- كن لله كما يريد، يكفيك ما تريد، ويصلح لك أمرك، ويزكي لك وقتك، فتنجز الأعمال العظيمة في وقت قصير.
- ابتعد عن نمط المخالطة مع الناس من نوع الداء العضال، الذين لا يتحدثون إلا على الدنيا ومتاعها، والتسخط بقدر الله تعالى، والتفاخر بارصدتهم وأسفارهم، وادعاء أن ما هم فيه مصدره قوتهم وذكائهم وإمكانياتهم، حيث لا يرون أن يد الله تفعل في كل شيء، حكمة وتدبيرا، فهذا النمط من المخالطة، يؤذي القلب والجسد معاً، ومن هنا خالط من هم كالدواء لك في الحكمة والنصح والأمانة، بحيث يكون بلسم للجراح وشفاء، لا آلم وسحق ومعاناة واشتغال بآفات اللسان، ولذلك عند سماع كلام أهل الدنيا، تشتهي الموت، لأن حديثهم في المصائب والمآسي والآلام، والتفاخر والتباهي، فذكر الناس داء، وذكر الله تعالى شفاء.



- اعمل ما امراك الله وفق منهجه، وسلم لله، ولا تخاف ولا تحزن.
- لا ينالك البلاء وأنت مؤمن، ملتزم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا ينالك البلاء وأنت شاكر لله تعالى.
- بقراءة القرآن المتدبرة، ينزل عليك، رحمة وطمأنينة لا تخطر على بالك ولم تجري على لسانك.
- لا تكن تشاؤمياً وسودوايأ، والله إذا أعطاك أدهشك، فالله هو الرزاق، ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماءً غدقاً.
- بقراءة القرآن المتدبرة، ينزل عليك، رحمة وطمأنينة لا تخطر على بالك ولم تجري على لسانك.
- الله ضمن رزقك، واعمل ما كلفك الله به.
- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، هي قانون في كل زمان ومكان وحين ولكل عبد منيب صادق بهذا الدعاء.
- قال الجنيد علل القلوب من اتباع الهوى، كما أن علل الجوارح من مرض البدن (القرطبي، ١٩٩٨، ١/ ١٩٧).
- حواس الإنسان أشرف من الكواكب المضيئة، والسمع والبصر منها بمنزلة الشمس والقمر في إدراك المدركات بها، وأعضاؤه تصير ثم البلى ترابا من جنس الأرض، وفيه من جنس الماء العرق وسائر رطوبات البدن، من جنس الهواء فيه الروح والنفس، ومن جنس النار فيه المرة الصفراء، وعروقه بمنزلة الأنهار في الأرض وكبده بمنزلة العيون التي تستمد منها الأنهار لأن العروق تستمد من الكبد، ومثانته بمنزلة البحر لأنصباب ما في أوعية البدن ليها كما تنصب الأنهار إلى البحر، وعظامه بمنزلة الجبال التي هي أوتاد الأرض وأعضاؤه، أن لكل شجر ورقا أو ثمرا فكذلك لكل عضو فعل أو أثر والشعر على البدن منزلة النبات والحشيش على الأرض، ثم إن الإنسان يحكي بلسانه حيوان، ويحاكي بأعضائه صنيع كل حيوان؛ فهو العالم الصغير مع العالم الكبير مخلوق محدث لصانع واحد لا إله إلا هو، وهو دال على وحدانيته وقدرته وعظم سلطانه (القرطبي، ١٩٩٨، ٢/ ٢٠٣).



الدعاء سر النجاح

الـدعاء لحظة قرب خاصة مع الله تعالى، حيث تتحقق فيها مشاعر الضعف البشري، أمـام عظمـة الخالـق وكـرمه تعـالى الـذي لا يحـد، ففـي الـدعاء النجاة من المكاره، واجتياز المصاعب، والخلاص من حالة الخوف، التي قد تعتري الإنسان من جهات أرضيه.

الـدعاء بلـسم للآلام ورحمة إلهية في الأرض، فمن استمسك به، فقد استمسك بحبل الله المـتين، واعتصم به، بدءاً من الأنبياء، وقد قص علينا القرآن الكريم أحوالهم، ومناجاتهم لله تعـالى، فـدعاء سيدنا يونس ﷺ لا اله إلا الله سبحانك أني كنت من الظالمين دعاء وثناء واسـتغفار، وسـيدنا يوسـف ﷺ، كـان في شدة، التعرض للمؤامرات النسائية من قبل امرأة العزيـز ونـساء الملأ الأعلى الذي استضافتهن، فتوجه إلى الله تعالى، طالباً العصمة منه، قائلاً:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (يوسـف: ٣٣)، ومـن اللفـتات الدعائية في الدعاء ما روى سعيد بن سالم القداح بلغـني أن موسى عليه الصلاة والسلام كانت له إلى الله حاجة فأبطأت عليه فقال ما شاء الله، فـإذا حاجته بين يديه فعجب فأوحى الله إليه أما علمت أن قولك ما شاء الله أنجح ما طلبت بـه الحـوائج وأيضا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر عليه أثـر الإجابـة فـرجع إلى نفـسه باللائمة وقال لها إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجـبت وهـذا اللـوم أحـب إلى الله مـن كـثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعتـرافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء وأنه ليس أهلا لإجابة الدعاء فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابـة الدعاء وتفريج الكرب فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله قال وهب تعبد رجل زمانا ثم بدت له إلى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ثم سأل الله حاجـته فلـم يعطهـا فرجع إلى نفسه فقال منك أتيت لو كان فيك خيرا أعطيت حاجتك فنـزل إلـيه عـند ذلك ملك فقال له يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قـضى الله حاجتك خرجه ابن أبي الدنيا ولبعض المتقدمين في هذا المعنى عسى ما ترى أن لا



يـدوم وإن ترى له فرجا مما ألح به الدهر عسى فرج يأتي به الله أنه له كل يوم في خليقته أمر إذا لاح عسر فارتج اليسر إنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر (الحنبلي، ١/ ١٩٨).

وأوصانا النبي ﷺ بالتزام المأثور الوارد في القرآن الكريم ومن الدعاء المأثور في السنة الشريفة، لأنها مناط الأدعية الجامعة، التي تجمع خير الدنيا والآخرة، ومنها:

- ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).
- ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).
- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ١٠).
- ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥).
- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران :١٤٧).
- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).
- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ (ابراهيم: ٤١).
- ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).
- ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦).
- ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣).
- ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).
- اللهم أني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.
- اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني.
- اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.



- اللهم أنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماته الأعداء.
- اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، واصلح لي دنياي التي فيها معاشي، واصلح لي اخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.
- اللهم اهدني وسددني، اللهم أني أسألك الهدى والسداد.
- اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم ات نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.
- اللهم أني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، انك أنت الغفور الرحيم.
- اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت اعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطيئتي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت اعلم به مني، أنت المقدم والمؤخر وأنت على كل شئ قدير.
- اللهم أني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم اعمل.
- اللهم أني أعوذ بك من زوال نعتمك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجمع سخطك.
- فالدعاء هو دعوة الإنسان ربه عز وجل، يقول يا رب يا رب، وما أشبه ذلك، فيسأل الله أن يعطيه ما يريد، وان يكشف عنه ما يريد، والأصل في صدق الدعاء أن تكون كل خلية وذرة منك وقطرة دم تناجي الله في مسألتك.

وقال الأمام الشنقيطي لا تنال السعادة إلا بتوفيق الله جل جلاله، فأول ما ينبغي على من أراد أن يسعده الله في الآخرة أن يكثر من الدعاء، وأن يسأل الله عز وجل أن يحييه



حياة سعيدة وأن يميته ميتة الشهداء، وأن يرزقه مرافقة الأنبياء، فإن الله كريم ولا تستكثر على الله أن يسعدك في أهلك ومالك وولدك، فإن الله مقلب القلوب والأحوال، وكم من شقي قلبه الله سعيداً في طرفة عين، فالله على كل شئ قدير.

ومما يحثنا على الدعاء، ما وعدنا الله تعالى من الاستجابة، قال تعالى ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فالله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل يديه، أن يردهما صفراً خائبتين- شرط أن تتوفر فيه شروط الدعاء-، وهي على النحو الآتي:

- الإخلاص لله تعالى.
- الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر.
- أن يدعو مستقبل القبلة.
- المبالغة في رفع اليد.
- خفض الصوت بين المخافتة والجهر.
- أن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون بتضرع، والتكلف لا يناسبه قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥).
- التضرع والخشوع والرغبة، والرهبة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).
- أن يجزم بالطلب – الدعاء- ويوقن بالإجابة لا دعاء تجربة ويصدق رجاءه فيه.
- أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً ولا يستبطئ الإجابة.
- أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى، والثناء عليه، ويختمه بذلك أيضاً.
- التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة والطهارة وصفاء القلب من المعاصي والإكثار من الطاعة والصدقة والإحسان.

- أن يترصد لدعائه الأزمان الشريفة، كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل ووقت السحر.
- أن يغتنم الأحوال الشريفة، كحالة السجود، والتقاء الجيوش، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة وبعدها، وحالة رقة القلب.
- أن يكون المطعم والمشرب من حلال، قال ﷺ أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.
- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره.
- أن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلي، أو بعمل صالح قام به الداعي نفسه، أو بدعاء رجل صالح حي حاضر له.
- لا يدعو بأثم ولا قطيعة رحم.
- عدم الدعاء على الأهل، والمال، والولد، والنفس.
- الاعتراف بالذنب والاستغفار منه والاعتراف بالنعمة وشكر الله عليها.
- الدعاء في الرخاء والشدة.

ومن هنا يجب أن تعلم انك بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض، لأنك معتصم بمالك السموات والأرض، رب العالمين، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكن، قال وهب مكتوب في حكمة آل داود عليهم السلام ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه وساعة يلقى فيها إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما لا يحل ويجمل فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات وأفضل بلغة واستجماعا للقلوب يعني ترويحا لها ومتى نوى من تناول شهواته المباحة التقوى على طاعة الله كانت شهواته له طاعة يثاب عليها كما قال معاذ رضي الله عنه إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي يعني أنه ينوي بنومه التقوي على القيام في آخر الليل فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه(جامع العلوم والحكم، الحنبلي، ١/ ٢٩٥).

ففي الدعاء صلاح للحال، قال الحسن ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها ومن زهد فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها ومن أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه (جامع العلوم والحكم، الحنبلي، ١/ ٢٩٥).



والأصل في الدعاء أن يعلقك بالآخرة، ويقلل من قدر الدنيا في عينك، قال سعيد بن جبير متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس متاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقال يحيى بن معاذ الرازي كيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت أكتسب بها حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة وسئل أبو صفوان الرعيني وكان من العارفين ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يتجنبها فقال كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما أصبت منها تريد بها الآخرة فليس منها وقال الحسن رحمه الله نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلا وأخذ زاده منها إلى الجنة وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار وقال أبقع بن عبيد الكلاعي قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم رحمتي (الحنبلي، ١/ ٢٩٥).

ومن هنا فالدعاء سر النجاح، لأنك تستند على القوة المالكة المبدعة في الكون، وهي قوة الله تعالى، فأنت بها أقوى الناس، حيث تنالك بركاته تعالى، فيقدر الله على يديك الأعمال العظيمة، ويمنحك بركة الوقت، فتنجز في وقت قصير الأعمال الهائلة المبدعية، التي لولا تأييد الله تعالى وتوفيقه، لأخذت منه الجهد الجهيد، والوقت الطويل المضني في العمل، فتوفيق الله تعالى بالدعاء، يحفظ لك أعمالك، واستمراريتها من آية مؤثرات تحدث خللا فيها، أو إتلافاً لها، ويرزقك بها القبول والتأييد، والنفع العام، والخير الذي يتعدى صاحبه إلى الخلق كافة.

والدعاء تفويض لله تعالى، قال إبراهيم بن أدهم قال بعضهم ما سأل السائلون مسألة هي أنجح من أن يقول العبد ما شاء الله قال يعني بذلك التفويض إلى الله، وكان مالك بن أنس كثيرا يقول ما شاء الله ما شاء الله فعاتبه رجل على ذلك فرأى في منامه قائلا يقول أنت المعاتب لمالك على قوله ما شاء الله لو شاء مالك أن يثقب الخردل بقوله ما شاء الله فعل (الحنبلي، ١٩٩٦، ١/ ٣٨).



الحراك الهادف

كثيرون هم الذين يسيرون في الحياة، بطريقة تلقائية عشوائية خالية من المضمون الهدفي في أعمالهم، فكثيرة هي الأعمال التلقائية التي يمارسها البشر بلا هدف، فالحركة ليس لها ادني قيمة بلا هدف، وان اقترنت باللاهدفية، أصبحت لهواً ولعباً، ومصروفة عن الأصل الذي هو جوهرها وكنه حقيقتها.

فالحراك يحدده مغزى الهدف النابع منه، وتتفاوت الأهداف بين القطاعات البشرية المتنوعة، ونوعية المرجعية التي تؤمن بها، ففي ضوئها يتحدد الحراك، فالهدف الإيماني في الفكر الإسلامي الرسالي، هو عبودية الله تعالى وطلب مرضاته والسعي لرفع أرصدة الآخرة بكل الطاقة المتاحة والجهد الذي تطيقه الذات الإنسانية، فإن تناقضت الحركة مع هذه الهدف الأسمى الأعلى أصبحت خارجة عن نطاق الهدف، واصبح لا مضمون لها، كحال المركبة التي تترك الطريق المعبد المهيىء، لتعبر في طرقات تملؤها المطبات والعثرات، بدافع اللهو والعبث، لا الجدية وتحديد الهدف في المحطة التي ينوي الذهاب إليها، بأقصر جهد ووقت متاح، دون تبديد الجهد والوقت والأداة في آن واحد.

ومن هنا فإن المؤمن سعيد لأن حياته ومشاغله وبيته، مبرمجان في ضوء الأهداف الإيمانية العليا في فقه الحياة، التي هي جسراً للآخرة، على أنها معبر لا مقر، ومحطة لا مستقر، ومن هنا فإن المؤمن لا تشتته الأهداف والتطلعات الدنيوية، التي تشرذم الذات الإنسانية، وتصرفها عن اصل ما خلقت له، وهو عبادة الله تعالى، لا عبادة الدنيا والدينار والثوب والجاه وغير ذلك، فالدنيا في عين المؤمن هي دار عمل وجد، والآخرة هي دار الجزاء والتشريف، ومن هنا فإن المرء لا يسعد البته إلا إذا كانت حركته اليومية موافقة لهدفه، وإلا أسس سلوكه على الفوضي والعشوائية والإرباك والقلق والضياع.

وهناك أهداف عليا تؤطر حياة المسلم الملتزم، تتعلق بالكون والحياة واصل الوجود، وغايته، وانه خليفة الله تعالى في أرضه، وان الكون مسخر لتلك الأمانة التي وكل بها في الأرض هذا الإنسان الذي كرم على سائر المخلوقات، ولذلك تتشكل عند المؤمن سلم



أولويات في الحياة، في حراكه، وبالتالي يخرج عن أن يكون مهمشاً في الحياة، ليكون عنصراً فاعلاً إيجابياً في الحياة، فكم هم الأمعات في مجتمعاتنا، وما أكثرهم، في الأفاق الفردية والجمعية، الذي ابوا أن تتحكم فيهم أرادتهم، وأرخوا العنان للآخرين لأن يحركوهم كما يشاءون، كقطع شطرنج، يحركها الأخر كيفما شاء، فبالتالي خرجوا أن إنسانيتهم، لما باعوا بثمن بخس أرادتهم للآخرين، فالمرء أن لم يسير وقته وينظمه، سيره وقته في مساحات الضياع والعشوائية.

ولا خلاف أن من ارتضى على نفسه أن يكون امعة في الحياة، فإنه ظلم نفسه، وارتكب جريمة شنعاء بحقها، إذ عطل عقله للأبد، واسكن عقول الآخرين فيها، ليفكروا عنه، فهو عندما يفكر، يفكر بعقول الآخرين، التي استعارها، عوضاً على أن يستغل طاقاته، ويبرمجها، ويفعلها في قراراته، بل غدا مستلباً للآخرين، يحركونه كيفما شاء، وعرضة لابتزازهم العاطفية والعملية، وقد يكون الذي يمارس الابتزاز أبا أو أما أو أخا أو زوجة أو زوجا أو ابنا أو صديقا أو جارا أو قريبا أو المسؤول في العمل وتواليك.

ولذلك عليك أن تبرمج حياتك في ضوء مرجعيتك العقدية، سواء حياتك الشخصية، أو علاقاتك الاجتماعية أو عملك ومعطياته أو فراغك وحياتك الأسرية، في ضوء أهداف نبيلة معطاءة وهذا يعطي سعادة وراحة نفسية لا تقدر بثمن.

ومن هنا فإن اتضح لدى المؤمن هدفه الأخروي الأعلى، هانت عليه مصائب الدنيا وابتلاءاتها، لأنها عابرة، وكما يقولون الماضي أمر فات، فليس لك شئ منه إلا العظة والاعتبار، وليس لك التباكي عليه، وأحداث أدنى تغيير فيه، فقد نطق كلمته ومشى، والمستقبل غيب مؤمل، لا تعلمه، وليس لك إلا أن تستحضر له العزيمة الوثابة والنية الصادقة في العمل والجد ابتغاء مرضاة الله تعالى، وتنقي نفسك من آية هموم تلحقك بشأن التفكير فيه، فليس لك إلا حسن الظن والأمل والرجاء بالله تعالى، بأن يكتب لك التوفيق والتأييد والسداد، والحاضر هو الساعة التي أنت فيها، فأجعل حراكك فيها، وفق أمره تعالى.



سيكولوجيا الاستماع في القرآن الكريم

أورد القرآن الكريم نماذج بشرية متكررة، في كل زمان ومكان، وسبر أغوار الآيات الكريمة، والتدبر فيها، يفضي إلى مضامين سيكولوجية، تتسم بالعمق والهداية في آن واحد، ومنها قوله تعالى في حق المنافقين ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾، حيث أبرزت الآيات الكريمة حال المنافقين عند سماع القرآن الكريم في البعد النفسي، إذ يمثلون النموذج الدنيوي المشغول بمتاعها، وتعاظم الذات، وجمع المال، وترفيه الذات بشكل هستيري، بنماذجهم المعلنة في القرآن الكريم، حيث أناقة الملابس، والعناية بتزيين الجسد وتجميله، ولحن القول المعسول، وغش النصيحة، وخبث الطوية، والطعن في الدين من الخلف، وإحداث الفتنة بين المؤمنين، والقيل والقال، والازدواجية في الشخصية.

وأورد العلماء تفسيرات متنوعة لهذا النص القرآني، بشأن هؤلاء المستمعون الغافلون إذ يقول الطبري إن هؤلاء الكفار لا يعون ولا يفهمون ما يسمعون، تهاوناً منه بما يتلى عليهم من كتاب الله عز وجل، وتغافل عن قول الدعوة وكلمة الأيمان، فالناس رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل عن الله، فلم ينتفع بما سمع، وكان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك، ويقول القرطبي بأنهم المنافقون الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وزيّن لهم سوء عملهم، إذ كانوا يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين؛ فيستمعون منه ما يقول، فيَعِيَه المؤمن ولا يعيه الكافر، وقوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي الآن؛ على جهة الأستهزاء. أي لم يلتفت إلى قوله. وآنِفاً يراد به الساعة التي هي أقرب الأوقات إليك، ويقول السعدي ومن المنافقين من يستمع إليك ما تقول استماعاً، لا عن قبول وانقياد، بل في حال إعراض القلوب، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم، مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة، ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾، أي: قريباً.وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماعهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه



الحال، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب إتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.

ومن الجميل بمكان؛ الإشارة هنا، إن كل من جلس مجلس العلم، ودار فيه حديث الآخرة والحب الإلهي، والاقتداء بالنبوة، وإتباع المنهج الإلهي، وكان حاله بعد نهاية المجلس، على نسق هؤلاء، حيث الغفلة، وعدم تذكر شيء، بحيث يكون في واد ومجلس العلم في واد آخر، فهذا فيه من النفاق، وخصاله النفسية في الاستماع، فعليه أن يتدارك نفسه، ويبادر إلى أن يجعل اهتمامه بالرصد الأخروي المستقبلي، ويعمر دنياه بالفكر الرسالي، لأن الاهتمام النفسي مفتاح عقل الشيء، وإذا أردت أن تعرف مقامك فأعرف أين اقامك الله تعالى في فقه الكلمة وتدبر معانيها ومراميها في الطاعة والإنابة.

والنص القرآني يصف لنا نموذجيين من البشر، إذ هناك أهل الدنيا المنغمسين في تفاصيلها، وقد اخرج الآخرة من حساباته، وهناك أهل الآخرة، الذين يرصدون من دنياهم لأخرتهم، ويستشرفون المستقبل في ضوء ما يرفع درجاتهم لا ما يهوي بهم من الدركات، فالنوع الأول يصدق عليه سيكولوجيا أن يقال في حقه، وفي حق دينه جملة وتفصيلا ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾، وهناك من يبحث عن حقيقة الأيمان، حيث يجد كل شيء يدله عليه، فيعي الكلمة في الحق ويتدبر آفاقها، فيجد حلاوتها، ويتذوق ثمرة العمل بها.

وهناك في النص لفتة رائعة سيكولوجيا، إذ ما حال هؤلاء الغافلون الذي لم يعوا مرامي كلمات النبي ﷺ وهو أكثر الناس بلاغة ومنطقاً، وكلماته تحدث الأثر الذي لا حدود له في التأثير القلبي، حيث تنقل مستمعها نفسياً من محيط الدنيا ودنسها إلى محيط الآخرة وطهرها، وهذه ثمرة الاستجابة والوعي بكلمة الأيمان ومراميها.

ويصف لنا النص القرآني المعجز قرائن الأعراض والغفلة في مجلس العلم والآخرة، من التململ والتثاؤب والاعتذار، وهذا مؤشر عدم الاهتمام، بكينونة هذه المجلس الروحية، في الوقت الذي يكون فيه في غاية التدبر اللامحدود لنص دنيوي في تفاصيله المعمقة أو لكلام أية جهة أرضية مهمة، وهمة عالية وثابة في جمع المال، واللهاث المستميت في تحصيل المراكز



الدنيوية لذاتها، والتلذذ بالشهوات بنهم، والإقبال على الشبهات بحيوية واتقاد، ومن هنا فإن عـدم الاهـتمام قرينة على الأعراض وعدم عقل الكلام، فإذا طلبت شيئاً عقلته؛ وفي الوقت ذاته فإن الاستماع والتفاعل والحراك والاستجابة للشحن في مضمون الكلمات المسموعة هو دلالـة علـى الاهـتمام وعقـل الكـلام بجديـة، وهـذا نجـد ذاتـه قانـون مهـم في سيكولوجية الاسـتماع، ومـن هـنا فهـناك كـثيرون، يجلـسون، والوجود الذهني لهم مفقود، وهذه مصيبة عظمـى في مجلـس العلم، ومصيبة أكثر فظاعة في مجلس الأيمان والآخرة، ومن هنا فإن القلب إذا امتلأ بالهوى لم يبقى فيه مكان للهدى، لأن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه.

وتـباعاً لما سبق؛ فإنك إذا فرغت قلبك من الدنيا امتلأ من الآخرة، ومن المهم بمكان الاعـتراف بـأن الذاكـرة اصـطفائية مـتعلقة بالاهـتمام والطلـب، وبـناء علـيه تحـدث لديـنا سـيكولوجية الاسـتماع الفاعلة، لأن الاهتمام يعين على الاستيعاب والنقل، وهذا ما نتعلمه مـن سـيكولوجيا الاسـتماع ودوافعهـا في النص القرآني، ومن هنا فإن فتنة الدنيا تتشكل في الانـشغال فكرا وسماعا وتذوقا وهستيريا إطلاق البصر بلا حدود، في متاع الدنيا بلا هدف، وركن الآخرة خلف ظهره، والعمل لدنياه كأنه مخلداً سرمداً أبداً فيها، وهذه مساحات النص الروحية المتسامية التي تحذرنا الآيات الكريمة منها، حتى نكون فيمن أقامه الله تعالى فيما يحب ويرضى في فقه الاستماع والتدبر من جهة؛ ويعملون بأحسن المسموع من جهة أخرى.

السعادة الإيمانية

تتشكل السعادة الإيمانية، من خلال تأصل قيمة الحب لله تعالى، في قلب المؤمن، وذلك بان يبيع وقته وجهده واختصاصه ومكانته ومعرفته لله تعالى، ويقصد بكل حركة وسكنة مرضاة الله تعالى، فالمرء إذا باع لله كل ما عنده، أعطاه الله كل شيء، واتته الدنيا راغمة، وهكذا فإن انشغلت بذكر الله تعالى، في قيامك وعملك وسائر شؤونك، وقصدت به وجه الله تعالى، ذلل الله لك الدنيا، وان أهلكت نفسك في طلب الدنيا ومتاعها، تعالت عليك الدنيا، ولم ينالك منها إلا ما كتبه الله لك، وهكذا كان كبار أعلام القيادة الروحية للبشرية، يضعون الدنيا في جيوبهم، حيث محال أن تكون في قلوبهم، وربما سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وسير آل البيت الأطهار وفي مقدمتهم الأمام علي رضي الله عنه، خير سفرٍ مشرقٌ في لغة التجرد لله تعالى، أو ما يعرف بمحبة الله تعالى، وهكذا كانوا في مساجدهم وكان الله في حوائجهم، حيث كانوا منارات نور للخلائق في اليقين والرضي، وهكذا كن لله كما يريد، يأتيك ما تريد، وكن محباً لله تعالى يحبك الله، وانزل همك به، يزول، ولا تنزل همك بالعباد، يدوم، وتحلى بلغة المعاناة والحركة في العلم الشرعي، يكن له اشراقات النور والتعلق بمحبة الله، وقصد الآخرة في أعمالك الصغير منها والكبير.

وهنا لغة المعاناة والحركة، من أهم أبجديات علم هندسة الذات، وتحصيله في استقامة الذات، وأحداث ثورات التغيير في أعماقها، عبر طاقة الإرادة الواعية اللامحدودة.

وهكذا إذا بعت الله وقتك وجهدك ومعرفتك، نلت كل شيء، وهنا يصدق بحقك، قول أوائل علماء الحكمة الإيمانية الذين قالوا "ماذا فقد من وجد الله تعالى" "وماذا وجد من فقد الله تعالى".

وما ذكر سابقاً يتحقق عبر معاناة الحب، والخوض في تجاربه في الحياة، في العمل والحرك، لا القراءة والمطالعة، فليس محباً لله تعالى، من ادّعى المحبة، ولم يتبع أمر الله تعالى، وهناك علامات للمحبين، منها:



☒ انه يشعر بالأمن والسكينة، بمعية الله تعالى، فلا يعد محبا لله تعالى، من يدعي المحبة وهو قلق، تائه، ممزق المشاعر، خائف، مرتكب، يخشى الخلائق ولا يخشى الله تعالى، ويعظم الناس ولا يعظم الله، والله تعالى في أخر أولوياته، وهو يدّ عي محبة الله تعالى، وهنا توجد إشارة مهمة في علم هندسة الذات ومفادها، أن هناك ارتباط موجب بين ارتفاع الحالة الإيمانية، من خلال تأصل قيمة محبة الله تعالي في نفوس الناس، وبين ارتفاع مستوى الحالة النفسية الإيجابية، لأنه بذلك يسكن مشاعره الأمن والرحمة والهداية، والقدة على اتخاذ القرار، والعكس ينشأ عنه الخلل النفسي، والأفات النفسية وفي مقدمتها القلق والأكتئاب، وربما اودت في بعض الأحيان إلى حالات الأنتحار المتفشية الأن في مجتمعاتنا، وهكذا إذا انطوت نفسك على قلب مفعم بالحب لله تعالى، فأنت في حالة ايجابية في ضوء علم هندسة الذات، ومطمئنة وهنا اقدم فائدة مضمونها أن مفردة الحب تنطوي على معان عدة لغوياً، وهي الصفاء والعلو والظهور ولباب الشيء واللزوم والثبات والحفظ والإمساك، وهنا نوجه المسترشد، في علم هندسة الذات، نحو لزوم تلك المعاني الجميلة في علاقته مع الله تعالى، التي تنعكس إيجابياً في تعامله مع الآخرين، بحيث يكون مبدئياً منضبطا، يحمل درجة التحمل العالية، تجاه الصدمات، لأن معياره محبة الله تعالى، التي تكيفه للتعامل تحت قيمة الرضى عن الله تعالى في ميدان النعم والنقم، فمحبة الله تعالى تمنح المسترشد بالصفاء، ونبادر نحن عبر مجهودات علم هندسة الذات في ترسيخ تلك القيمة الطيبة فيه عبر تمارين الطاقة والتأمل والاسترخاء.

ومحبة الله هي موطن العزة الإيمانية، وارتفاع مفهوم الذات بالتالي في وحي الوجدانيات، وهي الركن الأساس في صفاء ونقاء التوجه لله تعالى، وهي مصدر تثبيت المرء على دينه، ومنحه طاقات الصبر على المعاناة والتحمل في الحياة، التي هي محض ابتلاء، وهو مصدر حفظ الذات في كافة الأبعاد وفي مقدمتها البعد السيكولوجي.



- ومن علامات المحب لله تعالى، انه يبادر دوما إلى ذكره تعالى، في كل موطن، لأن من احب شيئاً، داوم على ذكره، في سائر أحواله، وأثره على جميع ما لديه.
- ومن علامات المحب لله تعالى، انه على الدوام يوافق أمر حبيبه في المشهد والمغيب، ولا يعصيه سراً، وعبادته له ليس فيها فرق وتفاوت، بين سره وعلانيته بين الناس، وان كان هناك فرق، فهناك خلل في تعبده لله تعالى، فالمحب لله تعالى، معه ورع يمنعه من المعصية سراً.
- ومن علامات المحب لله تعالى، انه يستكثر القليل من ذنبه، ويستقلل الكثير من طاعته، وتلك السمة الإيمانية نابعة من خوفه من الله تعالى، وبالتالي هو لا يملأ الأرض صخبا وضجيجاً بعبادته، خوفاً من الله تعالى، لأنه يخشى أن لا تقبل بين يدي الله تعالى، بينما المنافق هو على العكس تماماً، فهو يستعرض ذاته، من خلال الحديث عن عبادته، والرياء بها بين الخلائق، وهكذا يرى المؤمن ذنبه، كأنه جبل قائة على قلبه، ويشعر الكافر أن ذنبه مثل ذبابة مرت من بين عينية، وذهبت.
- مقاربة الطاعات، ومجانبة المعاصي، حيث لا يكون إلا فيما أمر الله ويرضي الله، وحاله في قوله تعالى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ويصدق عليه انه من أولياء الله تعالى، الذين سئل الجنيد رحمه الله تعالى عنهم، فأجاب بما معناه، بأنك تجدهم عند الحلال، وبعيداً عن الحرام، وهو ذاهب عن نفسه، متصل بربه، مؤدٍ لحقوقه تعالى، فإن تكلم ففي الله تعالى، وان نطق فعن الله تعالى، وان تحرك تحرك بالله تعالى، وان سكن سكن مع الله، فأحواله كلها في الله ولله وعن الله ومع الله.

وحدد حكماء الإيمانيات، طرائق الوصول إلى محبة الله تعالى، من خلال الآتي:

- أن يكون محبوباً عند الله تعالى.
- أن تقرأ القرآن في تدبر عميق لمعانيه، وهكذا قال حكماء الإيمانيات، خذ معاني القرآن ممن يعانيه، وخذ ألفاظه من حفاظه.
- التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، من خلال العبادات والأعمال الصالحة وخدمة الخلق.



- مشاهدة آيات الله في كونه وتدبرها، وتأمل النعم والعطايا، فالنبي صلى الله عليه وسلم، كان يعظم النعمة، وان قلت، وهكذا تنظر للكون والحياة في عين النعمة والرضى، وهذه من أبجديات علم هندسة الذات، التي تعينك على الرؤية الإيجابية للحياة، واهم وقودها، هو رؤية الكون والحياة والخلائق في عين النعمة والرضى، والتدبر في آيات الله.
- انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، فكلما ازداد حبك لله تعالى، كلما ازداد انكسارك بين يديه.
- مجالسة الصالحين المحبين لله تعالى، حيث تلتقط أطايب الكلم الطيب والحكمة، التي تقربك من الله تعالى، وتستخلص منها نتائج معاناتك في الحياة وثمراتها، فضلا على أن ذلك يعد من أبجديات علم هندسة الذات، ويدخل في ضوء قانون التجاذب، أي طاقات الجذب بين المؤمنين، من خلال توافق ترددات هالاتهم الكهرومغناطيسية، التي ينشأ من خلالها المحبة والتوافق، وتنبعث من خلالها طاقات اللمس، وما فيها من دفء ومحبة عبر تصافح المؤمنين، ورصوص صفوفهم في صلاة الجماعة، فضلا عن تجمع الطاقة النورانية، عند اجتماع المؤمنين في صلاة الجماعة، وبالأخص في تجمعهم في الحج، في منطقة جغرافية، لها أيضاً انعكاساتها الإشعاعية في الطاقة، وهذا يحدث وفق علم هندسة الذات، حالة إيمانية مرتفعة من جهة، وتوافق في الطاقة ومستوى تردادتها، وحالة من الجذب الإيماني.

ومن هنا فإن محبة الله تعالى، تقتضي المجاهدة والمكابدة والمعاناة، وهذه من متطلبات علم هندسة الذات، واؤكد هنا إلى أن من احترقت بدايته، أشرقت نهايته.



التوحيد والأزمات النفسية

إن من لوازم الأمن والسكينة، توحيد الاتجاه القلبي نحو الله تعالى، فالله لا يقبل الشريك، والقلب المشرك، فيجب أن توحد القلب لله تعالى، عندئذ يزول اثر الخوف من الجهات الأرضية، والتعلق بها، فيزول مع هذا الشعور الألم والشدة النفسية، والقلق والاكتئاب، فربما خوف من جهة أرضية يهوي بإنسان لحو أودية التهلكة، والأصل أن لا يكون الخوف إلا من الله، وان لا يتوجه الذل إلا لله، وان لا يشعر المرء بالفقر تجاه آية جهة إلا الله تعالى، فالخوف منه أمن، والذل بين يديه عز، فمن استعز بالعباد ذل، والفقر بين يديه غنى، وسكينة وامن ورحمة.

ومن مستلزمات التوحيد التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، وتحرير القلب من الاعتماد على غيره، بعد الأخذ بالأسباب، والتوكل له قوانين حتمية مفادها:

- عليك أن تأخذ بالأسباب الدنيوية وكأنها كل شيء، وتتوكل في الوقت ذاته على الله، وكأن ما قمت به من أسباب دنيوية لا شيء.
- التوكل شعور قلبي موحد لله، مترع باليقين التام الذي لاشك فيه، والأخذ بالأسباب، مسألة تتعلق بالجوارح، في همة ونشاط وجد.
- أن أخذت بالأسباب واعتمدت عليها كلياً، فقد وقعت في وادي الشرك.
- إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله.
- يكون التفويض قبل النتائج ويكون التسليم بعد النتائج، ويعد التفويض والتسليم أركان مهمة في التوكل على الله تعالى، ومستوى ثقتك بالله تعالى، وقدر الفرح والسرور الحقيقي واستشعار الراحة في جوهرها بالرضى واليقين بأمره تعالى، والهم والسقم بالتسخط من أمره تعالى.
- من سمات الكافر دوماً التسخط على أمره تعالى.
- القضاء نوعان نوع تسلم له ونوع ترفضه من خلال العمل لدفعه، كأن يكون لديك طفل ضعيف في الدراسة، فتبذل جهدك وطاقتك وإمكانياتك، لتقوية مستواه



الدراسي، ورفع مستواه التعليمي ما أمكن، أو واجهك شخص تجاوز جده، هل تستسلم لهذا القدر، بالتأكيد لا، يجب أن تقف أمام وجهه وتردعه.

- يجب أن تنعكس أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في سلوكك وتصرفاتك اليومية، ومنها الاعتماد على الله تعالى، وتنزيهة عن الشرك، لأن جعل الثقل في الاعتماد على جهة أرضية من دون الله هو شرك، من خلال سلوكك، وان كنت في تصريحك اللساني تقول غير ذلك، وتدعي التوحيد، فليس التوحيد بالقول بل بتصديق الجوارح لما يتقوله اللسان.
- من متطلبات التسليم لله تعالى أن لا ترد أمره تعالى لشهوة أو شبهة أو اعتراض.
- من استعز بالعبيد اذله الله تعالى.
- المتوكل يسكن إلى وعده تعالى، والمسلم بأمره إلى الله يكتفي بعلمه تعالى، وصاحب التفويض يرضى بحكمه.
- من ثمار التوكل الكسب بقدر الحاجة من غير استكبار وتفاخر وحبس للمال عن النفس والمحتاج.
- هناك ارتباط بين التوكل الحقيقي والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، والزهد يكون كما قال الأمام علي ﷺ بما معناه أن تكون الدنيا في يدك، ولا تستقر في قلبك.
- لا يقبل الله العمل المشترك والقلب المشترك بين الله تعالى وغيره، عز شأنه وجلاله، وتنزه عن الشريك.
- من لم يسكن إلى شئ لم يضطرب إلى فقده، ومن اضطرب لفقد شئ فقد سكن إليه.
- وطن نفسك على أن الله لا يفعل بك إلا ما فيه صلاحك.
- ورد أن العبد ليهم من الليل بأمر من التجارة، مما لو فعله لكان فيه هلاكه، فينظر الله تعالى إليه، من فوق عرشه، فيصرفه عنه، فيصبح كئيباً حزيناً يتطير بجاره، وابن عمه، من سبقني؟ من دهاني، وما هي إلا رحمة من الله تعالى، وورد في الدعاء اللهم صن وجوهنا باليسار ولا توهنّا بالإقتار، فنسترزق طالبي رزقك، ونستعطف شرار خلقك، وننشغل بحمد من أعطانا، ونبتلى بذم من منعنا، وأنت من وراء ذلك كله أهل العطاء والمنع (طاهر، ٤٧).



- لا يكمـل حال التوكل ما لم يكمل الإيمان بأنه لا فاعل إلا الله، ولا رازق سواه، وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة هو خير له.
- التوكل مقام مفهوم عقلاً لكنه يستدعي قوة القلب واليقين حتى يتحقق سلوكاً.
- سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله للإنسان، وطبيعة الإنسان مشغوفة بسماع تخويف الشيطان وإساءة الظن، إلا ما رحم ربي.
- آسـاس التعامل بين البشر قائم على ركن الثقة، فكيف بتعاملك بالله تعالى، فكله ثقة ويقين.
- من ترك شيئاً لله تعالى عوضه الله خيراً منه.
- زوال الكون أهون عند الله من أن يضيع عبده، ولا يحقق وعده له.
- هناك ارتباط متسق بين مؤشر الأيمان في قلب المؤمن ومؤشر الثقة بالله تعالى.
- إذا كان الله معك فمن عليك.
- الرضا حال قلبي وليس عمل وإرادة.
- من لم يقدر على الرضا فقد ظفر باليقين، ومن لم يظفر باليقين فعليه بالصبر.
- رتـب الـثقة بـالله تعـالى هي: الرضا وهو الأعلى فيها، واليقين وهو في المرتبة الثانية، والصبر وهو في المرتبة الثالثة.
- كـل شـيء يحـدث في الكـون مـن ضياع موسم الزرع لصقيع ما، أو ريح لا تبقي ولا تـذر، هو حادث بأمر الله، وهنا تبرز رسالة التوحيد التي يجب أن تنشرها بين الناس، بنسبة الأشياء إلى موجدها وهو الله تعالى عزَّ شأنه وجلاله.
- كل ما يحدث في الكون لا يحدث ألا بأمر من الله تعالى وإذنه ومشيئته لذلك.
- يـد الله المبدعة القـادرة تعمـل في كل شيء في حياتك وحياة الأخرين وحراك الكون وسكونه.
- لا تعزل الأشياء في الكون عن التوحيد.
- الإنسان بين حالين لا ثالث لهما هما؛ التأييد والتخلي.
- إذا اعتمدت على أية جهة أرضية مهما كانت، دون الله عز وجل، لا بد أن تخذلك.



- التوفيق والحفظ من المطبات والمفاجآت غير السارة، يكون بالتأييد الإلهي للفرد والجماعة، فالتأييد الإلهي سر رباني، يتجلى بالطاعة والإنابة لله رب العالمين.
- من اتكل على نفسه أوكله الله إياها وخذلته، ومن اتكل على الله تعالى، كفاه الله كل مؤونته.
- إذا قلت أنا نالك التخلي الإلهي، وان قلت يا رب، ساندتك المعونة الإلهية، ومن هنا يجب أن تتبرأ من حولك وقوتك إلى حول الله تعالى وقوته، بعد أخذك بالأسباب المشروعة.
- لا تتكل على مالك وجاهك وعلمك وخبراتك، فينالك الخذلان الإلهي، وليكن اتكالك على الله رب العالمين، الخالق البارئ المصور العزيز الحكيم القوي الجبار.
- أنت لا شيء أمام الله، لأن الله تعالى قادر على أن يلقي في روعك فكرة غير صحيحة، تجعلك مرعوبا، مشلولا عن الحراك والتفكير، وقادر على أن يخوفك من جهة ضعيفة لا تخيف، إذ تخافها بوهمك، وقادر على أن يطمأنك من جهة قوية، تمكر بك، وتدمرك، وأنت لا تدري، وقادر على أن يضيع وقتك ساعات وساعات في إصلاح شيء تافه يعطل مسيرتك، وقادر على أن يسعدك وكل شروط السعادة غير متوفرة لديك، وقادر على أن يشقيك وكل عناصر السعادة فيك، فالله قادر على كل شيء.
- من لوازم الأيمان الطمأنينة، التي لو وزعت على أهل بلد لكفتهم.
- من لوازم الشرك القلق والخوف والتشتت والاكتئاب والشدات النفسية والشعور والخذلان.
- البلاء إذا أتى وأنت في طاعة الله، فإنه يكون برداً وسلاماً عليك.

وخلاصة ما سبق؛ يؤكده قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)؛ ويقول تعالى مشجعاً لعباده المؤمنين، ومقوياً لعزائمهم، ومنهضاً لهممهم، ولا تهنوا، أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان،

زيادة مصيبة عليكم، وأعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم، وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (السعدي: ٢٠٠٢).

وهذه الآية يستنبط منها تأييد الله الفردي والجماعي، فالله يؤيد المؤمن ويبث في قلبه الطمأنينة، وينصره على خصمة، وكفاك نصراً على خصمك انه في معصية الله وأنت في طاعة الله، وهناك معادلة للنصر في الفكر الإيماني مفادها، انك إن انتصرت على نفسك ونزواتها وما ينشأ منها من تمرد وعصيان على منهجها الرباني، حصلت لك الغلبة على عدوك، حتى لو يتحقق التكافؤ بينكما في القوة العددية، بينما إن غرقت في معاصيك وشهوات النفس، حصل لعدوك الغلبة، وكان له سلطان عليك، وحصل قانون الأقوى والأكثر كفاءة عددية وتسلحية، وهذا قانون عام، يقاس على أشياء كثيرة، وميادين عديدة في التنافس بين المؤمنين والأعداء، وهناك قانون إيماني مفاده أن افعل ما عليك بين يدي الله تعالى وعلى الله الباقي.

ومن هنا فإن واقع العالم الإسلامي مأساوي، حيث القتل والدمار وتسلط الأمم الكبرى الطاغية علينا، والحل يتشكل بانتصار أمة الإسلام على نفسها، بكف ذاتها عن الذنوب والمعصية والتمرد على المنهج الرباني، فإذا انتصرنا على أنفسنا، انتصرنا على أعداءنا، وكانت الغلبة والتمكين والاستخلاف لأمة الإسلام، قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وبذلك يزول قانون تسلط الأقوياء علينا، الذين استقووا بضعفنا من خلال تمردنا عن منهج الله وتفلتنا منه.

فالتوحيد سر الطاقة النفسية الفردية، وسر القوة الجمعية، وانتصارنا على الأمم الباغية المتعدية، وسر الأمن والسكينة النفسية، وسر الغنى القلبي، وسر القوة الذاتية وحسن

التصرف في اتخاذ القرارات، وسر الطاقة الخارقة في تحمل الألأم وتجاوز العثرات وادارة الانفعالات، وتحفيز الذات، وتحديد الهدف، واستخلاص الثمار اليانعة من حراك المعاناة، حيث بين عيني المؤمن الملتزم دوماً، منحة تلي المحنة.



قوانين البلاء في الحياة

الكون قائم، على تسخير موجوداته للإنسان، لأن أمام الإنسان مهمة خطيرة، تتناسب وهذا الكم الهائل اللامحدود، المهيىء جملة وتفصيلا، لرسالة الإنسان في الحياة، التي عنوانها العبودية الصادقة الجدية لله تعالى، والأصل في المرء أن يستجيب لداعي الله، في التوحيد، وأداء الأمانة في الأرض، وهذه الدعوة هي الدعوة البيانية وأشكالها متنوعة إما من خلال الدعوة الفردية أو الدعوة الجماعية، وأدواتها متنوعة، هي أدوات الدعوة إلى الله تعالى.

والسؤال المطروح هنا، فيما لو لم تستجب لداعي الله في الهداية، والالتزام بأمره تعالى، والاستقامة على منهجه الرباني القويم، فهنا لابد من المعالجة الإلهية لك، عبر صور الابتلاء، فلذلك إن لم تقودك لطائف الإحسان لله تعالى، قادتك المحن والأبتلاءات، لحو الله تعالى، فهناك من قلبه حاضر في الذكر والإنابة في كل حين، وهناك من لا يصلح قلبه إلا الشدائد، حيث تقودها إلى الله تعالى.

ولكن هناك من لا يتعظ بالمصائب، ومن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة، فمصيبته في نفسه اعظم، وهنا يكون القانون الرباني الثالث، بعد الدعوة والمعالجة، من خلال الاستدراج، حيث تتوالى النعم على العبد، وهو مقيم على المعصية، فإن توالت النعم وأنت معرض على الله تعالى، متمرد على أمره، فأعلم بأنك على خطر عظيم في دينك، وانك في منعطف حاد، تكاد تهوي، وتخسر مستقبلك الأخروي، ومن هنا تنشأ أزمة وتساؤلات الكثيرين، عن أن الكافر والعاصي، في نعمة ومال ورخاء، وهذه علامة المحبة الإلهية، وهذا خطأ لا محالة، والمؤمن في شدة وحياة خشنة وابتلاءات، وهذه علامة الغضب الإلهي، وهذا قياس غير صحيح البتة، فالمال والذكاء والقوة يعطيها الله تعالى لمن يحب ولا يحب، ولكن القرب منه ومحبته واستشعار لذة الوصل به، لا يعطيها إلا لمن يحب، فهنا يجب أن يعي المرء خطر الحال الإيماني، والحداره، إن كانت تتوالي النعم عليه وهو مقيم على المعاصي.



وتكـرر اصـطلاح الاسـتدراج في موضـعَين مـن القـرآن الكـريم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ (الأعـراف: ١٨٢-١٨٣)، أي: والـذين كذبـوا بآيات الله، الدالة على صحة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى فردوها ولم يقبلوها، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، بأن الله يـدر لهـم الأرزاق، وامهلـهم، حتـى يظنوا أنهم لا يؤخذون، ولا يعاقبون، فيزدادوا كفراً وطغـياناً، وشراً إلى شرهـم، وبذلك تزيد عقوبتهم، ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حـيث لا يعلمـون، ولهـذا قـال تعـالى: ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾، اي قـوي بلـيغ (الـسعدي، ٢٠٠٢).

ويقـال: استَدرجَه أي: رَقّـاه مـن درجـة إلى درجـة، أو أنزله على التدريج. ويماثل الاسـتدراج المكـر والإمهال الإلهيّ للعبد العاصي، وجعله إيّاه متدرّجاً في معصيته، سادراً في هـواه، حتّـى يُشرف على الهلاك. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ (آل عمـران :٥٤)، وقـال تعـالى: إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (آل عمـران: ١٧٨).ويحصل الاستدراج- عادةً- بتجديد الله عزّوجلّ النعمةَ تِلو النعمة للعاصين بـلا اسـتحقاقٍ مـنهم، فلا يزالون مستزيدين من النعم والملاذّ، غافلين عن التوبة، لاهين عن الموت الذي يترصّدهم، حتّى يُلاقوا يومَهُم الذي يُوعدون.

ولـذلك فإن الفرصة ما زالت بيد من يتعرض لأستدارجه تعالى، حتى يعود إلى أمره تعـالى، ويلتـزم بالمـنهج الرباني، فأن أبت نفسه، وسغله متاع الدنيا الزائل، فهنا يأتي القانون الـرابع وهـو القـصم الإلهـي، بالأبـتلاءات، ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الأنبـياء: ١١)، يقـول تعـالى محـذراً لهـؤلاء الظـالمين، المكـذبين للرسـول، بمـا فعـل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل، فكم أهلكنا بعذاب مستأصل، من قرية تلفـت عـن آخـرها، وأنـشأنا بعدها قوماً آخرين، وأن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله

وعقابه، وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع ولا طريق لهم إلى النزوع، وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندماً، وقلقاً، وتحسروا على ما فعلوا (السعدي، ٢٠٠٢).

ومـن هـنا فإن الدنيا تنتهي في ثانية واحدة، في عقوبة القصم الإلهي، ويذهب كل ما لـك في الدنـيا، في لحظـة واحـدة، والحـياة بقضها وقضيضها تنتهي في لمح البصر، ولن تأخذ معـك من دنياك شيئاً إذا ما غادرتها، سوى عملك الصالح بين يدي الله عز وجل، ومن هنا يجـب توجـيه مـنظومة أهـدافك نحـو تعلـية أرصدتك الأخروية، أعلى ما يمكن، بحيث تغادر الدنـيا خفـيقاً غير مثقل بما يقصم ظهرك في الحساب بين يدي الله تعالى، من الذنوب والأثام والتمـرد والفسق والعصيان، واللهو واللعب الذان يشغلانك عن اصل ما وجدت من اجله، فالحكمـة تقتـضي أن تـبادر إلى إصـلاح نفـسك بالطاعـة والاسـتقامة على أمره تعالى وفعل الخـيرات، وتحاسـب نفـسك قـبل أن تحاسـب، وتتهـيأ لـيوم العرض على الله تعالى، وتعمل جهـدك لـتكون مـن الأغنـياء بعـد العـرض، إذ الفقـر والغـني بعـد العرض على الله تعالى، ومقياسه العمل الصالح، لا ما جمعت في الدنيا من الدراهم والدنانير.

فالمـؤمن يـرى الآخـرة في لـب حقيقتها، بعيداً عن القشور الدنيوية، التي تحدث زيغ الفهـم، واعـوجاج الحـال، والضال يرى الآخرة في دنياه، فيما جمع من مال وبساتين وقصور فاخـرة وسـيارات فارهـة، فهي عنده السعادة المطلقة والخير العظيم، في حين يراها المؤمن في طاعـته لله تعـالى، ولـو لم يجـد لقمـة الخبز، ويراها في أولاده الصالحين، ولو لم يكن بيديه إلا بضع دنانير، ويراها في شرف قيام الليل، ولو كانت حياته خشنة صعبة .

وعلامـة الأيمان، نوره واشرقاته، التي لا تكون إلا بعد اجتياز ما ابتلى الله عباده من هـذه الدنـيا مـن محن الضغوطات والأغراءات، فعندما يثبت المؤمن على منهجه الرباني، فلا يـزيغه شـدة الـضغوطات، الـتي لا تـزيده الا اشراقا ونورا وثباتا، ولا يسيل لعابه لإغراءات الدنيا مهما عظمت، لأن قلبه مشغول بالله، وكل ما سوى الله هالك لا محالة.

وهكـذا يعي المؤمن منزلقات الحياة، وان ثلث دينه في التحرز من العلاقات المشبوهة في عـالم الـرجال والنـساء، فإن اجتاز تلك المساحات، فقد سلك مسافة لا بأس بها في طريقه إلى الله تعـالى، وان حرر دخله من الكسب الحرام، فقد قطع مسافة تتجاوز ما قطع بمسافات، في طريقه إلى الله تعالى، ومشى متقدما في طريق السالكين إلى الله تعالى.



ومن هنا فإن طريق السالكين إلى الله، يستند إلى العلم بالله ومعرفة منهجه، والتأسي بنبيه الكريم سيدنا محمد ﷺ وسائر الرسل والأنبياء، ويمضي واثقاً بربه، عزيزاً بدينه، مستشبثاً بقيم هذا المنهج العظيم، لا يتنازل عنه قيد انمله، لأنه سعادته ونور قلبه، وماء الحياة الذي يتزود به في طريقه إلى جنة ربه، التي عرضها السموات والأرض.



التغيير والبعد الأخروي الإيماني

شكل ميلاد الإسلام على البشرية، ميلاد منهج تغييري، عميق الأثر في الأفراد والمجتمعات، وأبجدياته الأولى في التغيير، تتحقق في المنظور الأخروي للحياة الدنيا، حيث تغدو الدنيا جسراً للآخرة، ومساحاتها الزمانية والمكانية، ليست بشيء إمام معايير الآخرة، بل يغدو التنعم في الدنيا، ومسيرة الألأم والابتلاءات، ليست بشيء أمام مقادير الآخرة، لأنها عالم آخر، له معاييره العادلة.

والإسلام ثورة تغييرية في الذات والمجتمعات، في المنظور الأخروي، للسلوكات الفردية، والاجتماعية، وما ينبثق عنها من ردود أفعال، وهنا تبرز أهمية اسلمة الذات والمجتمعات، بالسير على نهج تلك الرؤية الأخروية، حيث تغدو الآلام والأوجاع، مذاقاً آخر من ضبط النفس والاحتساب، في ضوء المنظور الأخروي، وتغدو مساحات الحيرة والتيه، مساحات يقين وأمل، في ظل هذا المنهج الراقي في تهذيب الأفراد والمجتمعات.

وفي ضوء المنهج الأخروي، في اسلمة الذات والمجتمعات، تغدو مسألة ضبط الذات واللسان والبصر، مسألة التزام مرغوب بها، في ظل الرؤية الأخروية، التي تجعل المؤمن يرى الحياة قصيرة، ولكن يجب أن يملأها بالأعمال المعطاءة حيوية وحراكاً مع الكون، ويقينا ومسارعة في جنان القربات مع الله تعالى.

والإسلام في منظوره الأخروي، دعوة للتحاب، ونشر الفضيلة والخير، واهداء الكلمة الطيبة، وانسام التفاؤل في الحياة، وفي افياء ذلكم المنهج الراقي، تغدو الكرامة ذات معنى في النظم الاجتماعية والسياسية، وتغدو الاستقلالية والعزة، في نكهة خاصة، حيث لا تغدو الأمة المسلمة ورقة سهلة، في يد الأعداء، وورقة موطأة لهم سهلة غير ممتنعة.

والرؤية الأخروية، جد ومثابرة لدفع الظلم، ورسالة منطقية في التدافع، تترع بالإيجابية، ومقاومة الحرمان والألم، ليثمر ذلك الكفاح حرية وإباء في حياة الشعوب، وابداعاً وتميزاً في حياة الأفراد، وربما رمزية كربلاء لدى أخوتنا الشيعة الأعزاء، تعد نموذجاً حقيقياً في الدعوة الجادة لرفع المظلومية عن المستضعفين في الأرض، وميداناً للبطولة، وتحرير الأرض



والأعـراض مـن خـبث الأعـداء، وهـي رمـزية مفتوحة لكل المسلمين، ومصدر روعة تلك الرمزية وتساميها، تتشكل في انبعاثها فينا في تفاعلنا مع الحاضر، واستشرافنا المستقبل، ويعود ذلـك للـرحم الأخـروي الذي انبعثت منه، فالمدخلات والمخرجات فيها أخروية بحته، لا اثر للدنيا ومتاعها الزائل فيها، لذلك كانت رمزية خالصة طاهرة.

وفي العـوالم الأخروية المنعكسة جمالاً على متتاليات أيامنا في الدنيا، يحلو تدبر القرآن والاستماع لله عبر سنن القـرآن وقوانينـه، التي تشكل نبراساً ودليلاً للحياة في الحياة، وبين يـدي الله في مـناجاة المـؤمن المخـبت لله تعـالى، تغـدو المـصائب برداً وسلاماً على الأرواح، ويغـدو للحـياة نكهـة إيمانية، تجعلنا نقرأ الحياة والمال والمتاع والشهوات ومنظومة الأحداث، بـشكل إيجابـي معطـاء، منـضبط محتـسب، يحمل اليقين والأمل معا، والجد والمثابرة، في الآن ذاته، يبذر ويجتهد في حرثه، ويثق بالله تعالى في العطاء وحسن الجزاء.

ونـتائج التدبر في القرآن الكريم والسنة الشريفة، بشأن الحياة الدنيا والآخرة، مفادها أن تكـون حـسابات الفـرد مـنا والمجتمعات، حـسابات الآخـرة لا حسابات الدنيا، وفي ظل قـوانين الآخـرة ومعادلاتهـا في الحـياة، لا في ظـل رتابة الدنيا وأعرافها في تفسير الأحداث، والواقـع النفـسي للذوات، فيغدو ضبط الذات وكظم الغيظ، والتجاوز عن الجاهلين، ميزان في الأمـل بالآخـرة، بالعطاء، لا مقياساً دنيويا في الخضوع والاستلاب، وبالأخص في معارك العـولمة الثقافـية الـتي أخذت تخترقنا، وتعيث فسادها في خلخلة القيم، وتدميرها، واستبدالها بقـيم وضـعية وضـيعة، تعـتمد عـبودية المال والدنيا والمصلحة، وسياسات الابتزاز العاطفي والإداري والاجتماعـي والـسياسي، وللأسف هذا هو اغلب السائد في مجتمعاتنا، وما ذلك إلا الحالـة انـسحابنا الهستيري، عن منهج الله تعالى، وهو دليل الصانع لنا، لتستقيم جوارحنا وسـلوكاتنا ومجتمعاتنا عليه، لتكون وفق دليل الصانع، لا مكونا مهجناً غرائبياً لايمت للفطرة والواقع والمنطق بشيء.

والإلتـزام الـصادق بالمـنهج الربانـي يـتطلب مـصالحة مـع الله تعـالى، وتبني المنهج الأخـروي، اولاً ... اولاً ... اولاً في اسـتراتيجياتنا التغـييرية، حتـى تمـضي مـركبتنا الفردية والاجتماعـية في الحـياة، في حـراك متسق مع الكون، ونتفق مع قوانين الكون، ونمتلك القوة النفـسية اللامحدودة، في انضباطنا وفق منهج الله تعالى، ودليل الصانع لنا، عبر القرآن الكريم وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ العطرة.

حسن الظن بالله تعالى

يعد حسن الظن بالله تعالى، زاد لا ينفد عطاؤه، وبلسماً للآلام، التي تعترض، من يسير في رحلة التغيير الإيجابية، لأنها تثري الأفراد والمجتمعات، برؤية إيجابية للحياة، وحسن الظن بالله تعالى هو هو ظنّ ما يليق بالله تعالى واعتقاد ما يحق بجلاله وما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العليا مما يؤثر في حياة المؤمن على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

فالمؤمن يظن بالله تعالى، انه مانحه التأييد الإلهي في مسيرة التغيير الإيجابية، وانه فارج همة، وكاشف غمه، وموفقاً لله ومسدداً لخطاه، لذلك ينبغي أن تكون تلك السمة الإيمانية، دماً يجري في عروق المؤمن، لا تفارقه أبداً، وأحوج ما يكون الفرد بأمس الحاجة إليها، عند وداع الدنيا، وإسدال اللحظات الأخيرة من الدنيا، على عمره الفاني الزائل.

والنصوص الشرعية حافلة، في الحض على حسن الظن بالله تعالى، إذ جاء في السنة المعطرة "أنا عند ظن عبدي بي، فيقول ابن حجر "أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به" (ابن حجر، ١٩٥٨، ١٣/ ٥١٤)، وقال النووي معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو وهو أصح" (النووي، ١٩٧١، ١٧/ ٢).

والتحلي بسمة حسن الظن بالله تعالى، ترفع مستوى التوكل على الله تعالى، والثقة به، وفيه استعانة واعتصام بالله تعالى، ودفوع اللجوء إليه، وفي هذا الصدد، ينبغي أن يرفع المؤمن من مستوى ظنه بالله تعالى، إذ يقول ابن القيم "فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحق، ونفسه تشهد عليه لذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامناً كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شَراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش



نفسك هل أنت سالم من ذلك: فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً (ابن القيم، ١٩٨٦، ٣/ ٢٣٥).

ويسهم حسن الظن بالله تعالى، في تحقيق الأمن والطمأنينة، في عملية التغيير الإيجابية، ويشحن المؤمن بشحنات من السعادة والرضى بأمره تعالى، وتثير في أعماقه مشاعر من التفاؤل وانشراح الصدر، ويرتبط حسن الظن بالله تعالى، على توطين الذات والمجتمعات، على المنهج الأخروي في التعاطي مع كافة أشكال التغيير الإيجابية.

وحسن الظن بالله تعالى، سمة ترسخت في السلف الصالح، وكانت دماً يجري في عروقهم، فكان سعيد بن جبير يدعوا ربه فيقول "اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك"، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول "والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئاً خير من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده".

ومن الواجب على السائر في طريق التغيير، أن لا يقنط من رحمة الله تعالى، أن واجهته عقبات في طريق التغيير، ويثق بأن الله لن يخيب من تضرع إليه بخشوع وإخبات، ولجأ إليه، وبذل الأسباب في رحلة التغيير، وبذلك يرتفع ميزان الشحنات الإيمانية فيه، الناشئ من حسن ظنه بالله تعالى، فتنبعث في أعماقه، طاقة لامحدودة، في تجاوز المصاعب، وتحدي العقبات، مخلصاً لله تعالى، باحثاً عن ثمار التغيير في تطوير ذاته، وتحقيق التغيير الأمثل في مجتمعه.



أبجديات في الحياة

تمضي ذواتنا في مسالك الحياة ومتعرجاتها بعشوائية تلقائية، ناشئة من انسحاب ذواتنا في ضوء قوانين الجذب التي تجتاحنا، ففي ضوء تناثرات السلبية والهموم والألأم في اللاشعور الساكن فينا، تجتذبنا الهموم والرسائل السلبية، وكل معطيات تلك الرسائل من السكون والجمود والتعطل، فنغدو في حالة تضخم الألم، فتذوب ذواتنا معها وتكاد تكون نسيا منسيا، فتحركنا تناثرات السلبية في اللاشعور، ويؤججها قانون الجذب السلبي في ضوء الزمان، المكان، اللغة اليومية، الحراك البشري، الكون بأسره، فينسحب القرار من الذوات، وتغدو في حالة عشق مع لغات الهروب، السلبية السلوكية، عدم تحمل المسؤولية، جلد الذات، سلبية الأنا، وغير ذلك من المعطيات السلبية للسلوك، وربما تتأزم نحو الانزواء الذاتي، واعتزال الحياة في الحياة.

وعلى الطرف الأخر قد يتتعش الفرح معنا، وتكبر معه لغة الإنجازات، وتجتاحنا بحار الإبداع، فنغدو سفناً متألقة في أمواجه المتعالية؛ نحو عشق الحياة في الحياة والإبداع في الإبداع، فترتسم أرواحنا أطيافاً قزحية، تشرق من وراء عين شمس التألقات، وتغدو أرواحنا عصافير حب ملائكية تحلق في سماءات الإبداع، فيغدو قانون الجذب في ضوء تلك الرسائل الإيجابية وقود طموح يتأجج في نفوسنا، وروحا ماسية تحلق في عليين الإنجازات، وانفاساً مترعة بالآمال والتطلعات، وقوة تبنى عروقها فينا، وتجري دما في عروقنا، تكللها اتخاذ القرارات الحاسمة، وتؤد معها لغة الخوف والتخاذل، وتشرق معها بلا حدود مستقبل إبداعي مترع بزنابق التألق وماس الإنجازات.

وانطلاقا مما سبق؛ يتبين لنا اثر حالة الانسحاب التي يغرقنا بها قانون الجذب لاشعوريا، فتتشكل فيها طبقات متراكمة من لغة الهموم، أو تعاليات متصاعدة من لغة التفاؤل والإشراقات حتى تبلغ اوجها في مملكة الإبداعات، وتلك خريطة اللاشعور التي تحركنا وتبرمج سلوكنا، ومن البدهي بمكان أن نتعاطي معها في دائرة الوعي، وصناعة حياتنا في ضوء برمجة إيجابية، يدور فلكها في كوكبة قوانين الجذب من جنسها، فنغدو في لغة المجد نجمات السماء، ونغدو في لغة الأرض أغصان التفوق والإنجاز في بساتين الإبداعات.



وتلعب عملية الاتصال دوراً بالغ الأهمية في لغة اللاشعور المكبوتة في أعماق النفس الإنسانية، وهي بالتالي تعكس معطياتها على عملية الاتصال الإنساني بكافة أشكالها، في علاقات تبادلية في الأثر والمؤثر معا في تعاقب لاينتهي، ويبرز الأثر البالغ لذلك في عمليات الاتصال غير اللفظية، التي تتنوع لتشمل الحركات الجسمية لكامل الجسم أو لعضو معين من أعضائه، مثل الرأس أو الوجه أو العينين أو الكتف أو اليد مما يمكن إدراكه بحاسة البصر، كما يشمل الإمكانات الصوتية مثل علو الصوت ودرجته ومعدل سرعته وكميته وكيفيته ...) مما يمكن إدراكه بحاسة السمع، ويشمل بعض الأنظمة غير المرئية والمسموعة مثل اللمس والشم، وكل وسيلة من هذه الوسائل، تعد نظام تواصل متكامل، يمكن أن يؤدي وظيفته مستقلا عن غيره، ومستقلا عن الوسيلة اللفظية، ويمكن أن يؤديها في صحبة وسيلة أخرى، لتحقيق مستوى أعلى من الدقة والوضوح والتأثير.

واشارت الدراسات إلى أن نسبة ما تحمله الألفاظ في الحوار المباشر من معان لايزيد على ٣٥٪ من مجموع الرسالة، ولذلك فقد أعطيت الوسائل غير اللفظية ثقلا اعظم في أي حوار بين شخصين، وهناك من بالغ في تحديد مثل هذا الثقل للوسائل غير اللفظية، فرجح نسبته إلى ٩٣٪ من التأثير الكلي للرسالة، وهذا يناظر نسبة اللاشعور وتأثيرة في الرسالة اللفظية، مقابل الوعي والشعور في التأثير على مضمون تلك الرسالة اللفظية.

وتباعا لما سبق؛ يبرز أهمية لغة الاتصال عبر الصوت وتماوجاته ووتيرة التصاعد والانخفاض فيه وغير ذلك، ولغة الوجه وتعابيرها من الفرح والحزن والحيرة والاضطراب والابتسامة، ولغة اليد وحركاتها سواء في الإيماء أو التربيت على الكتف أو المصافحة وغير ذلك، إذ يشكل ذلك كله جينات الرسالة الحقيقة، ومضمونها المسترسل مباشرة من صندوق اللاشعور المكبوت في الأعماق، وهو يعبر عن مصداقية تلك الرسالة، وتلعب العين وإيحاءاتها دورا بالغاً في هذا الصدد وبالأخص في المواقف العاطفية في كافة أشكالها.

ومبررات إيراد ماسبق هو إبراز عفوية تلك اللغة الإيحائية، وعدم القدرة على التحكم فيها تلقائيا، دون الوعي بمصادرها، أو جوهر المرسل الحقيقي لها، لأنها بدون ذلك ستبقى رسالة عفوية لا يمكن السيطرة على مضمونها وتشيفراته في بث الحقيقة المختبئة في



اللاشعور، لأنها في الواقع تعلن عن الحقيقة رغم انف صاحبها، ومهما تحايل عليها فمآله الفشل الحتمي في توجيهها؛ إذا لم يعي بمادة السيطرة عليها من خلال تغيير تشفيراتها الداخلية، حتى تبث حراك جسدي، وإيماءات تتكامل مع المرء في الشعور الواعي واللاشعور المكبوت، ولا يكون هناك تناقض البته بينهما، وهذا هو المنشود في البناء السوي للذات في حراكها مع أعماقها والأخر، ووسائل تغيير رموز رسالة اللاشعور، تتشكل في التأمل الذاتي، وتمارين الاسترخاء، ولغة التكرار اللفظي المدفوعة بالإرادة والتحدي نحو التغيير، ومنظومة حراك غير لفظي مشفر للغاية ذاتها، فتلك الوسائل الفاعلة تحدث إسهامات فاعلة في تغيير مضمون جينات تلك الرسالة اللاشعورية غير اللفظية، وإلا أتخم مضمون الشيفرة اللاشعورية بزخم متصاعد من متضادات شعورية وتراكمات (زمانية، آنية، مستقبلية) في عموم الرسالة الفردية والجمعية (غير اللفظية)، حتى في أدق تفاصيل هموم اللاشعور، ولغة تعاطيه غير اللفظية في عمليات الاتصال مع الذات نفسها والأخر(الفرد، المجتمع).

وهذه اللغة الواعية للذات تسهم في تغيير مضمون الرسائل الموجهة في مقاطع الحياة الفردية والجمعية لتغدو في النسق الإيجابي الواعي المتفائل المعطاء، وبذلك تزول عقدة الهروب إلى الأنا اللاشعورية وسلبياتها في منجزات الذات على الواقع، فتؤول عوضا عن ذلك إلى حالة تسامي مع الأنا اللاشعورية نحو إحداث منجز على الواقع في سمت إبداعي نضر بهي على لوحة الواقع المتدفقة جمالا وحياة في ألق الحياة.



كسر النمطية في الحياة

تواجهنا الحياة بتحديات من أنماط متنوعة، ويواجهها البشرية بأشكال متنوعة، ويغلب على المتابع المتأمل سيكولوجيا لطبيعة تلك الاستجابات لهذه التحديات، قضايا في غاية الأهمية، وتتأكد في أننا نضع لأنفسنا قواعد كلية مطلقة، نبرمج الدماغ عليها ضمن قوانينه، التي تصنع السلوك وكل نكهة حياتنا مرها وحلوها، وهناك مساحات مطلقة لدينا نعتقد فيها الصواب دائما، وهي سر دمار ذواتنا وأحياناً تبلغ حد جلد الذات أو رفضها وربما إيذاؤها، وهناك دراسات نفسية متعددة في هذا المجال، ويبدو أن البحث العلمي في هذا المجال قد حقق قفزات رائعة نفسيا واجتماعيا وتربويا في الغرب، ولكن لم يزل البحث العلمي وتتبع قضاياه في عالمنا العربي متأزم لم يحقق المستوى المطلوب والمنشود في هذا الصدد، ولعل قلمي المتواضع بين أيديكم، عبر مشروع هندسة الذات، يحاول أن يضع لبنة بناء وتوعية في هذا الصدد، علها تجد إذاناً صاغية وايدي تتكاتف في خدمة الثقافة النفسية عبر الأعلام الإلكتروني ومؤسساته الرائدة، لأنني عبر علاقاتي المتنوعة حاولت أن اصنع لبنة بناء في الأعلام المقروء والمرئي، ولكن الحقيقة مرةٌ لأن الإعلام يضع له شعارات خادعة على الملأ، ولكنه في الواقع يرفض تلك المشاريع التنويرية، أو بالأحرى يعتمد على أسماء معلنة لديه مرموقة بطبول ما يصنعه لها؛ من شهرة وهمية، تخدع المشاهد والقارئ العادي لكنها لا تخدع الباحث والمتخصص المتابع.

وهنا لابد أن احدد بعض من هذه النمطيات اللفظية والسلوكية، التي تنعكس سلباً على السلوك، حتى نضع يديه على جرح ينزف نفسيا لدى الأفراد الذين تأسرهم نمطيات في السلوك لا شعورية لا يخرجون عنها، وهم يعتقدون أنها جزء من ذواتهم، والحياة تسير بمقتضاها ومنها:

- ❖ أن الجميع يتآمر علي ويكنون الكراهية لي في الأسرة ربما والعمل دائما والحياة الزوجية حتى السياسة مما ينشأ عنه تضخيم صورة الواقع بين عيني المرء فتتعقد عليه الأمور واليات حلها.



- ❖ يجب أن يكون الجميع راضي عنك في الأسرة والعمل والحياة، وهذا ليس صحيحاً، لأنه ليس بالضرورة أن يرضى عنك الآخرين، دع الآخرين وتفرغ لترضى أنت أولاً عن نفسك وتصنع السلام معها، بعد ذلك يتغير الآخرون والواقع معاً.
- ❖ الإصرار على البحث عن شكر الآخرين، فإن فقده تدمرت ذاته، وهنا في الواقع ليس مهما أن يشكرك الآخرين، يكفي أن تبتغي عملك مرضاة الله تعالى، والأولى أن تشكر ذاتك لا أن تنتظر الشكر من قبل الآخرين.
- ❖ ليس مهماً أن يصفق لي الآخرون يكفي أن اصفق لنفسي.
- ❖ الصراع مع الصراع يصنع المحنة والأزمة، وبعد كل محنة منحة، فأصنع بدلاً عن الكراهية، المحبة، لأنها تفتح القلوب، ولا بد أن تنتصر على الأحقاد في كل الظروف والأمكنة وفي كل حال وحين، اطرق أبواب الآخرين بالمحبة بقلب متبتل لربه، ثم اطرق ثم اطرق لابد أن يفتح الباب يوما ما، وتنتصر المحبة على الأحقاد، بقوة الله وسلطانه.
- ❖ ليس مهما أن أوقف حياتي على مشاعر وانطباعات الآخرين، وان يمشوا وفق مخيلتك ورغباتك؛ بأن يكون الجميع راض عنك، ويمضي وفق اتجاهاتك، فهذا خطأ كبير في البعد العقلاني الذي يقع فيه اغلب الناس، لأنهم يعتقدون انه يقع في بند (الواجب) أن يكون الناس على نمط معين، وان يكون جميع الناس في موقف رضى عنك، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن المهم أن ترضى أنت عن نفسك، ويكون هناك نوع من الأمان النفسي، أو لنقل السلام النفسي، وحالة قبول متناغمة رائعة بينك وبين ذاتك، هذا في حدود الرضي بينك وبين ذاتك، فما بالك لو كانت مقاييسك تعود إلى الله تعالى ومنهجه، فمن المؤكد انك ستكون اكثر سعادة وسكينة وثقة بنفسك، التي تنبع من ثقتك بالله تعالى.
- ❖ اجلس مع نفسك، وراجع إحكامك المطلقة، ودونها على الورقة.
- ❖ قم بالمحاكمة العقلانية لها ثم اتخذ القرار.
- ❖ ثق دائما أن ثقتك بنفسك أولاً تصنع المعجزات، وان استطعت أن تصنع المعجزات في ذاتك، فقد صنعت المعجزات في الناس والكون والعالم بأجمعه.



القوة الخارقة في أعماقنا

تواجهنا في الحياة معضلات وأزمات، ربما يشتد سعيرها، وربما يتغلغل أثرها فينا فتعرقل أهدافنا من خلال ما تؤول إليه من مثبطات واحباطات، تزعزع القوة العملاقة التي تسكن ذواتنا، فتجعل مارد الإرادة والتحدي فينا يخمد تأجج طاقته فينا، ونغدو صرعى الأحباطات والأستسلام في الحياة، وربما تلك الأبعاد أثرت في حياة أحد مشاهير العالم أمثال (بيلي جويل) إلى أن قادت قدماه بعد متتاليات الأحباطات والأزمات في حياته إلى أن يكون في مصح عقلي بعد صراع مع رحلة الرغبة في الانتحار، وعندما واجه العالم من خلال عيون صرعي الأزمات في ذلك المصح اتخذ قراراه الأول في الحياة بأن يصعد القمة في الحياة مردداً كلمته الشهيرة "لن اسمح لنفسي إن اصل إلى ذلك الدرك من الشعور"، وغدا بعد ذلك من مشاهير الغناء في عوالم الفن الأمريكي.

وهنا تتشكل اهمية اتخاذ القرار واتباع ما تتطلبه من استراتيجيات التغيير الواجب اتخاذها في مواجهة الأزمات، التي ربما يفرزها الم الواقع وتأخر الفرص وغير ذلك من معطيات الإحباط في الحياة.

وفي ظل تلك الأزمات تتراكم على المرء في ضوء قانون الجذب مجالات الجذب للرسائل السلبية والمثبطات، في الوقت ذاته الذي يغفل فيه عن مواهب متعددة تكمن في داخله، يمكن أن تمده بالقوة وتوجهه لأفضل السبل بحيث تجعل عواطفه مطواعة لها، وأداة قوية تساعده على تحقيق أقصى ما لديه من إمكانات بدلا من أن تكون عائقاً في طريقه.

وهنا تتأكد مقولة انتوني روبنز "هناك قوة ما زلت استخدمها في كل يوم من أيامي لتشكيل حياتي الشخصية" وتلك القوة هي مارد عملاق في ذواتنا لكنه ساكن بفعل الاستسلام للواقع ورفض التغيير، وجوهر المسألة يتأكد في أن نسيطر على انفعالاتنا المستمرة إذا كنا نريد أن نتولى زمام المبادرة في توجيه حياتنا.

وتتعزز تلك الإيجابية في الانفعالات واستثمار تلك القوة الداخلية من خلال اللحظات التي تتخذ فيها قرارك وبالتالي يتولد من رحم ابداعاتك منجزاتك ومستقبلك



بـثقة، وهـذا يقتضي الالتزام الصادق الكلي مع قرارك المقدس بالتغيير واستثمار تلك القوة الداخلـية الحيوية المشعة في عوالم إنجاز بلا حدود واستقرار نفسي هادئ، في ظل رحلة التغيير للذات في ضوء القرار الجاد ومساحات الحرية المسؤولة للذات.

ويحتاج القرار إلى مراجعة ذاتية للذات في كافة الأبعاد المختارة سواء في رحلة التغيير لازماتـك المالـية أو مـضمون العلاقـات الـتي تحياها فما لو كنت غير راضٍ عنها أو في ضوء عملـك وشـعورك بأنـه لا يتـسق وقدراتك الكامنة في أعماقك وهنا تتجدد لذة التواصل مع مقولة "قررت إلا اقبل قط اقل مما يمكنني تحقيقه".

ومـا سـبق ذكره يؤكد أهمية اتخاذ القرار الحاسم في حياتك للتو دونما تأخير، ومعيار الـنجاح في اتخـاذ القـرارات هو اتخاذ المزيد من القرارات، وهذا يقتضي امتلاكك بزمام قيادة القـوة العملاقـة في ذاتـك، والـتي تـشكل رونـق ونكهة حياتك الإبداعية ومستقبلك الماسي اللامـع وتطلعاتـك اللؤلـؤية، في ظـل شـعار جمـيل "المعلـومات قوة حين يتم وضعها موضع التنفيذ" وتلـك الكلمـات والمعارف التي يسيجها قلمي لك تحت منهجية هندسة الذات تبقى كلمـات وأفكـار معرفية إن لم يتمكن القارئ من التواصل معها عبر رحلة الذات والمنجزات مـن خـلال التطبـيق العملـي لمعطياتها في الحياة فتغد قوة إضافية كامنة فيك في رحلة التغيير للـذات وواقعـك الـذي تـرزخ ذواتـنا تحـت سلبياته وأزماته في بعد الذات والمجتمع والثقافة والـسياسة ومأسـسة التنظـيم وإدارة الـذوات والمـال ومـا لا ينتهـي في حياتـنا من متتاليات الفوضـى في الـذات والمجـتمع والأمة وتستند استراتيجيات التغيير بإيجاز في أبعاد متنوعة هي على النحو الأتي:

- ❖ قرر الأن ما تريد، في هندسة ذاتك، ابداعاتك العملية، مساراتك الاجتماعية، هرمك الثقافي، مملكة وجهات نظرك في الحياة والناس والنظم بكافة أشكالها.
- ❖ اقدم على العمل فيما تريد، وثق انك تملك قوة عملاقة لذلك، وان ابداعك يولد مع لحظة اتخاذ قرارك للتو.
- ❖ راقب مسيرتك في ضوء ذلك ومحطات نجاحك والتحديات التي تواجهك.



- ❖ غير اتجاهك فيما يعيقك ويتناقض مع هدفك وتواصل مع هدفك حتى تتوصل إلى تحقيق ما تريد.
- ❖ ثق انك ستصل وان تأخر هبات الله سبحانه وتعالى لك بالتأييد لا يعني مطلقاً أن الله يمنعها عنك، لأنه في اللحظة التي تلتزم بها التزاما كليا بالتغيير فأن العناية الإلهية لابد أن تواتيك بالمساندة، فلا تتعجل الثمر. وثق بالتأييد.
- ❖ اجعل ذاتك مستغرقة في قرارك ومتطلباته.

وهنا تتأكد أهمية تفعيل طاقة التركيز فيما تود تغييره ومعنى الأشياء وقيمتها لديك في ضوء رحلة التغيير وما الذي يبلغك النتائج المنشودة، والإجابة محددة في طاقة التركيز التي تنتهجها في توجيه القوة الخارقة في ذاتك التي لو عمقت تركيزها في أهداف محددة فإنها تخترق الوجود إبداعاً ومنجزات.

وتبرز أهمية متابعة التركيز عوضاً من تشتيت الطاقة في الآلام الناجمة من الواقع ومراراته وعوالم المقارنة المرة مع الآخرين، وهنا تبرز أهمية مقولة وأنت تندفع في النهر (الحياة) إلى أهدافك البعيدة لا بد أن تصل بهدوء وذكاء إذا استثمرت قوتك الداخلية في ضوء طاقة التركيز وإذا ما ركزت على الصخرة التي قد ترتطم بها فإنك لا ترى أو لا تستطيع أن ترى ما ينتظرك، ويغدو الأفق ضبابيا متأزما يحمل المحبطات، وعشوائية سلوكية بلا معنى ولا مضمون.

والمتتبع لحياة المشاهير والمبدعين لابد أن يرصد الكم الهائل من المصاعب والتحديات والمثبطات التي اعترضت حياتهم واوشكت ان تسرق أحلامهم ولكنها لم تثني جهودهم ولم تبعث الإحباط في حياتهم، ولم يكونوا قط يندبون حظوظهم وواقعهم والمصاعب التي تغلغلت إلى حياتهم وإبداعاتهم، لأنهم كانوا دوما يؤمنون بالقوة المبدعة التي تحملها ذواتهم ومساحاتها المشعة الخارقة، ولم يكن مجرد اعتقاد في مرجعياتهم الفكرية بل كان هدفا عظيما يوجهه طاقات تركيز عاليه نحو الحلم المنشود والاستثمار المطلوب فواصلوا التركيز في تلك الطاقة اللامعة المشعة، فأبلغتهم مساحات اختراق الوجود إبداعاً وتميزا فكان العناق بين



الطاقة البشرية الخارقة في ذواتهم والطاقة الإيمانية بالتأييد فلكل مجتهد نصيب ولابد لمن يطرق أبواب الحرية الحمراء أن تفتح له الأبواب يوما ما ولا بد لمن يحاول صعود القمة أن يعتليها يوما ما، وليس المهم هناك اعتلاء القمة وإنما ما يتبعه من هدوء واستقرار نفسي واستمتاع بالمنجز والتواصل في رحلة العطاء والإبداع.



الوعي بالذات

تلعب مهارة الوعي بالذات دوراً كبيراً في تطوير الذات والارتقاء بها بفاعلية نحو مساحات النجاح والتفوق في كافة المجالات في الحياة، وتقتضي إثراء الفرد بمفردات المشاعر وكيفية التعاطي معها، وتحديد نقاط القوة والضعف، في الانفعالات وتباعا في المناحي السلوكية، ومحاولة رؤية الذات في منظور إيجابي أخر، وفي ظل بدائل تفكير للمواطن السلبية، وإمكانية رؤيتها في ألوان إيجابية وهالات سعادة، بعيدا عن جلد الذات وتكليفها ما لا تطيق، أو إلقاء العبىء على الآخرين وإعفاء الذات من المواجهة.

وتناول علماء عدة مفهومها فيشير سقراط إلى أنها وعي الإنسان بمشاعره وقت حدوثها ويراها فرويد الانتباه المتوزع الذي يستوعب ما يمر على الوعي بنزاهة وتجرد بوصفه شاهدا مهما ويسميها علماء النفس (الذات المراقبة) أي قدرة الوعي الذاتي التي تتيح للعالم النفسي أن يرصد ردود أفعاله على أقوال المسترشد والكيفية التي تتولد بها التداعيات الحرة لدى المسترشد.

وبعيدا عن الإطار النظري لرؤية مفهوم الوعي بالذات، ومتعلقاته السيكولوجية، فأن توجهات علم هندسة الذات تتأكد في تفعيل تلك الرؤية النظرية في ظل تمارين عملية وجلسات تدريبية، لمتعلقات التشفير من جهة لها في قشرة المخ الجديدة، ولغايات الانتفاع الواقعي العملي لها في ظل مواجهة مصاعب الحياة.

وتتأكد أهمية تفعيل مهارات التفكير في ظل تلك التدريبات العملية في هذا الصدد، التي تتوجه لرؤية الذات في تجرد ورؤية ناقدة، تتشكل منها رؤية إبداعية للذات في مواقف سعيدة مستجدة بالبهجة والسرور.

وتجدر الإشارة هنا إلى انه ليس القصد من تفعيل مهارة الوعي هي عملية المبالغة والتضخيم للذات وردود أفعالها، بل هي استراتيجيات محايدة تحافظ على تأمل الذات حتى إثناء الخبرات المتهيجة، من خلال ملاحظة ودراسة الخبرة نفسها وتشفيرها في ظل رؤية إيجابية؛ وتلخص بإيجاز بالوعي بمشاعرها وأفكارنا المرتبطة بها ولا يصدر عنها تقييم وقد



تكـون باسـتجابة سلوكية فورية في تغيير الخبرة السلبية إلى إيجابية أو بدون استجابة أي تأمل وتدبـر لـرؤية تنفيذية مؤجلة، هي حالة التعبير عن المشاعر والأفكار المرتبطة بها في تداعيات مقصودة لغاية مقصودة.

وادرج بـين يـدي قارئي العزيز منظومة محطات تدريبية مطورة من قبلي وهي على النحو الأتي:

محطة تدريبية (١):

أمامك المفردات الآتية:

أراعي شعور الآخرين	متعاطف	متسامح
اصمم على رأي	أتحمل المسؤولية	اعتمد على الآخرين
متحمس	رسول سلام	أعفو عن الآخرين
ودود	شريف	افضل العمل اليدوي
أساعد الآخرين	لبق	ملهم
عطوف	رياضي	رحيم
نبيل الخلق	عادل	حلال المشاكل
صبور	أكد واجتهد	متدفق الفكر
ادعم الآخرين	مجامل	سريع التعلم
احب العمل مع فريق	جذر	أهل للثقة
عاطفي	مفكر	متجدد التفكير
شجاع	أتحكم في نفسي	مثابر
ملتزم	هادئ	جذاب
مخلص	محب	أنيق المشاعر
كريم	أمين	مرن



- ❖ استخدم أقلام ملونة وورقة مع نفسك أو مع صديق أو أصدقاء لك في ظل صحبة ما.
- ❖ تأمل الخمس والأربعون صفة الواردة فيما سبق في كل سطر منها ثلاث صفات.
- ❖ اختر ثلاث صفات تتمنى أن يصفك الآخرين منها؟
- ❖ اكتب ما يفسر اختيارك لهذه الصفات وما علاقتها بحياتك؟
- ❖ صمم لوحة لك تعبر من خلالك عن مكانة هذه الصفات في ذاتك؟
- ❖ فكر في وقت ما في حياتك كنت تتمنى لو كان لديك تلك الصفات الثلاث، أين كنت آنذاك، وماذا كنت تفعل؟

محطة تدريبية (٢):

- ❖ استمع لأصوات الطبيعة الهادئة أو من معزوفة ما وعبر عن مشاعرك تجاه ذاتك عند هذه اللحظة.
- ❖ عبر عن اثر تلك الصفات عليك في المستقبل في تلك الأجواء الهادئة؟
- ❖ اختر ثلاث صور لك تعبر عن مراحل ثلاث في حياتك، واربط تلك الصفات الثلاث بها؟
- ❖ ارسم دائرة تمثل عالمك وحدد من خلالها الأشخاص والأحداث التي تهمك؟
- ❖ حدد بألوان خاصة مكانة تلك الصفات الثلاث في الدائرة مع متعلقات ما يهمك فيها؟

محطة تدريبية (٣):

- ❖ تأمل خبراتك في فترة زمنية مدتها (٦) أشهر مضت.
- ❖ ارسم مخططا بيانيا للارتفاعات والانخفاضات التي واجهتك في هذه الفترة؟
- ❖ حدد المحور الرأسي للزمن الذي استغرقته والأفقي للخبرات والمشاعر؟
- ❖ حدد خبرة سارة مميزة في تلك الفترة الزمنية؟



- حدده نموذجا إيجابياً لك في حياتك القادمة من خلال لوحة ما أو مخططا ما؟
- تنفس بعمق وشفره بحركة ما في يدك ليكن دافعا لك للأمام في حياتك القادمة؟

وتجدر الإشارة إلى أن تكرار تلك التدريبات، يسهم في إثراء تطوير الذات وتدعيم مساراتها في الحياة، ولا يخفى أن هدوء واستقرار النفس الإنسانية، عامل مهم في نجاحها ومواجهتا مصاعب الحياة بجدية وتفاؤل بعيدا عن السلبية والمثبطات.



سيكولوجية الألوان في الحياة

تفتح الطبيعة ذراعيها للناظر، وفي جعبتها مساحات أنيقة من جاذبية الألوان التي شكلت مادة للتأمل والتدبر في صفحات الكون المسطرة في الوجود، وقد تناولتها أي الذكر الحكيم بتجليات ربانية، وانشغلت قريحة الشعراء والأدباء، في تتبع معانيها في الوجود.

وشكلت الألوان مادة هامة في لغة الاتصال بكافة معانيها في عوالم الحداثة والابتكار، وهندسة البنيان والحضارة معاً، ووقعت مؤخراً في اهتمامات الخبراء في عوالم التفكير وتحفيز الدماغ، فأثيرت موضوعات اللغة البصرية ومفرداتها اللغوية، وتربع على عرش تلك الموضوعات ابتكارات دي بونو في مجال قبعات التفكير حيث قسمها إلى ستة ألوان، يتضمن كل لون نمطاً خاصاً في التفكير؛ فالقبعة البيضاء تحمل معاني الحياد والأرقام والإحصاءات والقبعة الحمراء تختص بالعاطفة والقبعة السوداء تحمل معاني التفكير السلبي، ومفرداته من التشاؤم وهي في أدبيات لغتنا العامة تشير إلى الموت والحزن، والقبعة الصفراء تختص بالتفكير الإيجابي، وعبر القران الكريم عن انعكاسات اللون الأصفر في إحداث البهجة والسرور في النفس عندما أشار في سورة البقرة إلى مواصفات البقرة المستلزم ذبحها في القصة المذكورة في السورة بأنها صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، والقبعة الخضراء تشير على التفكير الإبداعي الذي يكسر المألوف ويبلغ مناص الجدة والابتكار، وتشير القبعة الزرقاء إلى التفكير الموجه حيث تختص القبعة بعملية توجيه النقاش والحوار وتنظيم عملية التفكير وبرمجتها وترتيبها.

وانبثقت دراسات في عوالم الألوان متنوعة منها الدراسات الأساسية التي قسمت الألوان إلى ألوان دافئة هي اللون الأحمر والبرتقالي والأصفر وتشير إلى معاني نشوة الفرح والانطلاق في ظلاله، وتأجيج الشهوة بكافة إبعادها، وإثارة النزعات الجسدية للحراك، والألوان الباردة وهي الأزرق والأخضر والبنفسجي وهي تشير إلى انعكاسات الهدوء والطبيعة المتأملة التي تثير الصفاء وطلاقة التعبير، وتدور في ظلال تلك اللغة مفردات الألوان المتقابلة فاللون الأزرق متناسق مع البرتقالي، واللون الأحمر متناسق مع الأخضر،

والأصـفر متناسـق مـع البنفسجي. والألوان النصفية مثل البرتقالي الجمر والأصفر المخضر، ومفـردات الألـوان الرئيسية وتوظيفها في الحياة، والألوان الفرعية ومساحات التعاطي معها، ومفـردات التنـسيق علـى عجلة الألوان، وهذه المفردات ليست موضوعي هنا، وإنما اذكرها للاستشهاد فحسب.

وفي الجانـب الأخـر انبثقت دراسات تبحر في البعد السيكولوجي التحليلي للألوان، وانعكاسـاته في الـذات الإنـسانية، مـنها أن اللون الأخضر يشكل مساحة واسعة للتعبير عن مكـنونات الـذات، ولذلك ينصح استخدامه من قبل المحبين والأصدقاء، في تدوين كلماتهم، لأن هـذا اللـون يـثير قريحة الإلهام والتعبير عند التدوين بالقلم الأخضر أو تسطير الكلمات علـى صـفحات خضراء، لأن إيحاءات هذا اللون تثير قريحة التعبير وتطلقها من عقالها، وربما مساحات الطبيعة التي تكتسي باللون الأخضر يشكل تفسير منطقيا لذلك، وهناك انعكاسات ناريـة لألـوان خاصـة مثل البرتقالي إذ يحدث إثارة نحو الرغبة في تناول الطعام، ولذلك فأن اسـتخدامه مـن قـبل المطاعم يثير شهية رواد المطعم ويؤجج رغبته في تناول الطعام والإقبال علـيه مستشعراً لذة الطعام بين يديه، ويسهم اللون الأبيض في إحداث حالة خاصة من النقاء والإحـساس الملائكي وذلك دونته أقلام الشعراء ولغتنا العامة في التعاطي اللوني مع الفرح، ويندرج في تلك المنظومة السيكولوجية ألوان الطيف القز حي عندما تجتمع في مساحة واحدة وهـناك انعكاسـات سـيكولوجية في مجـال الجاذبـية المغناطيـسية للشخـصية يحـدثها اللـون البنفسجي في افتح درجاته واللون الفيروزي واللون الأرجواني.

وهناك مسألة سيكولوجية تثيرها حالة التقاء الألوان في طيف واحد او تماثلها بجانب بعـض، وانعكاسات ذلك في التأمل والتدبر، وعبر عن ذلك القرآن الكريم بالإشارة إلى جمال الطبـيعة والخلـق مـن خـلال التعـبير عـنها بمختلف ألوانه، أي منظومة ألوان مختلفة للماهية الـواحدة، وانعكاس ذلك جماليا في رؤية العين وتدبر القلب، وهناك المفارقة بين اعتبار اللون إحـساس وهـذا مـا ارجحـه، ولـذلك هـو ماهية سيكولوجية تتجرد عن المادة، وتنعكس في جمالـيات ومـشاعر معيـنة، بحـسب اللـون وتماهـيات الألـوان معـاً، في حـين يعتـبره الرسام ومهندسـي الديكـور مـادة لونـية، تحمل لونا ما، عند التعاطي معه في الوان اللوحة وهندسة



البيـنان، وهـنا تـبرز المفارقـة في نـتاج كـل منهما بعد ذلك، إذ تؤول المادة اللونية فيما تقدمه قـريحتهم الفنـية والهندسـية إلى إحـساس؛ بقـدر درجة الإلهام وتأجج التدفق الشعوري الذي ينبثق عنه الإبداع تباعاً.

ويعـزز اعتـباره إحـساساً مـا ينـبعث في مشاعرنا من سيكولوجية خاصة للألوان في الفـصول الأربعـة وتكاتفنا على ألوان معينة معها، وانطلاق الألوان الباردة لتتألق في الربيع، وتأصل الألوان الرئيسية في فصل الشتاء وهكذا دواليك.

وتـسهم الألـوان في أحـداث انعكاسـات نفـسية وجـسدية علـى المتلقي المباشر لها، لاعتـبار أن اللـون هـو عبارة عن جزيئات من الضوء بموجات مختلفة السرعة والطول، إذ أن هـناك الـوان نـستطيع رؤيـتها، لأن اعينـنا تبـصر الوان تحمل موجات وذبذبات معينة، ومن الطبيعـي أنـنا لا نـرى الألـوان بدون ضوء، لذلك فإن كثرة تعرضنا لألوان معينة، تؤثر على اجـسامنا بالدرجة الأولى، وسيكولوجية الانفعالات في أعماقنا، لأن الضوء الذي هو مصدر الألـوان يؤثر على غدد معينة في أجسامنا، ويحفزها على إفراز هرمونات معينة أيضاً، ولذلك فـإن كـل عـضو في اجـسادنا له ذبذبة وتردد معين، ومن هنا يترتب اختيار اللون المتوافق مع هـذا التردد، ومن الطبيعي أن أي خلل في ذبذبة أي جزء من أجزاء الجسم، ينتج عنه المرض، والـذي يمكن علاجه ببساطة عن طريق إمداد الجزء المتغيرة ذبذبته باللون المناسب له، لتعديل الطاقة لديه إلى مسارها الطبيعي.

ومـن هـنا تكمـن أهمـية العـلاج بالألـوان من خلال امداد جسم الإنسان ومناطقه المخـتلفة بالألـوان المناسـبة حتـى يتحقق الشفاء، من خلال التعرض لأشعة اللون العلاجي، وتناول الأطعمة التي تتفق الوانها وطاقتها مع لون وطاقة العضو المراد علاجه.

وادرج هـنا مـنظومة الألـوان وانعكاسـاتها علـى انفعالات الأفراد وأبعاد سلوكهم السيكولوجي:



سيكولوجية اللون الأخضر وانعكاساته على انفعالات الأفراد:

يمثل اللون الأخضر لون الطبيعة والنمو والتوازن في لغة علم الطاقة، ويعبر عن التناغم مع الأشياء من حولنا، ويمكننا أن نستخدمه كرمز للسلام، ومن حيث الطاقة فهو لون متوسط الطاقة والذبذبة، وتبلغ طاقته ٣٥٠٠ انجستروم، وطاقة هذا اللون إيجابية ١٠٠٪، ومن المعروف عنه انه قادر على امتصاص كل الطاقات السلبية من كل الأجسام الحية والتي تتعرض له.

ويسهم انعكاسات اللون الأخضر في الطبيعة والمكان، في دفع الشعور بالحزن والأكتئاب، ودليل ذلك أن المكتئب أو الحزين عندما يجلس في مكان ملىء بالأشجار والنباتات الخضراء يزول اكتئابه ويصبح سعيداً ونشيطاً.

والقرآن الكريم أشار إلى اللون الأخضر واعتبره لون أهل الجنة، من خلال الآية الكريمة (يلبسون ثياباً خضر من سندس واستبرق).

والطاقة في اللون الأخضر تكون متزنة ومجردة من السلبيات، وانعكاساتها الانفعالية على الفرد تتشكل في النقاء والصفاء والتنزة عن الانفعالات السلبية، وإضفاء أجواء هادئة، وتجرد عن السلبيات، ويساعد اللون الأخضر على الاسترخاء وإضفاء حالة ما من الهدوء على الانفعالات الذاتية ويساعد على الإحساس بالهدوء والسلام والتناغم.

ويتفق اللون الأخضر مع سيكولوجية الانفعالات على محور الهدوء ويعبر في علم الطاقة عن حالة الأتساق الزمانية مع فصل الربيع وتصاعد الطاقة وتقويتها لدى الفرد، وهو في ضوء منظومة الوان الطاقة، يدخل في قائمة دائرة الإبداع في الألوان، ويساعد على المثابرة وعمل الخير، ويرتبط بالأشجار وفي الغذاء بالسبانخ والأوراق الخضراء وهو في ترتيب الطاقة يشكل شكرة الطاقة القبلية، ومكانها وسط الصدر في الإنسان، وله ارتباطات في علاج الكبد بيولوجيا.



سيكولوجية اللون الأحمر وانعكاساته على انفعالات الأفراد:

ويشكل أعلى الألوان طاقة، ويرمز على القوة والحيوية، ويتمثل بالنار، وتبلغ طاقته ٦٥٠٠ الجستروم، وهو اللون الوحيد الذي يفضل اقصاؤه عن أماكن النوم والراحة والاسترخاء، لأنه يصدر ذبذبات عالية تؤدي إلى زيادة في حركة ونشاط الخلايا وتسارع دقات القلب، لذلك فإنه يرتبط في تقوية عمل القلب، والأغذية المتسقة في تقوية عمل القلب مثل السمك الأحمر، وهناك ارتباط بين اللون الأحمر واندفاع المشاعر وتأججها، وبالتالي يساعد هذا اللون كما أشارت الدراسات أن غصت به غرف النوم في حالات الأرق والكوابيس والأحلام المزعجة سيكولوجيا.

وهناك ارتباط بين اللون الأحمر ورفع دافعية وحركة الأطفال، لذلك يفضل استخدامة في الأماكن المخصصة للعب الأطفال، والأماكن التي تحتاج إلى النشاط والحيوية لإنجاز الأعمال بها.

ويعبر اللون الأحمر سيكولوجيا عن الطموح والمشاعر الجياشة وتصاعد الطاقةواللباقة وحسن التعبير، ويرتبط زمانيا بالصيف ويرتبط بالطاقة بالشكرة الجذرية وبيولوجيا بأسفل العمود الفقري وهو ضمن قائمة دائرة الإبداع.

سيكولوجية اللون الأصفر وانعكاساته على انفعالات الأفراد:

ويعد لون الأرض، ويعبر عن الصلابة وقوة العقل، وتحمل أشعة اللون الأصفر التيارات المغناطيسية الموجبة التي نتنفسها، وتثيرنا فتقوى وتنشط حركة الأعصاب في الجسم، وتنبه العمليات العقلية العليا، ويولد الطاقة في العضلات ويحسن البشرة، وينظف ويعالج الحروق، وخصوصاً مرض الأكزيما، كما يستخدم لكل حالات الروماتيزم والتهابات المفاصل، لأنه يساعد على تحلل الترسبات الكلسية التي تترسب في المفاصل، وفي حالة نقصان أشعة هذا الجزء من أجزاء الجسم فإنه يؤدي على الشلل الجزئي أو الكلي، لذلك فهو اللون المناسب لعلاج هذه الحالة.



وهناك تأثير بالغ للون الأصفر في مجال الأعمال الكتابية والتفكير الخلاق، وهو من منظومة دائرة الإبداع في الألوان، وهو لون يساعد على تخفيض الطاقة وبالتالي يمهد لعملية الاسترخاء والراحة، ويزيد من مشاعر التجاوب والجو الأسري الحنون.

ويساعد اللون سيكولوجيا على الإخلاص والصراحة وحب الإنسانية، ويرتبط بالشكرة الذاتية في الطاقة، وموقعه بيولوجيا في التأثير بمناطق تحت الأضلاع بمناطق الطحال والمعدة والبنكرياس، ويرتبط بالغذاء بالبطاطا والليمون، ويرتبط زمانيا بفترة نهايات الصيف وابتداء هبوط الطاقة.

سيكولوجية اللون الأزرق وانعكاساتها على انفعالات الفرد:

يرتبط اللون الأزرق بقائمة الألوان الباردة ويعبر عن سكون الطاقة، ويرتبط زمانيا بفصل الشتاء، ويرتبط بالطبيعة بالماء، ويرتبط بالشكرة الحلقية من الطاقة، وهو من قائمة دائرة الإبداع في الألوان، ويرتبط بيولوجيا بمنطقة منتصف الحنجرة ويرتبط اللون النيلي بالجبين والجبهة وبالشكرة الجبينية، ويعبر اللون السماوي منه بالمثاليات وجدية الانفعالات، واللون الناصع منه يرتبط بانفعالات ترتبط بالهدوء والصفاء، ويقلل انفعاليا اللون الأزرق من مشاعر الغضب ويعين انفعالياً على التخفيف من ضغوطات الحياة، لذلك يفضل استخدامة في أماكن الاجتماعات التي يكثر فيها الجادلات والمشاحنات ويساهم في تقليلها وتهدئتها.

ويسهم اللون الأزرق ضمن معطيات الطبيعة، في تهدئة الانفعالات، ويتشكل ذلك في استنشاق هواء البحر، وبالتالي يخفف من حدة مشاكل الحياة وحالات القلق والتوتر، ومبررات ذلك ما يعكسه اللون الأزرق في امتصاص أو سحب الطاقة السلبية واستبدالها بأخرى إيجابية، وتجديدها في حياة الفرد، وبالمناسبة فأن درجة اللون الأزرق عندما تزداد قتامة، عند درجة اللون الكحلي؛ فهنا يقترب اللون من خصائص اللون الأسود سيكولوجيا فيعطي إيحاءات الحزن الانفعالية لدى الفرد.



سيكولوجية اللون البنفسجي وانعكاساته الانفعالية على الفرد:

ويعد لون هدوء الانفعالات، وكثرة التعرض له تسهم في زيادة الشعور بالحزن، ويعد اللون البنفسجي لون الروحانيات واحترام الذات والشرف، ويرتبط بالشكرة التاجية، ويرتبط بيولوجيا بمنطقة أعلى الرأس، ومساحة الطاقة له في مسارات التوازن دون الأكثار من التعرض له، لانعكاساته الانفعالية.

سيكولوجية اللون البرتقالي وانعكاساته الانفعالية على الفرد:

ويعبر عن الصحة والحيوية، والداكن منه يدل على تضخم الذات، واشعة اللون البرتقالي في علم الطاقة، تستخدم في حالات الإرهاق والتعب والإجهاد، وبيولوجيا في علاج حصى الكلى والمرارة وعلاج المغص الحاد والتشنجات العضلية ويساعد على عملية الهضم.

واللون البرتقالي من مشتقات اللون الأحمر بنسبة عالية مقارنة مع اللون البنفسجي، فبالتالي هو مثير انفعالياً، ويناسب في أجواء الترحيب.

سيكولوجية اللون الأبيض وانعكاساته الانفعالية على الفرد:

ويعد اللون الأبيض انعكاس لجميع الألوان، ويعبر عن بداية سكون الطاقة، ويرتبط زمانيا بفصل الخريف، وهو يمثل حالة التوازن في الطاقة، عند التعرض لإشعاعاته، ويرتبط بيولوجيا بالرئة والأمعاء الغليظة، وفي الغذاء بالثوم والزهرة، ويعبر سيكولوجيا عن الاستقامة والاعتدال، ويشاركة في هذه الصفة السيكولوجية أيضاً اللون الرمادي، واللون الأبيض يشير إلى حالة توازن الطاقة عند ارتدائه أو التعرض لإشعاعاته، وهو من ضمن قائمة دائرة الإبداع في الألوان، وان استخدام اللون الأبيض يسهم في أحداث تهدئة انفعالية لدى الطرف الأخر، لأن تلاقي إشعاعاته مع الألوان الأخرى، يسهم في تحقيق التوازن لكل الألوان التي ترتبط به.



سيكولوجية اللون الأسود وانعكاساته على انفعالات الفرد:

ويعبر اللون الأسود عن حالة زيادة الاتصال بالطاقة، وهو مفردة امتصاص جميع الألوان، وكثرة التعرض له تزيد من شعورنا سيكولوجيا بالحزن، وتعمق إحساسنا بذلك، ويساعد على تدفق انسياب حالة الكبت للمشاعر وخروجها الما وحزنا على ذواتنا، ويعبر روحانيا عن حالة العمق للروحانية وتعزيزها في الفرد المؤمن، كما نشاهدة عند بعض القساوسة والمشايخ، إذ يقدم اللون الأسود رسالة روحانية تعبر عن حالة تأصلها وتعمقها فيهم.

ويرتبط اللون الأسود بيولوجيا باكلي، ويرتبط بالغذاء بالتمر، وسيكولوجيا يمكن القول بأن من مزايا اللون الأسود سيكولوجيا اضفاء هيبة على من يرتديه أو يتعرض لأشعته، ويساعد في عوالم التفكير على البصيرة، وسيكولوجيا على البصيرة وحسن التصرف، ولكن من سلبياته انه يتضمن بنسبة كبيرة من معاني الحزن والانعزالية.

وما سبق يقدم إضاءة في قراءة علمية لمادة اللون في ضوء علم الطاقة وسيكولوجيا الانفعالات، لغاية التبصر، ومحاولة اعمق لفهم الوجود، والنفس الإنسانية، يقول تعالى عز شأنه وجلاله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

قواعد التعامل مع الآخرين

يقتضي التعامل مع الناس، في ظروف الحياة اليومية، اعتماد قواعد محددة، تشكل تشفير لفظي، وشكل من أشكال البرمجة الذاتية، لتقويم طبيعية تعاملك مع الآخرين، وتوجيهها نحو استقامة السلوك، وأورد تلك الوصايا على النحو الآتي:

- لا تكن عشوائياً في الحياة، كن صاحب خطة وفكرة ومهارة، وكلما زاد علمك، وكثر اطلاعك، زاد مرانك ونجاحك.
- تعلم حسن معاملة الناس، واهتم بهم، وقابلهم ببشاشة، وجاملهم وامتدحهم.
- ادرس الناس بوجه عام، وادرس أصحابك وزملاؤك بوجه خاص، اعرف طباعهم وميولهم، وقدراتهم، وظروفهم وتخصصاتهم ما يحبون، وما يكرهون، وحاول أن تدخل إلى قلوبهم من الزاوية الصحيحة.
- اعرف نفسك بأمانة، وحاول أن تغير من طباعك المنفرة، أو عصبيتك المزعجة، وتصرفاتك الشاذة، وأنانيتك، وعبوسك، سيستغرق تغيرك وقتاً من الزمن، ولكن إذا كانت أرادتك قوية، فسوف تنجح، وستكون الشخص المرموق والصديق المحبوب.
- لا تستسلم للفشل، أو ذكرياته المريرة، فلست وحدك الذي خابت بعض أماله وذهبت أحلامه إدراج الرياح.
- ابحث في أسباب الفشل، وستجد انك وحدك الملوم، فأنت المفكر وأنت الفاعل.
- تعلم أن تكون اكثر مهارة وأسرع في العمل، ولا تتردد أو تؤجل عمل القد، فقد يأتي الغد بما لا تشتهي نفسك، أو بما يقعدك عن التنفيذ.
- لا بد من بذل الجهود والمحاولات والتدريب المستمر، حتى تصل إلى أهدافك، كن صبوراً ومثابراً، حتى تحور تصرفاتك و تنمي شخصيتك وتعيد تشكيلها، بعد أن تستبعد الصفات الغير مرغوب فيها، وهنا كافح في سبيل إحداث التكييف، حتى تغمر نفسك بالسلام، وتسعد من الأعماق.



❖ إذا الحت عليك الظروف أن تنقد أحداً، أو كان النقد هو طبيعة عملك، فتعلم الطريقة السليمة للنقد، بأن تذكر أولاً محاسن الشخص واثني عليه، ثم عقب ذلك بنقد بناء رقيق، فاللباقة في النقد، تؤدي على حسن التوجيه، وتوجد علاقة طيبة بين الناقد ومرؤسية أو أصحابه، أو من يشرف عليهم، وان كنت رئيساً فلا يفوتك امتداح من يعملون معك من وقت لأخر، ومكافأتهم، ثم توجيه المقصر بكلمة رقيقة أو مشجعة، فإن عاد إلى التقصير فعاقبه في هدوء، لافتاً نظره انك تسامحت معه قبل ذلك وانه لا عذر له، وانه إذا ضاعف جهوده فسوف تعوضه عن هذا الجزاء.

وهكذا فإن تقدير الناس، بالرغم من الفات نظرهم، يحببهم فيك، وينمي صداقاتهم ويرغبه في أداء ما يطلب منهم، فإن كنت معلماً فلا يضيرك أن تثني على تلاميذك، بين وقت وآهر، وأنت كنت طالباً فلا يفوتك أن تشكر المحاضر أو المدرس بكلمة رقيقة مناسبة، وان كنت ضيفاً فلا يفوتك أن تثني على حسن استقبل مضيفك، وان كنت مهنئاً لعريس فلا يفوتك الثناء على حسن تنسيق المنزل وامتداح ذوقهم ووق من اختار معهم الأثاث.

وهكذا العلاقة بين الأباء والأبناء، والعلاقة بين الزوجين، وهذه من متطلبات اللباقة في التعامل مع الآخرين، فاللباقة والهدوء أثناء توجيه الإرشاد أيضاً يؤثران تأثيراً ساحراً على المستمع والابتسام الرقيقة التي هي ترياق التعامل الطيب بين الناس.

ومن المهم بمكان التحلي بالإيجابية، وهناك وصايا عامة في هذا الصدد هي على النحو الآتي.

وصايا عامة في الإيجابية:

❖ آكد ثقتك بنفسك، فالثقة بالنفس هي آساس النجاح.

❖ ابتعد عن مثبطي الهمم، وتجاهل الذين يرددون كلمات الإحباط واليأس والألم والبؤس.

❖ رؤيتك لذاتك واعتدادك بنفسك، هما سبب نجاحك.



- استحضر جميع الأفكار الإيجابية، التي تسعدك وتشحذ همتك.
- ابتعد عن المقارنات مع الآخرين.
- لا تستمع إلى أصحاب الشكوى، لأنهم يتركوا شعوراً سلبياً لديك، مما يتسبب في خفض مستوى الطموح لديك.
- اعرف نقاط قوتك وركز عليها، واعرف نقاط ضعفك وتغلب عليها.
- لا تقلل من قدرات الآخرين أو شأنهم أو قيمتهم، لأن النظرة السلبية للآخرين، تنعكس عليك أنت بالدرجة الأولى.
- عرف هدفك، لأنك بدونه، ستشعر انه لا قيمة لك في الحياة.
- تعود أن تنظر إلى الأمور نظرة موضوعية عقلانية دون تحيز.



لغة الجسد

تتسم لغة الجسد بعفويتها، وسهولة قراءة الفرد وتصرفاته من خلالها، وهي لغة المكنونات، التي ربما يتجنب الفرد الإفصاح عنها في لغته المنطوقة، ولكن لغة الجسد تعلنها من حيث لا يدري، ولغة الجسد لها مفرداتها، ومنظومة رمزية في التعبير عن الحركات، في كافة أنحاء الجسد، فمثلا إن كنت تتكلم ووجدت من أمامك يتمثل نفس حركتك الجسدية في الجلسة أو حركة اليد، فهنا تصلك رسالة مفادها قوة تأثيرك عليه، بدلالة محاكاته لك بحراك جسده، إشارة إلى انتقال الطاقة منك إليه، وتحقق هدفك في لغة التواصل بينكما.

والوجه الممتلئ والجسم الممتلئ، يعطي إيحاءات بنقص المرونة عند صاحبها، وانه دقيق في التعاطي مع الأمور حتى حد إزعاج غيره بهذه الدقة، فهو لا يعرف الوصول إلى مسألة معينة إلا بطريقة معينة، ولو وصلت لنفس المسألة بطريقة أخرى، فإن ذلك لا يعجبه ويرفضه.

والوجه الصغير جدا، في نحافة وطول، وفيه تحسس وتهيج بالبشرة، وبشرته من النوع الأحمر المهيج، وعيناه صغيرتان، هو مقلد، يشتغل بوحي المحاكاة للآخرين، دون وعي، وهو عاجز عن الابتكار والتجديد، وهو يحب المحاكاة في اللغة والكلام، ويمقت الأرقام، ولا يتقن عالم الحسابات فيها.

والقامة الرشيقة مع عينان متسعتان، تعطي أن هذا الشخص يمتلك طاقة حركية، في حيوية ونشاط وتدفق في الحراك ربما حتى التهور.

وفي مجال التخاطب مع الآخرين، إن كانت حركة اليد مبسوطة ومفتوحة، فإنها تعطي إشارات بأن الشخص الذي أمامك يقدم لك كل ما لديه من خبرات ومعارف ولا يخبئ عليك شئ، أما الذي يضم يديه وتعتصر بين يديه، وتتكمم، فأعلم أن لديه مشكلة ما.

وإن وجدت شخصاً ما أمامك وقدما تتحركان كثيرا وهو جالس أو وهو واقف، فأعلم انه مرتكب في موقف ما، أو انه تعتصره الغيرة، أو الإرباك والخوف من شئ يكتمه، والذي يحدد ذلك طبيعة الموقف الذي يتواجد فيه الشخص.



ويشير ضيق أفق العين مع امتدادها، إلى حالة نارية عصبية لدى الشخص، وان توافقت بحالة رفيغة من الحاجب، بارزة بين عيني الناظر، فإنها تشير إلى لؤم وخبث في الشخص، وربما يعزز ذلك حراك عينيه، وحركاته في يده وتعامله، مع منطق كلامه في الحديث.

وإجمالا الوجوه الصفراء تشير إلي نفسية مكبوتة، تحجب حقيقتها عن الآخرين، وتعاني من الغيرة الشديدة، وتعتمد منطق الإدعاء بالحقيقة، وحجبها عن الآخرين، ومحبة إثارة المشكلات بين الآخرين، والتفرج عليها، فضلا عن معطيات نقص الثقة بالنفس.

ولغة الجسد كانت تعرف عند أجدادنا وعلماؤنا الأوائل بأنها فراسة المؤمن، والشرع الإسلامي الحنيف يخبرنا بان المؤمن يرى بنور الله، وان هناك ارتباط بين فطنة المؤمن وحدسه وحالته الإيمانية ومستوى الارتفاع فيها، واشتهر بها علماء عدة مثل الأمام الشافعي، وكذلك القاضي اياس، كان يعتمدها في منهجه القضائي، حتى انه ميز بين امرأتين أحدهما حامل في بدايات الحمل وهو غير بارز للعيان والأخرى بكر، من خلال تعرضهما لموقف يثير الخوف والجزع، فالحامل وضعت يدها على بطنها، والأخرى وضعتها في المنطقة السفلى جدا من البطن، وهذا قطرة من بحر علم علماؤنا الأوائل في علم لغة الجسد.

والقرآن الكريم يقدم لنا رؤية متكاملة في لغة العين، ومضامينها في التعبير، وثروة هائلة في لغة الجسد، وقد بحثت دراسات علمية هذا الأمر، وسجلت نتائج مذهلة من خلال ذلك، واقدم نماذج عملية في التعبير من خلال لغة الجسد:

حالة رقم (١): ذهبت (أ) لتحصيل وظيفة عمل في مكان ما مع صديقة لها (ب) ترافقها فقط، فنزلت إلى الطابق الأول (أ)، حيث تقول لها ب (ب): لا انه في الطابق الثاني: ويتم الذهاب إلى المسؤولة، وعندما رأت المسؤولة أ و ب، بادرت في القول، إنما سبق أن قدمتما هنا، أليس كذلك، فتقوم (أ) بتعبئة الطلب، وتقوم (ب) بالمشاهدة، وعند نزولهما، تبادر (ب) بالقول: غريب أنها تذكرنا وقد زرناها منذ مدة طويلة ووجهها احمر، فتقول (أ): سبحان الله، علما بأن (ب) هنا محدودة الإدراك، وتقليدية، ولا تحفظ الأماكن، ودائما تحتاج إلى من يرشدها في سفرها وكافة مسائل حياتها.



لغة الجسد تشير هنا إلى ارتباك حركات (ب) وهي ترافق (أ)، ومقولة المسؤولة تؤكد قدوم (ب) من دون ذكر ذلك لـ(أ) إلى مكان الوظيفة مع شخص آخر يريد أن يتقدم للوظيفة ولا تريد أن تذكر ذلك لـ(أ)،، وبدلالة معرفتها المكان، وتعرف المسؤولة عليها، ومبادرة (ب) إلى نفي التهمة عنها لأنها تشعر بالخوف والإحراج، والقول أنها تتذكرنا وقد كنا عندها منذ فترة طويلة.

حالة رقم (٢): تواجه شخص، أكتافه منحنية، ويتكلم وجسمه غير مستوي بين عينيك، ولغته فيها بطء، وصمت، وهدوء.

لغة الجسد: هذا الشخص يعاني من حالة من الحزن الشديد، وهو يكبته في أعماقه، بدلالة انحناء أكتافه وعدم استواء جسمه وكأنه ينخفض بين عينيك، والبطء والصمت والهدوء، كلها مع انحناءات الجسم، تدل على حزن مكبوت في نفس الشخص.

حالة رقم (٣): يسلم عليك شخص، يداه سليمتان، بمعنى لا يعاني من أمراض عصبية واجهاد في حركة يديه، كأن يكون يعمل بالدهان أو الرسم أو طبيب جراح، وهو يسلم عليك وتنسل يده منك بسرعة.

لغة الجسد هنا تشير إلى أن هذا النوع من المصافحة يسمى 'السمكة الميتة' وهي تشير وفق الأحترازات السابقة – بأن لا يكون هناك علة عصبية أو اجهاد في يديه– بأنه بارد المشاعر تجاهك، ولا يحمل آية مشاعرك بصددك، وربما يحمل ضغينة واحساس ناري تجاهك، وربما يحمل مشاعر سلبية، يتعمد من خلالها احارجك، وخفض مفهومك لذاتك.

حالة رقم (٤): تذهب (أ) وهي فتاة ملتزمة أنيقة إلى مطعم، تحاسب على الكاونتر امرأة محاسبة (ب) وهي ممتلئة عادية، هناك، وكلما ذهبت للمحاسبة (ب)، فإنها ترمق (أ) بعيناها، وتأخذ المبلغ بصورة تدل على ضيق، وتشعر(أ) بأختناق (ب) عند رؤيتها، علما بأنه ليست هناك سابق معرفة، وكلاهما مجهول لدى الأخر.

من المؤكد في علم الطاقة، أن الروح هي عبارة عن هالة متلالئة، لها ترددات معينة، وان كلا الروحين لـ(أ) و(ب) تردداتهما في الطاقة أو الهالة مختلفة، ولنقل متضادة، ولا بد أن تكون صفات (أ) مضادة لصفات (ب)، وهنا لابد أن تكون (أ) شخصية خيرة، لأنها في



موقف إيجابي، لم تصدر منها سلوكات سلبية، وشخصية (ب) شخصية تعاني من الغيرة وأزمات سيكولوجية لها علاقة بالمظهر والسمت العام، لأنها ترى نفسها أنها الأفضل، وتخدع ذاتها، وتفاجئ بمن هو اكثر سمتا ورتابة منها، ويؤكد انه في المظهر الخارجي لأنه لم يحصل تعارف بينهما، وإلا كان الخلاف اكثر شدة واحتداما، والخلاف في الترددات كما ذكرنا سابقاً يتركز في الشكل الخارجي والمظهر العام للشخصية، وهنا تسأل (أ) عن موطن انزعاج (ب) عند رؤيتها لـ(أ) فأن كان في منطقة الوجه فيكون ما يتعلق بالوجه، وان كان في الرأس، فربما يتعلق بحجاب (أ)، وان كان في الثوب، فهو يتعلق بالثوب وهكذا.



محاكمة الذات

تواجهنا في الحياة مشكلات عدة، نابعة من مصادر متنوعة، من ضغوط العمل، واشكالات أسرية، وأحياناً نابعة من انخفاض مستوى الذات، وانحدار مستوى الدافعية، والتحفيز الذاتي لدينا، وهو من مهارات ذكاء المشاعر (العاطفة) فينا، التي تجعلنا نتحدى المصاعب، ونصوب نحو الهدف، ونوجه طاقاتنا نحوه، من خلال منصة القرار أولاً، والسؤال المطروح هنا، كيف اخرج من أزمتي، كيف أعالج واقعي الذي اشعر بعدم رضا تجاه، ولدي مطامح للارتقاء به نحو حالة افضل، ومساحات من السلام الداخلي والخارجي، هنا عليك عزيزي القارئ اتباع النقاط الآتية، في محاكمة ذاتك بين يديك، وهي على النحو الأتي:

- ☒ الاعتراف بأنك في مشكلة أو أزمة أو حالة غير مرغوب بها، وتود الخروج منها، وهنا يجب أن تبادر إلى القرار فوراً بالتغيير، والمبادرة للخروج من هذا الواقع أو النفق السيكولوجي المظلم الذي أنت فيه، بحيث لا تتجاهل مشاعرك، ولا تسمح للألم النفسي أن يعتصرك فوق الحد المطاق، لأن الآلام تتراكم وتتراكم، حتى تبلغ حد الاختناق والانفجار، وهناك تتعقد المسألة وتتشعب، ويغدو الحل صعباً للغاية، وربما يوصلك إلى حد الصدمة النفسية.
- ☒ محاكمة ذاتك، واعتباره المسؤولة، وعدم رمي الأخطاء على الآخرين، فنحن عندما نعزو ما نواجهه من أزمات والام وانتكاسات إلى الآخرين، فإنه يعقد المسألة، حاور ذاتك، وابحث عن الأسباب، وحاول أن تملك مقاليد أمرك، والمسؤولية التامة، وتسيطر على ذاتك، حتى تستطيع أن تستوعب ذاتك، وتواجه مشكلتك، وتبحث بجد عن المفاتيح، للخروج من الأزمة النفسية التي تركن تحت نيرها.
- ☒ حلل ما أنت فيه ثم قم بتجميع الأفكار.
- ☒ تكلم مع ذاتك عبر الورقة، وحدد المشكلة، وأسبابها، وتداعياتها في ذاتك وواقعك، تأمل فيمن حولك، وحاول أن لا تتعب نفسك في تغييرهم، حاول أن تغير ذاتك ونظرتك للموقف، حتى تتمكن من امتلاك زمام قيادة ذاتك، وحل مشكلاتك،



حاول أن تتخذ من عملية التحليل، نافذة النجاه، التي تطل بك على شواطئ سيكولوجية هادئة، معتمداً القواعد السيكولوجية الآتية في التعاطي مع الآخرين.

- لا تفتح نافذتك الشخصية للآخرين بما فيها من أسرار لك وعن الآخرين، وحول انطباعاتك الخاصة عن نفسك والآخرين.
- كن متوازناً مع الآخرين، وإياك أن تتعرض لابتزاز الآخرين العاطفي تجاهك.
- كن واعياً وحدد منظومة حقوقك وواجباتك تجاه الآخرين، ومنظومة حقوقهم وواجباتهم تجاهك، واعمل باعتدال في المساحة الفاصلة بينهما، دون إفراط ولا تفريط.
- كن مثاليا مبدئياً ولكن كن واقعيا، وحاول أن تمزج بينهما، حتى تستطيع أن تتذوق ماء الحياة بعذوبة بعيدا عن الصدمات والمنغصات.
- من كان معدنه مغشوشاً من الناس، ولا يتسم بالأصالة والمبدئية، فلا تتعب نفسك معك، وقل دوما "ماذا انتظر منه" ولا تتألم تجاه مواقفه وقل "هذا ما يمكن أن يقدمه ويستطيعه".

انطلاقاً مما سبق لا تتعب نفسك في لوم الآخرين، وارسم صورة إيجابية رائعة لنفسك، وحاول أن تبرمجها في أعماقك اللاشعورية، وحاول أن تتعلم حقيقة أن تنزل همك بالله تعالى، ولا أن تنزله على أبواب الناس، فإن في ذلك ألم وحسرة، وتضخيم للمشكلة، ودوام لها، ولكن انزال الهم بالله تعالى هو رحمة وسكينة وزوال للهم.

نوافذك الشخصية

تمـر بـنا في الحـياة الآف لا تعـد من المواقف، وربما نخضع في إطارها أحياناً، للعفوية والاسترسـال، وكـأن كـل شيء مفتوح في حياتنا أمام الآخرين، وهنا تدور حكمة المقال، التي علمها لنا علماؤنا الأوائل، وان يكون كلامنا فيما قل ودل، بعيداً عن الثرثرة وحشو الكلام، وكمـا أكد شرعنا الحكيم بعيداً عن القيل والقال، وآفات اللسان، التي أكدت نصوص القرآن الكـريم والـسنة الشريعة على اجتنابها، وهنا إن كان لا بد من رحلة للتغيير عبر علم هندسة الذات، لتلك العفوية في الاسترسال اللفظي مع الآخرين، فنحن في رحلة تغيير، تمر بمحطات متعددة هي:

- مساحة الإمكانيات المتاحة.
- مساحة طرح التساؤلات لماذا أريد أن أتغير.
- مساحة الثمرات التي اجنيها من التغيير في مستقبل حياتي.
- مـساحة النـشوة والسعادة التي ترافقني عند التغيير، واكتساب الصفات السيكولوجية التي اطمح لها في ذاتي، وتعزز مفهوم الذات لدي، في محيطي الشخصي وفي التواصل مع الآخرين.

وهـنا في مجـال ضبط العفوية والاسترسال في الحديث مع الآخرين، أضع بين يديك عزيـزي القـارئ منظومة نوافذ واليات التعاطي معها، وهو ما يطلق عليه نافذة جو وهاري، ومـضمون تلـك الـنوافذ هـو علـى النحو الأتي: النافذة الأولى: وهي المنطقة الحرة أي جميع المعلومات التي تعرفها عن نفسك ويعرفها الآخرين عنك مثل اسمك وعمرك .. إلخ النافذة الثانـية: وهـي المـنطقة الخاصـة التي لا يعرفها أحد عنك إلا إذا أفصحت عنها لأحد. النافذة الثالـثة: فهـي المـنطقة المجهـولة الـتي لا يعـرفها أحـد عنك ولا تعرفها أنت كأن تكون لديك موهبة معينة ولا تدري عنها. النافذه الرابعة: وهي منطقة التعرف التي يعرفها الآخرون عنك ولا تعـرفها أنـت .. مثلاً كأن تعرف بينهم بأنك شخصية وصولية وتتسم بالابتزاز، أو تتنكر للمعروف والعطاء، أو متهورة عدوانية.



وهنا يجب أن نضيق مساحات النافذة الخاصة، حتى لا تتعرض لابتزاز الآخرين مقابل تلك الأسرار، أو تتعرض لافتعال مشكلات في حياتك من وراء فتح تلك النافذة الخاصة، وربما مشاكل المشاهير والمبدعين في الحياة، ناشئة من الاسترسال، وعبث الآخرين في تلك النافذة المشرعة للهواء والناس، والنافذة الثانية إن بلغت دررها وتفاصيلها، فأعمل بمقتضى الواجب والوعي تجاهها، من خلال التطوير والارتقاء بها في أطر خيرة بناءة.

والنافذة الرابعة تتطلب محاكمة للذات، أو ما يطلق عليه بالشرع الحكيم بالمحاسبة، وتحليل الذات، وربما يحتاج إلى مرشد ومعالج، لغاية تحليل الحالة واسقاطاتها، وتحديد الأسباب، والبحث عن المفاتيح، وتطوير الشخصية لبلوغ مساحات الاستقامة السلوكية، ورفع مستوى مفهوم الذات للفرد، وتحفيزه في إطار منظومة قيم سامية رفيعة.



المعاناة الذاتية

تواجهنا الحياة بمرها وحلوها، وفي الآف مؤلفة من المواقف، التي تنال من مشاعرنا، واهتمامنا، ويكون لنا معه، من المعاناة الذاتية، التي لابد منها، لأن من احترقت بدايته، أشرقت نهايته، ولأن الخطوة الأولى وما فيها من التعب والضنك والجهد، هي المؤشر الإيجابي لما بعدها، وهنا ونحن في مرحلة المعاناة الذاتية مع المشكلة، أو الواقع، أو ما يعترضنا من احباطات، يجب أن نربي ذواتنا على التفكير الإيجابي، وهنا احدد بعض النقاط الإيجابية في هذا الصدد وهي على النحو الأتي:

- ☒ أكد ثقتك بنفسك، فالثقة بالنفس هي أساس النجاح.
- ☒ ابتعد عن مثبطي الهمم، وتجاهل الذين يرددون كلمات الإحباط واليأس والألم والبؤس.
- ☒ رؤيتك للذاتك واعتدادك بنفسك، هما سبب نجاحك.
- ☒ استحضر جميع الأفكار الإيجابية، التي تسعدك وتشحذ همتك.
- ☒ ابتعد عن المقارنات مع الآخرين.
- ☒ لا تستمع إلى أصحاب الشكوى، لأنهم يتركوا شعوراً سلبياً لديك، مما يتسبب في خفض مستوى الطموح لديك.
- ☒ اعرف نقاط قوتك وركز عليها، واعرف نقاط ضعفك وتغلب عليها.
- ☒ لا تقلل من قدرات الآخرين أو شأنهم أو قيمتهم، لأن النظرة السلبية للآخرين، تنعكس عليك أنت بالدرجة الأولى.
- ☒ عرف هدفك، لأنك بدونه ستشعر انه لا قيمة لك في الحياة.
- ☒ تعود أن تنظر إلى الأمور نظرة موضوعية عقلانية دون تحيز.

وهنا بعد أن تلتزم بقواعد التفكير الإيجابي في الحياة، لابد أن نؤكد أهمية المعاناة الذاتية للمرء في الحياة، وأنها من سنن الحياة، لأن الكفاح هو مفتاح النجاح، والسيدة مريم

علـيها الـسلام، كان بالإمكان أن تعطى الرطب بين يديها، ولكن قيل لها هزي جذع النخلة، تساقط عليك رطبا جنيا، إشارة لأهمية المعاناة الذاتية وبذلها لتحصيل الشيء، ومن لم يتذوق ذلـك، يـصعب علـيه، بلـوغ عظـيم المنجـزات، وهـنا يورد قصية شهيرة سيكولوجيا في هذا الـصدد، حـول فراشـة، وماهية المعاناة في حياتها، التي تبلغها تحقيق أهدافها، وماذا يحدث لو قمـنا بإلغاء ذلك، وماذا يحدث، ومضمون القصة يقول الآتي: وجد رجل شرنقة فراشة، وفي يـوم مـن الأيـام بيـنما كـان ينظـر إليها، ظهرت فتحة صغيرة على جانب من الشرنقة، وهنا جلـس الـرجل ليراقـب الفراشة لعدة ساعات، و هي تجاهد لدفع جسمها بقوة للخروج من الفـتحة الـصغيرة، ثـم بـدا أنهـا توقفت عن إحراز أي تقدم، وظهرت إمكانية إحرازها لأي تقـدم بعـيدة للغايـة، وعندئذ قرر الرجل مساعده الفراشة!! واخذ الرجل مقصا وقطع الجزء المتبقـي مـن الـشرنقة بـسهولة، وكان هناك شيء غريب، فجسم الفراشة كان منتفخا، وكان جـناحاها واهـنين، واستمر الرجل في مراقبة أن يكبر الجناحان في أي وقت، وينفردا ليتمكنا من سند جسم الفراشة، وهو ما يمكن أن يتم في حينه لكن لم يحدث أيا من ذلك.

والواقـع أن الفراشـة قـضت بقية عمرها و هي تحبو عرجاء هنا وهناك بجسم منتفخ وجناحين مشوهيين ولم تكن لها قدرة على الطيران!!

ومـا فعلـه الرجل عطفا و تسرعا ولم يفهمه، أن تقيد الشرنقة والكفاح المطلوب من الفراشة للخروج من الفتحة الصغيرة للشرنقة هي الوسيلة التي شرعها الخالق طبيعيا لاجبار المائـع مـن جـسم الفراشـة علـى الخـروج إلى جناحيها بشكل يجعلهما قادريين على الطيران بمجرد أن تتحرر الفراشة من الشرنقة.

فالمعانـاة الذاتـية، هـي بلـسم الـنجاحات، مهما كان مرأ في مشاعرنا، والحياة بدون مصاعب وتحديات، تغدو مرتعا للكسل والخمود، وهشاشة في النفسي والسلوكي لنا، وهكذا فـأن قدر المبدعين في الحياة، هو المعاناة الذاتية، التي تولد الطاقة اللامحدودة، وتدفعها للأمام، في عوالم التحدي والإصرار، في ظل طاقة حارة دافئة معطاءة.



قوة الانطلاقة

يدخل هذا المبدأ في ظل قانون الحراك، لتفعيل الطاقة، الذي يتطلب إرادة واعية، وعزيمة صادقة، فإذا ما كللت تلك الإرادة بالقرار الحاسم، فإننا بذلك نتجاوز المخاض والإرهاصات، لنصل إلى الميلاد وماهية التغيير واقعاً بين أيدينا، وفي هذا الصدد يقول يقول ستيفن كوفي: "إن الانطلاقة تستهلك جهدا جبارا غير أننا بمجرد اجتياز نطاق قوة الجذب فإن حريتنا تأخذ أبعادا جديدة".

وفي المقابل؛ فإن التمنيات لا تصنع التغيير، لأنها تبقى في دائرة الطاقة الكامنة، والإرادة الهشة المستلبة، وتبقى ورقة في مهب الريح، تعبث بها أيدي الآخرين، فإن لم تقرر ماهية حياتك، قررها عنك غيرك، وإن لم تتحكم بوقتك، تحكم بك وقتك، وحركتك لهو الأيام، والعبثية، والتلقائية، فيكون مآلك أن تكون كالأنعام الضالة، بل أضل.

والعبرة بتقييم التغيير، الإيجابية والبعد الأخروي، فكل ضال، رحلة التغيير في حياته ومنجزاته موقوتة، بمساحات الدنيا الفانية، وهي ذات حجم صغير للغاية، ورحلة التغيير في حياة المؤمن، مساحاتها لا متناهية، لأنها تجتاز الدنيا إلى مساحات الآخرة اللامتناهية، وهي بحجم ميزان إعماله بيد الله تعالى، حيث اللذة الخالدة، في جنان النعيم، وهذه رحلة التغيير الماسية، التي تتحكم في مسارات المؤمن، وراحته، بالمجاهدة تلو المجاهدة، لبلوغ ثمرة ماسية، لا تقارن مع منجزات الدنيا مهما علت واعتلت وتضخمت بين أعيننا.

وفي المقابل، يعاكس قوة الانطلاقة، المحبطات، وجنودها الآدميين، الذين يتسمون بالعبثية، والأفكار السوداوية، ورؤية نصف الكأس الفارغ، والتلقائية، وعدم وجود أهداف في حياتهم، فتحركهم أهوائهم، ونزعاتهم الشيطانية، التي تتسم بالتهور والخفة والطيش

ومما يعزز قوة الانطلاقة بناءً على ما سبق:



- وجود خطة عمل، تتضمن استراتيجيات العمل، ومنظومة الأهداف المحددة فيها.
- طلب التأييد الإلهي في العمل، ورحلة التغيير، وهذا ما نسميه قانون التوفيق، وثمرات ذلك، تحقيق الأمن والطمأنينة والسكينة، أي الراحة الداخلية، والقوة النفسية، وهذه ذات تأثير في تفعيل قوة الانطلاق، ورفع مستوى الوقود فيه، نحو العطاء والحراك المستمر المعزز، وكما قال أحدهم "في اللحظة التي يتعهد فيها الإنسان بأن يلتزم تجاه شيء ما، فإن العناية الإلهية تسانده وتؤيده، وتنبري كل الأشياء والمواقف والأحداث لمساعدته، التي ربما لم تتواجد في وقت وظروف غير هذه الظروف؛ التي تهيأت فيها ارادته للتغيير المرضي عند الله تعالى، وانبثق منها قراره الحاسم، وفي ظل ذلك، يتدفق سيل كامل من الأحداث والوقائع واللقاءات غير المتوقعة والمساعدات المادية لصالحه، وكلها مواقف ومفاجآت وهدايا ربانية، ما كان يحلم بها، لولا هذه القرار الحاسم المكلل بتأييد الله تعالى".
- دفع كل عوامل تثبيط الهمم، وتعطيلها، من خلال رفع مستوى التفاؤل، والحرص الجاد على تحقيق الأهداف المتوخاة من التغيير، وتحفيز الدافعية الذاتية دوماً.
- احترام الالتزام الداخلي، بالمواظبة على التغيير، وبذل كافة الأسباب الموجبة له، دون ملل أو كلل.
- رفع مستوى الثقة بالنفس، وإمكانياتها العالية، لأن هذه الثقة مولدة لطاقة التغيير اللامحدودة، وكما يقول روزالين كارتر "ثق في قدرتك، ثم كن قويا بما فيه الكفاية، حتى تستطيع مواصلة العمل، فيتحقق ما تتوق إليه ذاتك من الإنجاز"، فالشك في الثقة وما يتبعه من القدرات والإمكانيات، يحول دون المرء وتحقيق المنجزات، من خلال التزام متطلبات التغيير الإيجابية في حياة الأفراد والمجتمعات.



- امتلاك مقاليد قيادة الذات، وتحقيق الاستقلالية، ونبذ الألمعية، والتزام الحزم واللين معاً في قيادة الذات نحو الإبداع والمنجزات، في رحلة التغيير الإيجابية.
- ابدأ بالتدريج، وأحسن تخطيطك في هذه الانطلاقة الابتدائية، فهي كفيلة بحفظ نهايات المسار في التغيير، لأنها سمة التدريج في بدايات الخطى، تدفع الملل والكلل، وهذا ما ينصح به التائبون الجدد في محراب الأيمان، حتى تستقيم سلوكاتهم على الطاعات، والسلوكيات الملتزمة منهج الإسلام، فالبداية القوية بعنف، التي تسمى بالشرة والثورة النفسية، يعقبها كما جاء في السنة الشريفة ملل وفتور، وربما انسحاب عن طريق التغيير، فالمهم حسن النهج في البداية مع التدرج، وكما يقول بروس بارتن "بمجرد أن تبدأ التغيير تكون قد أنجزت الجزء الأكبر من المهمة".
- دفع الخوف والجزع: يشكل الخوف دافعاً مرضياً، عند تصنيفه في المشاعر الانهزامية، التي تعيق مسيرة التغيير الإيجابية، لذا يجب مقاومته، وربما نتعلم درساً من الطبيعة، كيف ينقض النمر على الغزال، بالرغم من سرعة جريان الغزال، التي تفوق النمر، ولكنه الخوف، الذي ترتعد له ذرات كيان الغزال، فتحيله لقمة سهلة غير ممتنعة في أحشاء النمر الواثق من قدراته وإمكانياته، وشجاعته في المضي إصراراً وتحدياً في تحقيق أهدافه في مسرح الأحداث، الذي يثير التدبر في أعماقنا في مساحات الغابات الشاسعة، وما تترع من الدروس والعبر في حياة الأفراد والمجتمعات.



المؤثرات البيئية

يرتبط مبدأ تغيير البيئة، بقانون الجذب في عوالم الطاقة اللامحدودة، وانعكاساته في سلوك الأفراد والمجتمعات، لذلك يعد قانون الجذب عاملاً ميسراً للتغيير، إن كان في ضوء أهداف التغيير، ويعد معيقاً للتغيير، إذا كان مناقضاً لأهداف التغيير.

فقانون الجذب يحدد سلوكاتك، ويتحكم بها، فإن كنت في بيئة من المتشائمين والمحبطين، وذوي الأفكار السودواية، فإن رحلة التغيير، التي تنوي التحليق من خلالها، سينالها التثبيط والفشل، لا محالة، تحت أزيز قانون الجذب السلبي هنا، لأن سلبيتهم ستنعكس عليك، وتحكم معنوياتك، وتضعف من روحك المعنوية، وتألقك، فيظلم قلبك، وتنكفئ طاقتك اللامحدودة، وتختبئ منحسرة في كمون وجمود.

وفي المقابل، إن كنت للتو في مشروع تغييري في تطوير ذاتك، وكنت في بيئة معززة، تحفل بالمبدعين والمنجزات، أو مجالس العلم الشرعية الحاثة على القيم والأخلاق العالية والأمل والتفاؤل في الحياة، وترى بين عينيك، كيف يذلل من حولك العقبات، ويبادرون دوما لتزويدك بالرسائل الإيجابية في الحياة، فإن وجد في حياتك أمثال هؤلاء العظماء في أرواحهم وسلوكهم، فأنت في محضن الرفقة الصالحة الطيبة، التي حث الشرع عليها، فهنا يعمل قانون الجذب مع هؤلاء، في شحن ذاتك إيجابياً، وتوليد المزيد تلو المزيد من الطاقة اللامحدودة التي تسكن في أعماقك الدفينة، وبالتالي تشعر بقوة نفسية هائلة أمام التحديات التي تواجهك في رحلة التغيير، وتحمل في وجدانك، ذكاء المشاعر التي تعزز خطواتك في التغيير.

وانطلاقاً مما سبق، فيجب عليك مقاومة كل ما يعيق مسيرتك في التغيير، وتوفر لذاتك البيئة المعززة المحفزة على التغيير، لأنها وقود لمركبتك المتألقة في

التغيير، وتجعلك نورساً يحلق بجناحيه بحرية واندفاع في سماءات المنجزات، في حين أن الذي تحوطه المحبطات والمثبطات في طر البيئات السلبية، يغدو نورساً مفتت الأجنحة، لا ارتاح في شواطئه ونال كرامته، ولا حلق في عليين السماء، وحقق ذاته فيها.



التفاؤل

يعد التفاؤل من المفردات الهامة، في سيكولوجية التغيير، لأنه صمام الأمان لها، في ظل مواجهة المصاعب والمثبطات، والتفاؤل يرتبط بعدة معاني سيكولوجية منها حسن الظن بالله تعالى وتأييده، والإيجابية في الحياة.

التفاؤل "روح تسري في الروح؛ فتجعل الفرد قادراً على مواجهة الحياة وتوظيفها، وتحسين الأداء، ومواجهة الصعاب، والناس يتفاوتون في ملكاتهم وقدراتهم، ولكن الجميع قادرون على صناعة التفاؤل" (العودة، ٢٠٠٧).

وينبعث التفاؤل من خلال قرار داخلي حاسم، يجعل الفرد ينظر ببشر للحياة، ويرى في العقبات التي تعترضه، فرصاً للتحدي، ومسرحاً لاختبار ذاته، واثبات كفاءتها في مواجهة الملمات.

والتغيير، يتطلب روح متفائلة، تنعكس على لغة الجسد، في امتشاقه الجسد وعدم انحنائه، والحراك النشط، لا الجمود الساكن، وحيوية العين في ذكاء الرؤية، لا انكفائها على رؤية السلبيات، وانفتاح اليد طلقة في التعبير، لا انقباضها وارتجاجها، وانبساط خلايا الوجه وطلاقته في الانفتاح، لا اصفرارة وانقباضه وعبوسه، وثقة المشية، لا اهتزاز القدم، تعبيراً عن الإرباك والقلق، وارتفاع مستوى التنفس، لا انقباضه واختناقه، وانفتاح الشفاه عن ابتسامة لؤلؤية، لا انقباضها في حركات اعتصارية.

ويرتبط التفاؤل بنبذ ما يعد عرفاً بين الناس والشعوب، تحت مسميات التشاؤم من المادة والطيور والأرقام، ويبطن في أعماقه نوايا خيرة تجاه الناس والحياة، ويتقبل المصاعب بنفس راضية، كلها ثقة ويقين بالله تعالى.

ويعد من مقومات التفاؤل فنيات اللغة اللفظية عند المتكلم، وهي مهارة تتعلم عبر تمارين الطاقة اللامحدودة، وقد اورته في الفصل السابق (التغيير وتمارين الطاقة اللامحدودة) وفيما يلي جدولاً ميسراً في هذا الصدد.



الكلمة المعتادة (المألوفة)	الكلمة الأكثر تفاؤلاً وبشراً
بدلاً من القول	الأفضل أن نقول
هذا عمل صعب أو هذه المهمة صعبة	هذه المهمة ليست سهلة ولكن أستطيع أن أقوم بها
كم كان هذا اليوم شاقاً	كم كان هذا اليوم مفعماً بالنشاط والعمل
لا تغضب	أرح أعصابك
لا أستطيع	سوف أسعى وأحاول
أظن أنني سأنجح	إن شاء الله سأنجح
لا أعتقد أنه يتحقق	آمل أن يتحقق
أشعر بكسل	يجب أن أتقوى
أنت ضعيف	تحتاج إلى مزيد من الجهد

ولذلك فإن التفاؤل، كلمة طيبة، في أصل معناه وجوهرة، ومما يعمق تلك التربية اللفظية في السلوك، المداومة على الدعاء والتضرع بين يدي الله تعالى، تربي الفرد على ترداد الألفاظ التي تبعث فيه الحياة والتفاؤل معاً، وتجعله قوياً أمام الألأم والأحزان والمصاعب، وتستخرج طاقته النشطة من أعماقه، وتحثه على المضي قدماً، بتأييد من الله تعالى، وتحرك فيه إحساس بالقوة والعطاء، وتحمل مسؤوليات التغيير، وتحثه على التقوى على بذل الأسباب الموجبة للنجاة والتغيير الإيجابي المنشود.

ويرتبط التفاؤل بعوالم اللاشعور، وما تختزن من مكبوتات، فإن كانت سلبية، انعكست على السلوك، وبرمجته في ضوء تلك المشاعر السلبية، من خوف أو قلق أو حزن، والإشكالية هنا ليس في المكبوتات اللاشعورية فحسب، إنما في انعكاساتها في المنامات، وما تحدثه من نظرة سوداوية وشؤم يومي، ينعكس على الذات في سلوكها الشخصي والاجتماعي، وفي ميدان العمل والمسؤوليات، هذا من جهة، وأيضاً انعكست في الرؤية السلبية للناجحين، وتقزيم منجزاتهم، والإرباك في المعاملات اليومية في سمت الشخصيات



المهزوزة، التي لا تحسن اتخاذ القرارات، وتستهوي أن تكون أداة بيد غيرها، فتكون بمقام الأمعيات، هذا فضلاً عن آفة الشك وسوء الظن بالناس، في ظل مشاعر مرضية، ترى الوجود بعين سوداوية مدمرة للذات والمجتمع معاً.

وربما ما ذكر سابقاً حول الشخصية السلبية ومعطياتها، الذي يعد معوقاً من معوقات التغيير، لأن التغيير يتطلب نفوساً حرة متفائلة، تكسر النمطية والسلبية، وتنطلق حرة نحو الجدة والإيجابية في الحياة، مقاومة موانع التغيير، وتستبشر في الأفق القادم، واغصانه العلية، همة وإنجازاً.



المستقبل

يعد استشراف المستقبل من المفردات العصرية، ويطلق عليها علم المستقبل، وهي مهمة للغاية، عندما يتم تناول التغيير في إطار النظم السياسية والإدارية، بدرجة أكثر أهمية من تناولهما في حياة الفرد الذاتية، فهي دراسة الغد الحالم، إذ ينظر إلى الغد على أنه تاريخ يمكن قراءة اتجاهاته الرئيسية.

كما أنه (علم المستقبل) الذي تعمل أدواته بعلمية موضوعية، لتناول الغد في قراءة علمية دقيقة، والسيطرة على أحداثه وتوجيها علمياً، قبل أن نصطدم بالغد ومنظومة إحداثه، فيتحكم في حياتنا، ويسلبنا حرية التفكير والإنجاز.

ولم يعد استشراف المستقبل مجرد إشباع للرغبة الطبيعية لدى الإنسان، في تعرف المجهول، وإنما أصبح مطلبا أساسيا وضروريا، لتحقيق التواؤم مع المتغيرات المرتقبة في مختلف مجالات الحياة، سواء في ذلك العلاقات السياسية بين الدول بعضها بالبعض الآخر، واحتمال ظهور أيديولوجيات جديدة مناوئة، أو الأنشطة الاقتصادية المختلفة مثل مستقبل الصناعة والإنتاج، أو الجهود العلمية المتعلقة بحياة الإنسان وتكوينه البيولوجي، وما قد يتعرض له من أمراض نتيجة للتغيرات البيئية وإفرازات النشاط الصناعي، واستخدام أنواع معينة من الطاقة، وغير ذلك كثير(أبو زيد، ٢٠٠٧).

وعلم استشراف المستقبل يجد الآن إقبالا شديدا عليه في الغرب، وبخاصة في أمريكا، وهناك فئات من العلماء، اتخذته ميدانا للتخصص ومهنة للعمل، حيث يقدمون من خلالها الاستشارات والتوصيات، في كافة المجالات الحياتية.

واستشراف المستقبل ليس له علاقة له بالقدر والجبر أو حرية الخيار والقرار، إنما بالموقف الإيجابي الذي يجب أن نتبناه، والقائم على فكرة أساسية هي أن المستقبل ليس هذا الشيء المقرر سلفاً والمفروض علينا والذي يتكشف لنا شيئاً فشيئاً، لكنه شيء يجب بناءه وتنفيذه (اللاذقاني، ٢٠٠٧).



ويقصد بإستشراف المستقبل "مجموعة البحوث المتعلقة بالتطور المستقبلي للبشرية مما يسمح باستخلاص عناصر تنبؤية".

ويمكن التعاطي مع استشراف المستقبل، من خلال إيجاد الروابط التي تحكم العلاقات بين الأفراد وبين عناصر الطبيعة. من خلال ما يعرف بالقوانين والسنن الكونية والاجتماعية والسلوكية، ويحفل القرآن الكريم، بمنظومة من السنن الكونية والاجتماعية والسلوكية، التي أفضى بها علوم الأعجاز العلمي والنفسي في القرآن الكريم والسنة الشريفة، حيث يمكن استقصاؤها، واخذ مشهد مصغر للحياة وإحداثه، يكون نبراساً لنا في التعاطي معه، في يومنا، ونقرأ الغد وتحدياته من خلاله، هذا في ميدان تطوير الذات، وفي مجال تطوير النظم السياسية والإدارية، فيقتضي الأمر، في ظل استراتيجيات التغيير، تبني مراكز علمية لدراسات المستقبل، مع كوادر من العلماء والخبراء الاختصاصيين في هذا المجال، لتطوير النظم السياسية والإدارية، لتكون عملية التغيير على نور وبصيرة.

ونحن أمام المستقبل، إما أن نكون سلبيين في الخضوع للمتغيرات، أو منفعلين في انتظار ردود الأفعال، أو معنيين بأنشطة مناسبة، إما أن تكون فاعلة أو تمهيدية للتغيير، وهناك استراتيجيات يجب التزامها، عند المبادرة بدراسات المستقبل، أدرجها (اللاذقاني، ٢٠٠٧) وهي على النحو الأتي:

١. تعريف المسألة واختيار الأفق.
٢. بناء نموذج وتحديد المتغيرات الأساسية.
٣. تجميع المعلومات والمعطيات وتشكيل النظريات.
٤. بناء الخيارات المستقبلية الممكنة على شكل تشعّبات وتشجرات.
٥. الخيارات الإستراتيجية.

وهكذا يتطلب التغيير في ضوء استشراف المستقبل، إرادة واعية، وهمة عالية، من قبل الأفراد والمجتمعات، وكما قال الفيلسوف سينيك (Seneque): "لا توجد رياح مؤاتية بالنسبة للذي لا يعرف إلى أين هو ذاهب".



مقاومة الخوف

يعد الخوف طاقة سلبية مثبطة، محطمة لقوى الإرادة، ومضيعة لفاعلية الإرادة، وله تأثيرات بيولوجية في إفقاد شبكة الأعصاب حيويتها، بل على العكس، يعد مسبباً مباشراً لحركة ارتجاف الأعصاب، وبالتالي إخماد طاقة التفكير الإيجابية، فيصبح المرء تحت تأثير سموم الخوف، مسلوب الإرادة وغارقاً في ظلمات الحزن والاكتئاب.

والخوف له عدة أشكال فمنه الخوف من المجهول وخوف التخيل والخوف بمفهومه العام،إما الخوف من المجهول فهو خوف غير مبرر وهو يعمل على فقدان الثقة بالنفس وقد يكون المرض قد رافق المصاب من فترة الطفولة، أو نتيجة صدمة قد تعرض لها في إحدى مراحل حياته، أما بالنسبة للخوف التخيلي فهو بالحقيقة مجرد أوهام داخلية وتخيلات تؤثر على المصاب وتشعره بوجود حقيقة ثابتة لهذا الأمر وهو بالحقيقة مجرد أوهام لا تغني من الحق شيئا، وقد تكون مرافقه للشخص المصاب منذ الطفولة، هناك خوف مستحب إلا وهو الخوف من الله عز وجل لقوله تعالى، وهو الذي يضبط حراك السائر في التغيير الإيجابي، ويشحنه بالقوة أمام الخلق ومصاعب الحياة، ويصقله بالروحانية والشفافية بين يدي الله تعالى، لذا في رحلة التغيير الإيجابية، يجب تعميق تلك قيمة الخوف من الله تعالى، حتى يكون التغيير على نور من الله، وبصيرة.

وهناك ارتباط بين الخوف والوقوع في التهلكة النفسية، وتحطيم المعنويات، ويؤثر بالتأكيد على سلامة الجسد، من خلال العقل، إذ يتم إرسال إشارات معوقة لجميع الأعضاء، فيرتجف القلب، ويعيق الهضم، ويحدث أنواع من الارتباكات والتقلصات في جميع المناطق الهامة بالجسم.

والتعلق بالله، وارتفاع الحالة الإيمانية لدى الفرد، تسهم في مقاومة الخوف، وبالأخص عند التبتل إلى الله، واللجوء إليه بالذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ وهنا نؤكد على أن طريقة



التفكير هي المغناطيس العقلي الذي يجذب إلينا أشياء بذاتها، وأشخاص معينين، وظروف خاصة، فيها الفشل أو معها النجاح.

ومن تنتهكه المخاوف، هو بالواقع، يعاني من حالة لاشعورية مغناطيسية مع الخوف وكافة مفرداته، في كافة انبعاثاتها اللاشعورية والبيولوجية، وهكذا فعادة الطموح الدائم تجلب إليك سوانح الفرص وأطايب الصفقات، والعادات السلبية الرديئة كالخوف والتشاؤم وغيرها تجلب إلينا أشخاص من نفس القبيل، وتدفع بنا إلى البيئات الراكدة العازفة عن النجاح.

وهنا يقتضي الأمر بمن هو أسير الخوف، أن يبادر على تحليل نفسه وعاداته المترتبة عن حالة الخوف التي تعتصره، فيحاول محوها، وكلما راودته أفكاراً من هذا القبيل تحاشاها، أو تحاشى التعلق بها، أو التفكير فيها، وكلما جابهك بها إنسان ابتسم ودعها تمر ولا تناقشها، ولكن كون في قرارة نفسك قراراً يخالفها، وازرع مكانها الأمن والسكينة، والتفاؤل، حتى تصبح أفكارك إيجابية تغمرها مشاعر السعادة والنجاح والتفاؤل والتقدم المستمر.

وهنا عليك أن تتبع صوت الحق في نفسك، الذي يبعث بك الأمن والسكينة، وتزرع في أعماقك أفكاراً طيبة، وتروي فيها شجرة الخير فيك، فتجني ثمارها النضرة، فكيفما تزرع تحصد، وبذلك يتبلور طموحك، وتتحقق أهدافك بإذنه تعالى، وهنا تصل إلى حقيقة معرفة النفس الأبية، النفس الخيرة، النفس الروحية، وحققت إنسانيتك بكامل وعيها المادي والروحي.

وهندسة الذات في التغيير تؤكد على حقيقة أن الإنسان عندما ينبذ عاداته السيئة، ويتخلص من عبودية غرائزه، ويتحرر من ربقة دوافع الطمع والحسد، فإنه يحقق حرية ذاته، ويرقيها بمنظومة القيم التي نادت بها الديانات وفي مقدمتها الإسلام.

وهنا يولد القلب الذي تغمره محبة الله، وهي القوة التي تحرك الوجود، وما فيه من كواكب سائحة وشموس بازغة وبعث وميلاد، فإذا ما وزن الإنسان نفسه في ضوء مقاييس تلك القوة المبدعة، قوة الله عز شأنه وجلاله، بلغ قمة السعادة، والنجاح والإبداع.



مقاومة الفشل

تواكبنا في الحياة، مشاعر هازمة للذات، وهنا لابد من مقاومتها، حتى تؤتي عملية التغيير ثمارها المنشودة، ومصدر تلك المشاعر السلبية، تعود إلى توقع الفشل، وهنا يجب أن يربى الأفراد، عبر تمارين الطاقة اللامحدودة، ووفق قانون الجذب، توقع النجاحات، في حياتهم، وبالأخص في مسيرتهم التغييرية.

وربما تواكب السائر في طريق تحقيق مطامحه في الحياة؛ مشاعر تتوجه نحو النتائج، وتوقع أن تكون سلبية، وان التغيير ينتج عنه رابحون وخاسرون، فيخشى أن يكون في الثانية لا الأولى، وربما توقع السلبيات، تفقده نشوة وتألق الحماسة في بدء الطريق، وربما تواكب ذلك السائر، حالة من استعجال الثمار قبل أوانه، ويفتقد الطاقة الهائلة اللامحدودة، من خلال التخلق بخلق الصبر والأناة، وربما تواكبه مشاعر من نحو، لماذا أبادر للتغيير، وازحف نحو منطقة مجهولة، فما اعرفه خير مما أجهله، فلماذا المقامرة بمستقبلي، وربما تتواكب بين عينيه، نماذج فاشلة غير ناضجة في التغيير، فينحو إلى الانزواء بذاته نحو الجمود والسكون وعدم الحراك.

وتلك المشاعر السلبية، يجب التعامل معها بذكاء، عبر مهارات الذكاء الانفعالي، وتعلية قانون الجذب الإيجابي، الذي يثير ويحفز الدافعية الذاتية، نحو التغيير وتحقيق أهدافه، ورفع مستوى الأمل، ومقاومة المشاعر الهازمة للذات، والتي تثير الفشل والاستسلام للواقع.

وهنا تبرز قيمة التفاؤل، والمداومة على شحن الذات بها، في مسيرة التغيير، لأنها فيتامين منشط للطاقة، ومضاد لمشاعر القلق والخوف، والتعب والتردد، التي تواكب السائر في رحلة التغيير، وهنا يجب أن نكون واقعيين ومنطقيين، في التعامل مع ذواتنا، فمن المحال أن لا نخسر شيئاً في رحلة التغيير، ولكن ليس العبرة في البداية، لأن القيمة في المخرجات، وثمار التغيير الإيجابية، التي تسهم في تطوير ذواتنا ومجتمعاتنا، وإخراجها من واقع الظلامية والانزواء والانهزامية والجمود، وكما يقولون من احترقت بدايته، أشرقت نهايته.

وربما تواكب السائر في طريق التغيير، مشاعر من الخوف من الفشل، لأنه وحده بين مجتمع عوام الناس، يسعى لتطوير ذاته وتغييرها، وانه في عالم من التطلعات، وهم في وحل الشهوات ومادية الدنيا الضيقة، ومن المهم بمكان، للسائر في طريق التغيير، أن يضيق من مساحة تلك المشاعر الهازمة للتغيير، ولا يعيرها أهمية، لأنه بمعية الله تعالى، ويتزود بحسن الظن به تعالى، ويتسلح بالدعاء، ويبذل الأسباب، وتمتلئ أعماقه بالثقة بالله تعالى، متوكلاً على الله تعالى بكليته، معتمداً عليه، لا على ما بذله من أسباب، وتلك المشاعر الإيمانية المرهفة، تصقل الوجدان، وتزود السائر في طريق التغيير بذكاء المشاعر البناءة الذكية، هذا من جهة، ولابد في مسارات التغيير، تتولد صداقات وشراكات، وأعوان في الطريق، وأنصار يدعمونك في الطريق.

وعملية التغيير ليست عملية سهلة، بل هي شاقة في بداياتها، وهكذا كل بداية، فمن احترقت بدايته أشرقت نهايته، ومن المهم بمكان، أن يعتمد السائر في طريق التغيير، إستراتيجية الاستمرار، وينبذ إستراتيجية الانسحاب، حتى لا تسيطر عليه مشاعر قلقة، هازمة، توحي له بالفشل، نظراً لصعوبات البدايات.

لذا يجب على السالك في طريق التغيير، أن يحسن تنفيذ استراتيجياته في التغيير، ويرتب أولوياته، ويبدع في تحقيق أهدافه، وابتكار موارده، في رحلة التغيير الإيجابية.

وتباعاً لما سبق؛ فإن ارتفاع مستوى الطموح، وارتفاع طاقات الأمل، كلها تهزم مشاعر توقع الفشل، وتسهم في شحن النفس بطاقات التحدي، واقتناص نجاحات تكون ذخراً له في الدنيا، ورصيداً خالداً في الآخرة.

وتسهم البرمجة الذاتية، المدعمة بتمارين الطاقة اللامحدودة، في دفع تلك المشاعر الهازمة للذات، والمعيقة للتغيير، وتساعد السالك في اكتساب سمات تجديديه، تحفزه للتغيير.



الإيجابية

ترتبط فاعلية التغيير، بتنمية الإيجابية في الذات، المنفتحة على ذاتها، وعلى كافة مجالات الحياة، والناس، والمجتمع، التي تمتلك رؤية إيجابية للكون والحياة، وتتصرف بذكاء وبصيرة، وتوازن بين الحقوق والواجبات، وتلتزم الاعتدال والتوازن سمتاً مهماً في سلوكها، وتتكيف مع الظروف الصعبة وتتجاوزها، وتضبط ذاتها عند المواقف المزعزعة والمثيرة، وتمتلك ناصية الصبر في الحياة، وتسيطر على ذاتها عند الصدمات، تقدر الواقع، وتحترم الأبعاد المعنوية في الحياة، تطمح لحو التطوير، وتقدر الجدية والهمة العالية والحراك الوثاب، وتربي ذاتها على الحكمة، والمراجعات الدورية للمواقف والأحداث، وتسلسل الخطوات، وتنظم مسارها، وتحفز ذاتها، وتبذل ما في حوزتها من الأسباب، مستعينة بالله تعالى والدعاء والتوكل على الله واليقين بتوفيقه وتأييده.

ويعد من الإيجابيات في السلوك الفردي والاجتماعي، نبذ السلبيات، والرؤية الواقعية للأشياء، بعيداً عن التضخيم السلبي لمعطيات الأحداث، والجهد البناء لتطوير الإيجابيات وإزالة السلبيات، وتحرير الذات من الآفات النفسية والسلوكية، واستمداد القوة من منظومة الأهداف المحددة في استراتيجياتها للتغيير، الذي يجعلها في حراك نشط، يتجاوز المعاناة والألم، تحترم الالتزام، وتواقة للتجديد، تنظر للمتبقي من الكأس الملآن لا المساحة الفارغة، تعتمد المحاكمة والنقد البناء، وتتبنى الذكاء في انفعالاتها وردود أفعالها، تجاه المصاعب، معززة ذاتها دوما لحو الأمام.

انطلاقاً مما سبق؛ فإن من الخطأ بمكان، أن يقع الإنسان تحت أزيز المشاعر السلبية، تسيره كيفما تشاء، لأن تلك المشاعر السلبية، معول هدم، في البناء الشخصي والاجتماعي، لأن انعكاساته لا تكون في دائرة الذات فحسب، بل تتعداها، لتؤول إلى نظرة سوداوية للآخرين، والحياة.

لذلك تتسم نظراته للآخرين بالتخطئة والاتهام للناس، ومحاصرتهم بأخطاء وقعوا فيها، أو ظُن أنهم وقعوا فيها، واختصارهم في هذه الزلة أو السقطة، وتخيل أن من ورائها



ركاماً وجبلاً من الخطايا لا يجدي شيئاً، بل إنه من قلة الفقه، وانعدام العدل، وغلبة النظرة السوداوية، وتكوين تصوّرات خاطئة فنتائج خاطئة، وليكن لديك قدر من العفوية، وحسن الظن، وإن شئت فقل السذاجة والغرارة؛ فهذا لا يضر أبداً، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ) رواه مسلم، إن شأن النظرة الإيجابية عجيب؛ ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر النبي ﷺ رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله؛ فأبرز ﷺ جانب الامتناع من هذا الرجل، وأشاد به أكثر من جانب المرأة الواقعة في الفتنة الداعية إلى الإغراء (العودة، ٢٠٠٧).

والإيجابية تتطلب، برمجة إيجابية للذات، في السلوك اللفظي، ولغة الجسد، لذلك وجب التخلي عن مفردات لفظية، تحمل إيحاءات سلبية، وكذلك الابتعاد عن الأجواء التي تهدم الذات وتهزمها، وتضع المثبطات في طريقها، وتتسم هذه البرمجة الذاتية بالاستمرارية، لغاية تحسين الأداء وتطويره، والوصول به، إلى مقامات الإبداع والإنجاز.

فالإيجابية يمكن فهمها من كتابات الأمام الغزالي بأنها سمة النفس التي تتحكم في قوة الشهوة وقوة الغضب وقوة العلم، وفي العلم الحديث، تمكن الإيجابية، الذوات من تحقيق الثبات الانفعالي، والضبط الذاتي في مواقف الصراع والضغوطات، وتوكيد الذات، وعدم الاهتمام بصغائر الأمور.

وتشكل الإيجابية، باعثاً مهماً، لتنمية خلق الصبر، في الأفراد والمجتمعات، ولا يخفى الأهمية الصحية، التي كشفتها البحوث الحديثة بشأن الصبر والاستقرار الشخصي، وقد ثبت حديثاً أن الصبر وتحمل ألم الحرمان يزيد من قدرة الجسم على إفراز الأندورفينات وهى أفيونات الجسم الطبيعية التي تحميه من الألم وتحقق له حالة مزاجية عالية.

ومن المهم بمكان، هنا أن يربى الأفراد على الإيجابية والمسئولية وتحمل تبعات الاختيار واتخاذ القرار، لأنه بذلك تتحقق الغايات المنشودة من الإيجابية، وتفعيلها في رحلة التغيير الإيجابية.

لذلك فمن أهم سمات الإيجابية في شخصية السالك في رحلة التغيير الأتي:



١. القدرة على الثبات الانفعالي وضبط النفس.

٢. الاسترخاء، وتوكيد الذات.

٣. استخدام جدول ملاحظة الذات وتدعيم ومكافأة الذات.

وللإيجابية في السلوك انعكاسات مهمة على البناء الشخصي، وصقله بالقوة النفسية العالية، وطاقات التحدي والجلد والمثابرة، لغاية اقتناص ثمار التغيير، فضلاً على أنها تحرر الشخصية من الازدواجية ومعايير الضعف الشخصي، وكذلك من الضبابية في المواقف، والأهم مما سبق، هو حالة السلام النفسي، في الأعماق الدفينية في الشخصية، التي تجعلها تستخف بالمصاعب، فلا تهزها، وتجتهد في سلم أهدافها، حتى تحقق الغايات المنشودة من التغيير.



تقدير الذات

لا يمكـن أن تتحقق الإيجابية في البناء الشخصي، عندما تتزاحم عليها مشاعر ازدراء للذات، أو إساءة لها، أو تقليل من شأنها، لأن تلك المشاعر الهازمة للذات، تدمر كافة المعاني الإيجابية للحياة، في هذه الذوات المهزوزة.

فالمشاعر والأحاسيس التي نملكها تجاه أنفسنا هي التي تكسبنا الشخصية القوية المتميزة أو الشخصية السلبية الجامدة؛ إذ إن عطاءنا وإنتاجنا يتأثر سلباً وإيجاباً بتقديرنا لذواتنا، فبقدر ازدياد المشاعر الإيجابية التي نملكها تجاه أنفسنا بقدر ما تزداد ثقتنا بأنفسنا، وبقدر ازدياد المشاعر السلبية التي نملكها تجاه أنفسنا بقدر ما تقل ثقتك بأنفسنا.

ومن المهم بمكان، توجيه الأفراد، إلى تعميق بواعث تقدير الذات، من أعماق الذات، وليس من خلال البيئة الخارجية، لأنها بذلك يتم ضمان قوة الذات وتماسكها، واستمرارية ذلك التقدير، لأن تفعيل تقدير الذات، من خلال المحيط الخارجي، وإهمال الأعماق الداخلية، أو لنقل الدافعية الذاتية لتقدير الذات، يجعل ذلك التعويل على المحيط الخارجي، الفرد رهيناً لتقييمات الآخرين وأهوائهم، وربما سبب ذلك له صدمات نفسية على المدى البعيد، واحدث خللاً بيناً في شخصيته، واستقرارها أمام الآخرين، لذلك لا بد أن يكون الشعور بالتقدير، منبعثاً من الذات وليس من المصادر الخارجية.

ومعيار تقييم تقدير الأفراد لذواتهم، يأتي من خلال الظروف العصبة، والتحديات المؤلمة، التي تجعله متماسكاً، يتسم بالحلم وضبط الذات، والقوة النفسية العالية، بحيث لا تؤثر تلك الظروف الصعبة، ومواقف الابتلاء، على مفهومه لذاته، وارتفاع مستوى هذا المفهوم.

وبناء على ما سبق، يمكن تعريف تقدير الذات بأنه مجموعة من القيم والأفكار والمشاعر التي نملكها حول أنفسنا، وتتسم الإيجابية في ذلك بأن نملك منظومة من القيم والأفكار والمشاعر الجيدة حول أنفسنا.

وفي الدراسات العلمية هناك ارتباط إيجابي بين تقدير الذات والنجاح في الحياة، وارتباط إيجابي بين تقدير الذات، وامتلاك المشاعر الذكية في التعامل مع الذات والآخرين،



كما أن هناك علاقة إيجابية بين تقدير الذات والنجاح الاجتماعي في مجالات الثقة بالنفس والاعتداد في المظهر، والنجاح العلمي، والقدرة على تكوين علاقات اجتماعية جيدة.

ويرتبط تقدير الذات، بمستوى عال من الثقة، ونبذ التقليد الأعمى للآخرين، فالشخصيات المهزوزة، تلغي ذاتها، وتتبع الآخرين، في سلوكهم وسمتهم الخارجي، وانفعالاتهم، فتقلدهم بطريقة ببغائية، وهؤلاء يتسمون، بنظرة متدنية لذواتهم، وحيرة تستبد بهم في المواقف الصعبة، ومن صفاتهم العجز عن اتخاذ القرارات الحاسمة، والتلذذ بالتبعية للآخرين، وتسول مساعدة الآخرين لهم في حياتهم، نظراً لتدني مستوى المسؤولية والمرونة وحسم القرارات لديهم وفي هذا الصدد أشارت الدراسات العلمية إلى وجود قوة الترابط بين الاكتئاب والازدراء الذاتي، فلقد اكتشف إنه عند ازدياد الاكتئاب؛ فإن تقدير الذات يقل، والعكس بالعكس ولهذا من العلاج لحالات الاكتئاب تنمية المهارات الفردية في رفع مستوى تقدير الذات والمحافظة على الحالات المزاجية لديه.

وفي المقابل، نجد أن من سمات من يقدرون ذواتهم، أنهم يملكون طاقة التكيف مع الآخرين، والكفايات الانفعالية والاجتماعية العالية، والثقة بالنفس، والوعي بالذات، والقدرة على التصرف في مواقف الصراع والضغوطات، وإدارة الانفعالات، وتحفيز ذواتهم لتحقيق أهدافهم، وارتفاع مستوى الأمل والتفاؤل لديهم، والتعاطف مع الآخرين.

لذلك يمكن رفع مستوى تقدير الذات، من خلال احترام الفرد لذاته وتقديرها لها، وهذا ينعكس على مستوى انتاجيته وإبداعه في الحياة، وهنا من المهم بمكان، أن لا يستلب الماضي الأفراد في ما يعترضهم من الآم وأحزان، وأن يأخذوا العبرة منه، ويتعاملوا بواقعية مع حاضرهم، ويستشرفوا المستقبل بذكاء.

ويمكن رفع مستوى مفهوم الذات وتقديرها من خلال الأتي:

١. تسهم الملاحظة المنتظمة للذات وسلوكها، في تقييم الذات، وتعديل سلوكها، وتعزيز الإيجابي منها، وبالتالي يشحن ذاته بالإيجابيات، ولا تستلبه السلبيات، ويأخذ منها العظات والعبر.



٢. تصقل المعرفة بالكفايات الانفعالية والاجتماعية، فيما يعرف بمهارات الذكاء الانفعالي، الأفراد والجتمعات، في تعلية قيمة الذات لديهم، ورفع مستوى مفهوم الذات وتقديرها.

٣. هناك اثر لتمارين الطاقة اللامحدودة، من خلال البرمجة الإيجابية للذات، وقوانين التركيز والتأمل، في رفع مستوى مفهوم الذات، ورفع قيمتها في الوجدان.

٤. تنظيم الذات من خلال استراتيجيات عملية، تضم منظومة من الأهداف الجزأة مرحلياً في رحلة تطوير الذات، ورفع شأنها.

٥. امتلاك نظرة إيجابية لذواتنا، وأجوائنا ومجتمعاتنا.

٦. عدم الاستسلام لليأس والشعور بالفشل، عندما تخفق في مرحلة معينة أو خطوة ما، لأن المهم هنا الاستمرارية في التغيير وتطوير الذات، لا الجمود والاستكانة والاستلاب عند مرحلة ما، وشحن الذات بالفشل والمثبطات.

٧. المراجعات الدورية، ونقد الذات الإيجابي، في محاكمات موضوعية

٨. مكافأة الذات، وتعزيزها، عند اجتياز خطوة ما في التغيير بنجاح، والاستفادة من التجارب الإنسانية، لإثراء مسيرة التغيير، بالذكاء والبصيرة.

٩. احترم الجهود الجماعية، واحترم قواعد الانضمام لورشة عمل في التغيير، وتعامل معهم بروح الفريق الواحد، فإنجازك الفردي في ضوء مجموعة يثري ذاتك، ويكسبك كفايات انفعالية واجتماعية في الآن ذاته، إذ تحفظ ذاتك من مشاعر الأنا السلبية المتمردة، وتكتسب فنيات المهارات الاجتماعية.

١٠. استبدل الأفكار السلبية بأفكار إيجابية على الفور دون التراخي في ذلك.

١١. التزم بما عليه من أعباء وواجبات، وأنجزه بحب وعطاء، ولا تنظر الشكر من الآخرين، يكفي أن يكون عملك بينك وبين الله، وتنتظر منه الأجر والمثوبة.

١٢. حقق ذاتك بكل ما يسعك الأمر من قوة، في ظل قيم وأخلاقيات المؤمن في الحياة.



واستخلاصاً مما سبق، تبرز أهمية تقدير الذات واحترامها، فمنظمة الصحة العالمية تشير إلى أن عدم تقدير المرء لذاته، يجعل منه أسوأ عدو لنفسه، وأشارت إلى أن مشكلة عدم تقدير الذات وخاصة بين المراهقات، تسبب الانتحار بين صفوف المراهقين، وهذا من أكثر أسباب الموت شيوعا.

وما سبق ذكره، معلومات خطرة للغاية، فأرواح تفقد، نظراً لإزراء الذات، لذا من المهم بمكان، تفعيل قيمة تقدير الذات إعلامياً وتربوياً في مجتمعاتنا، وان نربي في النشء قيمة احترام ذواتهم وتقديرها، ونصقل فيهم قيمة ارتفاع مفهوم الذات لديهم، لأن في ذلك إكسابهم للثقة، وتساعدهم في امتلاك رؤية إيجابية للكون والحياة، وتمنحهم قوة نفسية عالية، في مسيرة التغيير، وممانعة كل السبل المثبطة أمامها، وتجعلهم دوما يتوقعون النجاحات تلو النجاحات، في يقين بالله، وأمل بسام، وجد معطاء.



التعاطف

يشير جولمان (Goleman, 1998) إلى أن التعاطف هو عبارة عن مهارة يتم اكتسابها عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ويعد أداة لتطوير الشخصية، وتعديل الذات، حيث يسهم في إيجاد علاقة ألفة مع الآخرين، والحفاظ على هذه العلاقة، ويعرف على انه القدرة على إدراك انفعالات الآخرين، والتوحد معهم انفعالياً، وفهم مشاعرهم، والتناغم والاتصال معهم دون أن يكون السلوك محملاً بالانفعالات الشخصية.

ويرى هوفمان (Hoffman) المشار إليه في (Goleman, 1998) أن التعاطف هو القدرة على فهم مشاعر الآخرين بمعايشتها مباشرة، أو انه استجابة بديلة لاإرادية للإشارات الانفعالية الصادرة من شخص آخر. ويقوم التعاطف على أساس الوعي بالذات، فبمقدار ما يكون الفرد قادراً على تقبل مشاعره وإدراكها، فإنه يكون قادراً على قراءة مشاعر الآخرين.

وينمو التقمص العاطفي ويتطور بشكل طبيعي منذ الطفولة، إذ تبدأ مرحلته من خلال المقدرة على رؤية الأشياء من وجهة نظر الآخرين والتصرف تبعاً لذلك، ويكون ذلك في سن السادسة من العمر، وذلك لأن الطفل يكون لديه في هذه المرحلة مرجعاً داخلياً؛ يوضح له الطريقة التي يجب أن يتصرف بها، وكيفية إظهار شعوره تجاه موقف سبب ألماً للآخرين، أو بعدم إظهار ذلك الشعور(Cirrochi, Forgas & Mayer, 2001).

أما في الطفولة المتأخرة فيما بين العاشرة، والثانية عشرة من العمر، فإن الأطفال يوسعون مدى تعاطفهم ليتخطوا مجال أولئك الأشخاص الذين يعرفونهم، أو يلاحظونهم مباشرة ليبلغ تعاطفه إلى مجموعات من الناس لم يسبق له اللقاء بهم، وفي هذه المرحلة التي يطلق عليها مرحلة التعاطف المعنوي، يعبر الأطفال عن اهتمامهم تجاه أناس لا يتمتعون بمزايا مثل التي يتمتع بها هؤلاء الأطفال سواء أكان هؤلاء الناس يسكنون في منازل مجاورة أم في بلاد بعيدة. وعندما يقوم الأطفال بإنجاز أعمال تجاه هذه الاختلافات التي يدركونها عن طريق تحقيق أعمال خيرة لصالح الآخرين، فإنه يمكننا أن نستنتج أن هؤلاء الأطفال قد تطورت لديهم مهارة التعاطف التي هي إحدى مهارات الذكاء الانفعالي، ويصبح الأطفال



قادرين على فهم المعاناة وراء المواقف المختلفة، فيدركون أن ظروف بعض الأفراد يمكن أن تكون مصدراً لمعاناة دائمة، وهنا يستطيعون الشعور بسوء حال جماعة ما، كالفقراء والمقهورين، والمنبوذين من المجتمع (Cirrochi, Forgas & Mayer, 2001).

وانطلاقاً مما سبق فإن التعاطف كمشاركة وجدانية هو انفتاح على عوالم الآخرين، وعملية لإدماجها في عالم الذات، ولا يمكن تصور حصول هذه الدرجة من النضج الوجداني دون أن تنشأ عنها بقية العواطف الغيرية كالتعاون والصداقة وما إليها (خوالدة، ٢٠٠٤، ٥١).

وفي نتائج اختبارات أجريت على اكثر من سبعة آلاف شخص في الولايات المتحدة وثمانية عشر بلدا أخرى، كان من بين الفوائد التي تعود على الإنسان القادر على قراءة المشاعر من التعبيرات غير المنطوقة، أن هذا الإنسان يكون في حالة افضل من حيث التكيف العاطفي، ومحبوباً اكثر من غيره، صريحاً ولا يستغرب أيضاً أن يكون اكثر حساسية. كما اظهر الاختبار أن النساء افضل من الرجال في هذا النوع من التعاطف، وقد تحسن أداء المشتركين في هذا الاختبار على مدى (٤٥) دقيقة هي مدة الاختبار، فالتعاطف هو شعور يمكن تعلمه ليكون عنصراً مساعدا في حياة نفسية هادئة مستقرة (الجبالي، ٢٠٠٠، ١٤٣).

وانطلاقاً مما سبق،فإن التعاطف يعد كفاية متعلمة لإدراك العالم من وجهة نظر شخص آخر،وتدريباً على استخدام خيال الفرد ليرى ويشعر كما يرى الآخرون ويشعرون، وحين نحاول أن نفهم شخصا أو ثقافة فإننا نجاهد ونكافح لبلوغ التعاطف،لأنه اندماج وتزامن في انتقال المشاعر، وليس ببساطة استجابةً أو مشاركةً انفعالية (جابر ٢٠٠٣، ٣٠٣).

ويعتبره هايكو ايرنست "قانون الصدي" لأنّ تَفَهُّمَ الآخرين واحترام مشاعرهم سيدفعهم إلى مبادلتنا هذا التفهم والاحترام، ويتطلب الإصغاء الدقيق والملاحظة المستبصرة، فالقدرة التعاطفية هي الاحتضان العاطفي من الذات نحو الآخرين، ويعتبر منجزاً رائعاً من منجزات الذات مع الآخرين، وأكبر منجزات الذات هو القدرة على الوعي بالذات وتفهمها، لأنه يعد دافعاً لوعي الآخرين واستيعابهم (أبو سعد، ٢٠٠٥).



ويتطلب التعاطف الوعي بلغة الجسد، ومن هنا يشير شيخاني (١٩٩٧، ١٨) إلى أهمية تعلم واستخدام إيماءات صريحة إيجابية للاتصال بالآخرين، وحذف الإيماءات التي قد تعطي إشارات سلبية، لأن ذلك يجعلنا اكثر قبولاً عند الآخرين، ويسهل عملية تفهمهم لنا، وبالتالي تعاطفهم معنا، ولا يخفى أهمية ذلك تربوياً في المواقف التعليمية الصفية، وانعكاسه في تحقيق الدفء والمحبة في الغرفة الصفية.

ويشير الحسيني إلى أن التعاطف يتضمن منظومة انفعالات تتجمع لتكوين عالم جميل، باستعمالها الجسد كوسيلة للارتقاء بها، والمسألة هنا تختلف من حال إلى حال، ولكي ندرك دلالتها وغايتها، فمن الواجب أن نعرف كل موقف خاص ونحلله، وهنا تبرز أهمية التحليل الاجتماعية كأحد عناصر الكفايات الاجتماعية في الذكاء الانفعالي (الحسيني، ١٩٨٢، ٦٤).

واهتمت التربية الإسلامية بتوجيه الانفعالات نحو الأمل والتفاؤل، وإقصاء الإحباط في الحياة، وقطع دابر التشاؤم، ليس على الصعيد الشخصي، بل على الصعيد الاجتماعي في التواصل مع الآخرين.

إذ يروي أبو هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "لا طيرة وخيرها الفأل قيل يا رسول الله وما الفأل، قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم" (البخاري، ١٩٨٧، ٥/ ٢١٧١).

وعن ابن عباس ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن" (ابن حنبل، ١/ ٢٥٧).

وتستمد جذور التعاطف من خلال التنشئة الأسرية والمعاملة الوالدية للأبناء، حيث يزودهم بشحنات التعاطف والمحبة والمشاعر السارة.

إذ يروي أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قبل الحسن والحسين والأقرع بن حابس التميمي ﷺ جالس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً فقال رسول الله ﷺ: "من لا يَرحم لا يُرحم" (ابن حبان، ١٩٩٣، ١٢/ ٤٠٦).

ومن هنا تتحمل الأسرة وقوامها الوالدان مسؤولية رحمة الأولاد ومحبتهم والعطف عليهم، لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات تنمية الكفايات الانفعالية والاجتماعية لديهم، فإذا لم تتحقق المحبة للأبناء بالشكل الكافي المتزن، فإن ذلك مدعاة لعدم وعي الأب



لذاته وتكيفه مع الآخرين، وتآلفه معهم، وبالتالي يكون عاجزاً عن التعاون معهم وتقديم الخدمات والتضحيات، وقد يغدو أباً لكنه يفتقد أن يكون زوجاً حسن المعشر لزوجته، وعاجزاً عن منح أبنائه كافة أشكال المعاملة الوالدية الإيجابية.

وانطلاقا مما سبق تسهم الأسرة في دعم مشاعر التعاطف وتنميتها في النشء وصقلها في المدرسة و المؤسسات التربوية الأخرى كما تمكن الفرد من فهم مشاعر الآخرين والتجاوب معهم.

وتشكل القصة القرآنية مادة ثرية لتربية الانفعالات وتهذيبها وتوجيهها نحو التعاطف مع الآخرين من خلال ما تثيره من انفعالات الخوف والترقب والارتياح والحب وغير ذلك مما يثار في طيات القصة القرآنية بما فيها من وصف رائع لوقائع وأحداث وأحوال شخوص فيها وما يستخلص منها من العظات والعبر. فقصة يوسف علية السلام على سبيل المثال؛ تربي الصبر والثقة والأمل في نصره، بعد إثارة انفعال الخوف عليه عند إلقائه في البئر، ثم الارتياح والسكينة لما آل إليه من عز وسلطان بعد توليه منصب الوزارة.

وتؤكد التربية الإسلامية على خصيصة التوازن في تربية الانفعالات ومنها التعاطف بحيث ينضبط في إطار العقيدة الإسلامية وثوابتها ومنهجية الإسلام وأحكامه، وكذلك في إدارة الانفعالات وضبط الدافعية الذاتية بالمرجعية العقدية، وتأطير المهارات الاجتماعية بأحكام الشرع في الفعل والكف.



القلق

يتصف مرض القلق العام بالقلق المستمر والمبالغ فيه والضغط العصبي؛ ويقلق الأشخاص المصابين بالقلق العام بشكل مستمر حتى عندما لا يكون هناك سبب واضح لذلك؛ ويتركز القلق العام حول الصحة أو الأسرة أو العمل أو المال.

ويؤثر الإحساس بالقلق على قدرة الإنسان على القيام بالأنشطة الحياتية العادية، حيث يصبح الأشخاص المصابين بالقلق العام غير قادرين على الاسترخاء؛ ويتعبون بسهولة؛ ويصبح من السهل إثارة أعصابهم؛ ويجدون صعوبة في التركيز؛ وقد يشعرون بالأرق والشد العضلي والارتعاش والإنهاك والصداع؛ وبعض الناس المصابين بعرض القلق العام يواجهون مشكلة القولون العصبي، ويختلف مرض القلق العام عن أنواع القلق الأخرى في أن الأشخاص المصابين بهذه الأعراض عادة يتجنبون مواقف.بعينها؛ ولكن، كما هو الحال في أعراض القلق الأخرى، فإن مرض القلق العام قد يكون مصحوبًا بالاكتئاب والإدمان وأعراض القلق الأخرى؛ وبشكل عام فإن المرض يبدأ في الطفولة أو المراهقة؛ ويحدث هذا المرض عادة في النساء أكثر من الرجال؛ ويبدو أنه شائع في عائلات بعينها؛ ويؤثر هذا العرض المرضي في ٢-٤٪ من الأفراد سنويًا.

ويعرف القلق النفسي العام بأنه التوتر وانشغال البال لأحداث عديدة لأغلب اليوم؛ ولمدة لا تقل عن ستة اشهر؛ ويكون مصحوباً بأعراض جسمية كآلام العضلات، والشعور بعدم الطمأنينة، وعدم الاستقرار، وبضعف التركيز، واضطراب النوم، والشعور بالإعياء، وهذه الأحاسيس كثيراً ما تؤثر على حياة المريض الأسرية والاجتماعية والعملية؛ وغالباً ما يصيب الأعمار الأولى من الشباب؛ ولكنه يحدث لجميع الأعمار.

وفي احدث الدراسات النفسية؛ فإن كل شخص بين أربعة أشخاص يعاني من القلق النفسي المرضي؛ خلال فترة حياته. وهناك ما نسبته 17.7% يعانون من القلق، في أي وقت في السنة وتزيد نسبة القلق النفسي في المجتمعات البسيطة والفقيرة.

ويمكن حصر أسباب القلق النفسي بالآتي:

١. أسباب ناتجة عن الأفكار المكبوتة والنزعات والغرائز مما يؤدي إلى القلق وهي ما يسمى بالعوامل الديناميكية.
٢. العوامل السلوكية باعتباره سلوكاً مكتسباً مبنياً على ما يعرف بالتجاوب الشرطي.
٣. عوامل حيوية بإثارة الجهاز العصبي الذاتي مما يؤدي إلى ظهور زمرة من الأعراض الجسمية وذلك بتأثير مادة الابنفرين على الأجهزة المختلفة وقد وجد ثلاثة نواقل في الجهاز العصبي تلعب دوراً هاماً في القلق النفسي هي النورابنفرين Norepinephrine والسيروتونين Serotonin والقابا GABA.
٤. العوامل الوراثية: أثبتت الدراسات وجود عوامل وراثية واضحة في القلق النفسي سيما في مرض الفزع Panic Disorder.

ومن المهم بمكان هنا الإشارة، إلى أننا عندما نتحدث عن القلق النفسي؛ فإننا نتحدث عن مجموعة من الأمراض التي تندرج تحت هذا المسمى؛ وكل مرض يتميز ببعض الخصائص المميزة له. من هذه الأمراض:

- الفزع والخوف البسيط Simple phobia.
- رهاب الخلاء Agora phobia.
- الخوف الاجتماعي Social phobia.
- الوسواس القهري Obsessive compulsive disorder.
- قلق الكوارث Post traumatic stress disorder.
- حالات القلق الحاد Acute stress.
- القلق العام Generalized anxiety disorder.
- القلق الناتج عن الأمراض العضوية Organic anxiety أو استخدام الأدوية Anxiety related to medicine.
- القلق النفسي المصاحب للاكتئاب Anxiety - Depression.



ويرتبط بالقلق عارض نفسي يعرف الفزع؛ وهو عبارة عن نوبات من الخوف والقلق الشديد المصحوب بأعراض جسمية والتي تحدث فجأة؛ وتصل ذروتها في خلال عشرة دقائق، ومن هذه الأعراض خفقان القلب، والعرق، والرعشة، وصعوبة التنفس، والإحساس بالاختناق، وألم الصدر، والغثيان، واضطراب الهضم، والإحساس بالدوخة، والصداع، والخوف من الموت، حيث يعتقد المريض أن تلك النوبة ليست إلا أعراض الموت، وكثيراً ما يكون مصاحباً لأمراض أخرى، كأمراض القلب أو أمراض الجهاز العصبي، ورغم أنها تعرف بمفاجأتها للمريض، إلا أنها قد تحدث عقب إثارة شديدة أو مجهود عضلي أو جنسي أو مصحوبة بشرب كميات من القهوة أو الكحول.

وينتشر عرض القلق المرضي في هذا العصر على وجه التحديد، الذي يتسم بالاتصال التقني والعولمة، والانفجار المعرفي، والتسارع في كل شيء؛ والمدنية الهائلة التي جعلت الكون قرية واحدة، وقدمت خدماتها في الراحة، فيما لم يخطر ببال الإنسانية قد، ولكن تلك المدنية الهائلة في بنيانها الشاهق عمرانياً، لم تستطع أن تنقذ الإنسان من براكين القلق والحيرة والأحباطات والاكتئاب والأمراض النفسية المتفشية، وعقد النقص والأحادية والسلوك الهستيري والعدوانية واللامسؤولية وغير ذلك؛ حيث أهملت الجانب الروحي الذي يتميز به الإنسان عن غيره من الكائنات، وكان أحد إفرازات هذا القصور القلق الذي أدى بكثير من الناس؛ خصوصاً في الغرب إلى الانتحار، ولم يجدوا له حلاً غير تلك الحبوب المهدئة.

ويعد الإحساس بالقلق والخوف؛ رد فعل طبيعي وذو فائدة في المواقف التي تواجه الإنسان بتحديات جديدة، ولكن أعراض القلق المرضي تختلف اختلافًا كبيرًا عن أحاسيس القلق الطبيعية المرتبطة بموقف معين. فأمراض القلق هي أمراض يختص الطب بعلاجها ولهذا الاعتبار فإنها ليست طبيعية أو مفيدة.

وتشمل أعراض مرض القلق الأحاسيس النفسية المسيطرة التي لا يمكن التخلص منها مثل نوبات الرعب والخوف والتوجس والأفكار الوسواسية التي لا يمكن التحكم فيها، والذكريات المؤلمة التي تفرض نفسها على الإنسان والكوابيس، كذلك تشمل الأعراض الطبية الجسمانية مثل زيادة ضربات القلب والإحساس بالتنميل والشد العضلي.



والجدير بالذكر هنا تحديد بعض من أعراض القلق وهي على النحو الأتي:

- الرهاب (الخوف الغير منطقي) PHOBIAS
- الذعر (الهلع) ATTACKS PANIC
- الوسواس القهري.
- الضغط العصبي بعد الإصابات أو الحوادث.
- القلق العام.

وتنشأ هذه الأمراض من تغيرات بيوكيميائية في الدماغ، وكذلك من الوراثة، ومن التركيبة النفسية العامة للفرد، ومن تجارب الحياة.ويتصف كل مرض من أمراض القلق المرضي بمجموعة معينة من الأعراض، كما هو الحال في جميع الأمراض، وتختلف شدة ومدة الأعراض باختلاف الأفراد. ويتميز القلق بوجود أعراض نفسية وجسمانية. وتشمل المخاوف غير الحقيقية والذكريات التي تفرض نفسها على شكل صور مرئية تظهر وتختفي بسرعة للتجارب الصعبة في حياة الإنسان، وكذلك حدوث بعض الوساوس المرتبطة بالنظافة مثل التكرار الدائم لتصرفات تعتبر طقوس أكثر منها تصرفات معقولة مثل تكرار غسل الأيدي. وتشمل الأعراض الجسمانية اضطرابات النوم وسرعة ضربات القلب وكأن المرء في سباق، وضيق النفس، والإحساس بالهياج والحركة الدائمة، وجفاف الفم، والتنميل أو الإحساس بالخدر أو الوخز بالذراعين والقدمين، والمشكلات المعوية المعدية، والشد العضلي. وبالإضافة إلى ذلك، قد يتزامن حدوث عرض من أعراض القلق المرضي مع أمراض القلق الأخرى مثل الاكتئاب والأمراض النفسية الأخرى أو الظروف الصحية الخاصة مثل إدمان الكحول أو تعاطي المخدرات.ولذلك يجب على الأفراد الذين يعانون من أعراض القلق المرضي أن يزوروا طبيبًا نفسيًا أو طبيبًا باطنيا للقيام بفحص طبي شامل لتشخيص حالتهم في وقت مبكر.

وتعتبر الوراثة وكيمياء المخ والشخصية والتجارب الحياتية من الأسباب التي تلعب دورًا في حدوث أمراض القلق.وهناك أدلة كافية على أن أعراض القلق المرضي تحدث في



عائلات بعينها. وتظهر الدراسات أنه إذا كان أحد التوأمين المتشابهين يعاني من مرض القلق المرضي، فإنه يرجح أن يصاب توأمه بنفس العرض المرضي على عكس الحال في التوأم غير المتشابه. وتشير نتائج الأبحاث هذه أن عنصر الوراثة ينشط من خلال التجارب الحياتية ويدفع ببعض الناس إلى هذه الأمراض.

وتستعمل ثلاثة أنواع من العلاج النفسي بنجاح لمعالجة أعراض القلق المرضي:

- العلاج السلوكي.
- العلاج التعلمي الادراكي.
- العلاج النفسي الديناميكي، وخاصة لعلاج مرض الضغط العصبي بعد التعرض للتجارب المؤلمة

ويسعى العلاج السلوكي لتغيير ردود الفعل عبر وسائل الاسترخاء مثل التنفس من الحجاب الحاجز والتعرض المتدرج لما يخيف المرء.

ويساعد العلاج التعلمي الادراكي- مثل العلاج السلوكي- المرضى على التعرف على الإعراض التي يعانون منها ولكنه يساعدهم كذلك على فهم أنماط تفكيرهم حتى يتصرفوا بشكل مختلف في المواقف التي تسبب أمراض القلق.

ويتركز العلاج النفسي الديناميكي على مفهوم أن الأعراض تنتج عن صراع نفسي غير واعي في العقل الباطن، وتكشف عن معاني الأعراض وكيف نشأت، وهذا أمر هام في تخفيفها.

ويمكن الآن أن يشعر المرضى المصابين بأمراض القلق بالتفاؤل بشأن التغلب على أمراضهم، حيث تتوافر حاليا وسائل العلاج الفعالة .ومع الفهم المتزايد لأسباب الأعراض المرضية التي يعانون منها، يمكننا أن نتوقع ظهور أدوية وأساليب علاجية جديدة أكثر فاعلية للتغلب على المرض بإذن الله.

كذلك يبدو أن كيمياء المخ تلعب دورًا في بداية ظهور مرض القلق حيث لوحظ أن أعراض القلق تخف عادة عند استعمال الأدوية التي تؤثر في كيمياء المخ. وقد تلعب وظائف



المخ دورًا كذلك، فقد تم إجراء أبحاث لتحديد المناطق المحددة في المخ التي تصبح نشطة في الأشخاص الذين يعانون من أعراض القلق المرضي.

ويمكن أن تلعب الشخصية دورًا هاما كذلك حيث لاحظ الباحثون أن الأفراد الذين لا يظهرون الكثير من التقدير لأنفسهم وذوي مهارات التكيف الضعيفة معرضين لأعراض القلق اكثر من غيرهم، وربما كان السبب في ذلك أن عرض القلق المرضي قد ظهر في الطفولة مما أدى إلى فقدان الثقة في النفس.

وبالإضافة إلى ذلك، قد تؤثر التجارب الحياتية في حساسية المرء للتعرض لهذه المشكلات و يعتقد الباحثون أن العلاقة بين أعراض القلق المرضي والتعرض طويل المدى للأذى والعنف أو الفقر هو مجال هام من مجالات الدراسات في المستقبل.

ومن الجدير بالذكر، أن الفرد المسلم، لما ابتعد عن منهج الله تعالى؛ وهو دليل الصانع، في خلقه وإبداعه وتدبيره لأمر الإنسان والكون والحياة، فنتج عن ذلك، سقوطه في وحل الشهوات والماديات، وما ترتب عنها من قلق مضني، وتنازع المشاعر، وتعدد الوجهات الأرضية، وشرذمة في السلوك، فالمؤمن قوي الإيمان عندما يلتزم بالمنهج الإلهي؛ دليل الصانع، وعندما يسلم ذاته في ظلال عقيدة التوحيد، التي توحد مشاعره ولا تشتتها في الجريان المهلك في عبادة الجهات الأرضية من دونه تعالى، فهو بتلك العقيدة الراسخة؛ لا يعرف القلق. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

وأورد الإمام الطبري(١٩٨٤) أقوال العلماء بشأن الحياة الطيبة، التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيهموها، فقال بعضهم: عني أنه يحييهم في الدنيا ما عاشوا فيها بالرزق الحلال. ذكر من قال ذلك: حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن إسماعيل بن سَميع، عن أبي مالك، عن ابن عباس: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً قال: الحياة الطيبة: الرزق الحلال في الدنيا.



ففيما يروى عن ابن عباس، في قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: الرزق الحسن في الدنيا.

وفيما يروى أيضاً عن ابن عباس: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: الرزق الطيب في الدنيا.

وورد أيضاً عن ابن عباس: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: الرزق الطيب في الدنيا.

وورد أيضاً عنه ابن عباس، قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً يعني في الدنيا.

وروي عن الضحاك: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: الرزق الطيب الحلال.

وكذلك روي عنه الضحاك، في قوله: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً.

وقال آخرون: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً بأن نرزقه القناعة. ذكر من قال ذلك:

وروي عن الأمام علي بن أبي طالب: فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً قال: القنوع.

وروي عن الحسن البصريّ، قال: الحياة الطيبة: القناعة.

وقال آخرون: بل يعني بالحياة الطيبة الحياة مؤمنا بالله عاملاً بطاعته.

ويقوى الإيمان المثابرة على الطاعات، وترك المعاصي، وقراءة القرآن، وحضور مجالس الصالحين، وحبهم والتفكر في خلق الله تعالى، وهذه قوى نابذة للقلق ودافعة وهازمة له في حياة المؤمن الملتزم.

ويعد الخوف على الحياة وعلى الرزق؛ من أسباب القلق، فهناك من يخاف الموت فيقلق بسبب ذلك، ولو أيقن أن الآجال بيد الله ما حصل ذلك القلق؛ والبعض يخاف على الرزق ويصيبه الأرق، فالله هو الرزاق ذو القوة المتين، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارا، فكم

من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها، يعني غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك اللّهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ يوما بيوم وَهُوَ السَّمِيعُ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة العَلِيمُ ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوكم من إذلال الله إياهم، ونُصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه (الطبري، ١٩٨٤).

وذلك لا يتناقض مع السعي بالجوارح لطلب الرزق، فاليقين بالرزق، مكانه القلب، والجوارح محلها العمل والجد والسعي، ولكن ليس بالحد الشرطي، أي إذا سعى يجب أن يرزق حتما وجبرا بالكم والكيف الذي يريده الفرد وبتقنينه الذاتي، بالتأكيد لا، هو يسعى أدباً بين يدي الله تعلى، والرزق على الله تعالى في كل ما يتعلق به مكاناً وزماناً وكماً وكيفاً، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

وتلك العقيدة الراسخة في الرزق، كفيلة بإلغاء القلق في حياة الأفراد من جهة الرزق في الحياة، لو طبقها المسلمين وفق حدها الصحيح، لأن الدارج في حياة المسلمين انهم يؤلهون الأسباب، في برود اليقين بالله وضعفه، أو تواكل في القلب بالرزق، دون عمل الجوارح، كما في كل أزمة حربية تمر بالمسلمين، ويدعون بالنصر ولا ينصرون، ويزداد بطش وسطوة الأعداء عليهم، فيفسر هذا بسبب تواكلهم، فهم قصروا جهودهم على الدعاء، دون بذلها في الاصطلاح مع الله تعالى، والرجوع إليه توبة وانابة واخبات؛ والوقوف خاشعين مستسلمين لله تعالى، ومطبقين منهجة على أنفسهم وأسرهم وأعمالهم وحياتهم، وملتزمين بهدي السنة الشريفة في تدبر ووعي وحكمة.

وربما ينتاب المرء القلق وما يرتبط به من مشاعر حزينة منكسرة، بسبب موت قريب أو خسارة مالية أو مرض عضال أو حادث أو غير ذلك، لكن المؤمن شأنه كله خير إن إصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن إصابته ضراء صبر فكان خيراً وجزاء الصبر أن الله يأجره ويعوضه خيراً مما أصابه. فيجب أن يعلم أن ذلك بقدر الله وقضائه، وما قدّر الله



سيكون لا محالة لو اجتمع أهل الأرض والسماء أن يردوه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. عندما ترسخ هذه العقيدة في نفس الإنسان فإنه يرضى وتكون المصيبة عليه برداً وتكون المحنة منحة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

ويقصد بالبلاء بالخوفِ أي الخوف من العدوّ وبالجوع، وهو القحط، أي لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم؛ وبسَنَة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فينقص لها عددكم، وموت ذراريكم وأولادكم، وجدوب تحدث، فتنقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم واختبار مني لكم، فيتبين صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشكّ والارتياب. كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (الطبري، ١٩٨٤).

وتعد المعاصي سبب كل بلاء في الدنيا والآخرة، وهي سبب مباشر لحدوث القلق والاكتئاب، قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩).

ويقصد بقوله تعالى (ما أصابك من حسنة) أي: في الدين والدنيا، فهي من الله فهو الذي منَّ بها ويسرها بتيسير أسبابها، أما ما أصابك بسبب بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر. فالله تعالى، قد فتح لعباده أبواب إحسانه، وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله. فإذا فعلها العبد، فلا يلومن إلا نفسه، فإنه المانع لنفسه، عن وصول فضل الله وبره (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (الروم: ٤١).



أي استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها، وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء، وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم، من الأعمال الفاسدة، المفسدة، بطبعها، لكي ليعلموا أنه المجازي على الأعمال، فعجل لهم نموذجاً، من جزاء أعمالهم في الدنيا، والحكمة من ذلك أن يرجعوا عن أعمالهم، التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت. فتصلح أحوالهم، ويستقيم أمرهم. فسبحان مَنْ أنعم ببلائه، وتفضل بعقوبته، وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا، ما ترك على ظهرها من دابة (السعدي، ٢٠٠٢).

ويسهم التكالب على الدنيا والغفلة عن الآخرة، وخطبة ودها، بالأعمال الخالصة لله تعالى، في تضخيم أزمات الدنيا؛ وما يترتب عنها من قلق مرضي، فيركن إلى الدنيا وكدحها، والام المعاش، والمصائب وفراق الأحبة، ونقص الأموال، والتنكر للجهود، والظلم واستعار الأنانية والمصالح المتصارعة؛ فيكله الله لنفسه ولها، فيحيا في عذاب نفسي لا متناهي، ولهاث على الدنيا بلا نتيجة، إذ لن ينال منها إلا ما كتبه الله له، وهكذا يكون في غفلة عن الآخرة والحساب وحب لقاء الله تعالى، وطلب الفردوس الأعلى من الجنة؛ فتتهاوى عليها الأمراض النفسية وعقدها وأزماتها ومترتباتها وتداعياتها من كل حدب وصوب، في ظلمات تلو ظلمات، وازدواجية وصراعات نفسية لا تنتهي.

والسؤال المطروح؛ حول كيفية التخلص من القلق، من وجهة التصور الإسلامي، ولا يخفى أن من أبجديات ذلك، التزام منهج الله تعالى في الحياة، دليل الصانع، الذي وضع لتكريمه، ولكي يؤدي رسالة الاستخلاف المادي والمعنوي في الأرض، بعمارة الكون ونشر رسالة التوحيد في الأرض، فهنا عندما تتجدد أعماقه بالأيمان والالتزام، وتنبذ التفلت والتمرد، تكون البداية الناجحة، والتي يثمر عن المعاناة فيها، السعادة والنور اللامتناهي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

أي إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان، ورغد العيش؛ حتى ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها، فيسلبهم الله إياها عند ذلك، وكذلك إذا غير العباد، ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غيَّر الله عليهم، ما كانوا فيه من الشقاء، إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة (السعدي، ٢٠٠٠).



وأيضاً يجب أن يبادر خاشعا مخبتاً لله تعالى في محراب الصلاة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وهذه الآية حضٌ من الله تعالى ذكره على طاعته واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال، فقال: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أحدثه لكم من فرائضي وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما آمركم به في حين إلزامكم حكمه، والتحوّل عنه بعد تحويلي إياكم عنه، وإن لحقكم في ذلك مكروه من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل، أو مشقة على أبدانكم في قيامكم به أو نقص في أموالكم، وعلى جهاد أعدائكم وحربهم في سبيلي، بالصبر منكم لي على مكروه ذلك ومشقته عليكم، واحتمال عنائه وثقله، ثم بالفزع منكم فيما ينوبكم من مفظعات الأمور إلى الصلاة لي، فإنكم بالصبر على المكاره تدركون مرضاتي، وبالصلاة لي تستنجحون طلباتكم قبلي وتدركون حاجاتكم عندي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيّ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم حتى يظفروا بما طلبوا وأمّلوا قِبَلي (الطبري، ١٩٨٤).

وكان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويقول لبلال (أرحنا بالصلاة يا بلال) ويقول ﷺ (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، فالصلاة مصدر الأمن والسكينة، وذهاب الهموم الغموم، والوقوف على باب الله الجواد الكريم، فهو الذي يذهب الحزن، ويسهل الصعب، ويفرج الكروب، ويجزي الصابرين بغير حساب.

وكذلك قراءة القرآن، امن ورحمة وشفاء وهداية للناس، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الأسراء: ٨٢).

فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة. وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به. وأما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خساراً. إذ به تقوم عليهم الحجة؛ فالشفاء الذي تضمنه القرآن، عام لشفاء



القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة والانحراف السيئ، والمقصود الرديئة. فإنه مشتمل على العلم اليقين، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة، تخالف أمر الله. ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل (السعدي، ٢٠٠٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤).

فالقرآن الكريم يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة. وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزجر عن مساوىء الأخلاق، وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب، وتشفي القلب (السعدي، ٢٠٠٢).

والدعاء سكينة ونور ورحمة، وهو ركن المؤمن، وحبله المتين الذي يعتصم به، فالله يجيب دعوة المضطرين ويكشف السوء، ويستجيب لدعوة الداع إذا دعاه؛ وليتخير ساعات الإجابة كالثلث الأخير من الليل، بين الآذان والإقامة.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

فالله تعالى، هو الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضاً من داعيه بالإجابة، والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة

والمعونة والتوفيق، فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فالاستجابة لله تعالى؛ يحصل لهم الرشد، الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم البغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم (السعدي، ٢٠٠٢).

والذكر أنيس المستوحشين وبه يُطرد الشيطان وتتنزل الرحمات مع شغل الوقت بالعمل المباح: فإن الفراغ مفسدة ويجلب الأفكار الضارة والقلق وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

الصراع النفسي

الحياة سلسلة من مواقف الصراع وبناء عليها تتكون الشخصية؛ وبعض الصراعات التي أشار إليها فرويد، هي الصراعات بين اللذة والواقع، الحب والكراهية، السلبية والنشاط؛ ومن هنا فإن النمو والترقي في حياة الفرد نحو النضج يتوقف لنجاح الفرد في حل تلك الصراعات.

وهناك ارتباط بين الصراع النفسي والدوافع، لأن الدوافع تشكل القوة الدافعة أو الطاقة المحركة للكائن الحي وللإنسان، حاجات كثيرة، منها ما هو أساسي لا غنى عنه لأنه يتوقف عليها حفظ حياته وبقاء نوعه. ومنها ما هو هام وضروري لتحقيق أمنه النفسي وسعادته؛ لذلك يبذل الفرد السوي جهوده، لإشباع دوافعه، والتوافق معها؛ دونما صراع.

ومن هنا فيمكن تعريف الصراع النفسي بأنه حالة يمر بها الفرد حين لا يستطيع إرضاء دافعين معا أو عدة دوافع، مما يحدث لديه اختلال في التوازن الذاتي .

وهناك من يعرفه بأنه العمل المتزامن أو المتواقت للدوافع أو الرغبات المتعارضة، أو المتبادلة، وينتج عن وجود حاجتين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد، ويؤدي إلى التوتر الانفعالي، والقلق، واضطراب الشخصية.

وهناك من يراه بأنه حالة نفسية مؤلمة يشعر بها الفرد وذلك بوجود رغبات ونزاعات وحاجات متناقضة لا يمكن تحقيقها معا؛ فقد يوجد لديه دافعان يريد إشباعها في وقت واحد، ولكن ذلك يكون مستحيلا لأن كل منهما في اتجاه مضاد لاتجاه الآخر، ويدفع الفرد لنشاط مخالف، ولا يمكن إشباعها دفعة واحدة.

ويرافق وجود الصراع شعور الرد بالضيق والقلق والتوتر، مما يحرض الفرد ويدفعه للاستجابة السريعة والخروج من هذا الموقف الضاغط بسرعة.

ولا ينجو أحد من الصراعات؛ إنها القدر العادي لكل فرد؛ ولكنها تحرك بعض الأفراد لحو إنجازات من الدرجة الأولى، بينما تلقى بآخرين في أعماق يأس مطبق؛ لذلك فأن الصراعات تنشأ غالباً مرتبطة ببعض الدوافع اكثر من ارتباطها بغيرها، ولذلك فإن



الصراعات التي تسترعي انتباه الطبيب العام وطبيب الأمراض العقلية والسيكولوجية تتمركز حول ثلاثة جوانب هامة من الحياة، وفقاً لأدلر، هي على النحو الأتي:

- المكانة الاجتماعية.
- المهنة.
- الحياة الجنسية.

والصراعات عبارة عن ضروب متنوعة من أساليب التوافق مع هذه الجوانب الثلاثة، ويمكن تحديد العوامل المتنازعة في الصراعات، والتي توجد عادة بين الدوافع الآتية:

- دافع الهرب.
- الرغبة في الحب.
- الرغبة في رضا الآخرين.
- الرغبة في الرضا عن الذات.
- الرغبة في السيطرة.
- الرغبة في الجنس.

ومن هنا نقول؛ إن الموقف الذي ينطوي على صراع نفسي يتميز بما يلي:

١. إن كل عنصر في الموقف، إما أن يدفع الشخص إلى الشيء (انجذاب نحو) أو أن يدفعه للابتعاد عنه (انجذاب عن)، فالأول إقدام إلى والثاني إحجام عن.
٢. إن هذه القوى ليست متساوية في شدتها وقوتها، ويكون الشخص عرضة للصراع النفسي (أي في موقف صراع)، بسبب هذه القوى التي تتجاذبه (سواء أكانت تدفعه إلى الشيء أم إلى الابتعاد عنه).
٣. إن هذه القوى التي تتجاذب السلوك والشخصية، قد يكون مصدرها قوى ودوافع داخلية المصدر، وقد تكون خارجية المصدر.
٤. إن الموقف الذي يتعرض فيه الفرد لحالة الصراع، يدفعه دوما للقيام بسلوك من أجل التكيف مع الموقف، وإنهاء الحالة بسرعة ليعيد للشخصية حالة الاتزان، فإذا نجح

الـشخص في ذلـك وأنهـى حالـة الصراع (حلّه) وتمت عملية التكيف فإن الشخصية عـادت إلى حالـة الـتوازن، أمـا إذا فشل في ذلك أو طالت حالة الصراع ولم يتخلص الفـرد مـن آثـاره، فإنـه في موقـف لا يُحـسد عليه، من اختلال التوازن والقلق يجعل شخصيته عرضة للاضطراب النفسي.

٥. يـرافق حالة الصراع دوما حالة من الإحباط، والسبب في ذلك هو أن الشخص حتى إذا نجـح في حـل الـصراع وإشـباع أحد الدافعين (أو الرغبتين) فإن ذلك يكون على حساب الدافع الآخر أو الرغبة الأخرى، الذي يعني الفشل في إشباعه، وهذا بحد ذاته إحباط، لذلك فالصراع ينطوي دوما على إحباط وقلق.

لـذلك فـإن الـصراع هو صورة نضال ضد الدافع المحيط، أو ضد الظروف في البيئة؛ تجعـل تحقـيق رغبة ما مستحيلاً؛ أو صعب جداً، أو يبدو ميئوس منه، ومن الجدير بالذكر أن الإحـباط والفشل مختزنان لكل فرد منا في وقت أو أخر، والمهم هو كيف يكيف الفرد ذاته في ضـوء تلك المختزنات في اللاشعور، في صورة إيجابية معطاءة؛ والصراع قد يكون داخليا كلية أو انه صدام بين رغبتين متضاربتين كالرغبة في الجنس والرغبة في رضا الآخرين أو الاحتفاظ بالمكانـة الاجتماعـية، أو حينما تخير الفتاة العاملة بين الزواج والاحتفاظ بالعمل، أو الصراع بـين دافـع الهرب من ميدان القتال ودافع التقدير الاجتماعي، وقد يكون الصراع صداماً بين دافـع وعوامل خارجية كالحاجة إلى الأمن والتهديد بالطرد من العمل، أو التضارب بين دافع الـسيطرة أو العدوان ونبذ المجتمع أو الوقوع تحت طائلة القانون، أو الصدام بين عاطفة الحب لـدى الفتـى ورفـض أسـرة الفـتاة لاخـتلاف المـستوى الاقتـصادي والطـبقة الاجتماعية أو اختلاف الدين (المليجي، ٥٩،٢٠٠٠).

الصراعات اللاشعورية

أحياناً يوجد تصارع بين دافعين أو اكثر دون تسمية لفظية؛ فتنشأ معركة حامية؛ دون أن يعرف الفرد الأطراف المتنازعة؛ انه يفطن فقط إلى التوتر الناجم وإلى بعض نتائجه؛ وبهذا يخرج الأمر كله عن الضبط الإرادي ولا يخضع لسيطرة الشخص.



إن الكثير من حالات الصراع التي نمر بها تتفاوت مشاعرنا تجاهها، فبعضها نشعر به؛ وبعضها الأخر يبقى في مستوى اللاشعور، كما أن بعضها الآخر يبدو شعوريا، ولكنه ينطوي في الأعماق على عناصر لا شعورية، ففي حالة حيرة الشاب بين ممارسة السباحة أو الاستمرار في الدراسة، أو بين الذهاب إلى النزهة والبقاء في البيت إلى جانب أبيه المريض، في مثل هاتين الحالتين صراع شعوري يحتمل أن يقود التحليل فيه إلى إيجاد عناصر لا شعورية.

ويحدث الصراع اللاشعوري في البناء العميق للشخصية؛ ويكون بعيدا عن وعي صاحبه وليس في مستوى شعوره، وعملية اكتشافه ليست سهلة، ولو تم دراسة حالات الخلافات الزوجية في الكثير من الأسر؛ لو وجدنا أن معظم أسباب تلك الخلافات هي صراعات لاشعورية؛ فالزوج يحمل في لا شعوره النزوع إلى(زوجة أم) ترعاه ونجده في الوقت نفسه متأثرا بنزوعه إلى الاستقرار وتأكيد رجولته؛ والزوجة أيضا تكون في حالة صراع لا شعوري لا تعي مصدره، فهي تنزع إلى الحصول على (الزوج الأب) الذي يرعاها؛ لكن الزوج يمر في صراع تجاه ذلك السلوك؛ إن الكثير من أنواع وأشكال الاضطرابات النفسية والجنسية ناتجة عن صراعات نفسية لا شعورية، ومن أمثلة ذلك (حب وكره للزوج) و(الزوجة المسترجلة)، و(الزوج الطفل) ويمكن للصراع اللاشعوري أن يأخذ أشكالا عدة بالنسبة للبناء الوظيفي للشخصية عند فرويد، وهذه الأنواع هي:

- الصراع بين دوافع الهو؛ حين ينطوي الهو على دافعين أو أكثر، فيسعى كل منهما للإشباع ولا يمكن إشباعهما معا، كالصراع بين دوافع الجوع والدافع الجنسي أو دافع الجنس والخوف على الحياة، وقد بين فرويد أن الدوافع اللاشعورية المتعارضة تسعى لإيجاد حل وسط يكون مخرجا مناسبا لكلا الدافعين المتناقضين.
- الصراع بين الهو والأنا الأعلى، ويحدث حين يمر الفرد بموقف متصارع فيه دوافع الهو وقيم الأنا الأعلى؛ كالصراع بين دوافع الجنس والقيم العليا؛ فلا يمكن للفرد إشباع دوافع الهو بسبب القيم العليا (المثل الأخلاقية)؛ وكثيرا ما تشتد حدة هذا الصراع إذا كانت دوافع الهو قوية أو حين يكون تخطي قيم الأنا الأعلى ينطوي تهديد شديد للذات.



☒ الصراع بين مكونات الأنا الأعلى، ويحدث حين تتصارع قيم الأنا الأعلى؛ ومثاله الشاب المتزوج الذي تتجاذبه قيمه نحو زوجته وأمه حين يدب الخلاف بينهما؛ وكذلك لدى القائد في المعركة بين واجبه نحو الجندي المرهق المتعب وبين واجبه نحو كسب المعركة والنصر؛ ولهذا النوع آثار قاسية كثيرا ما ينطوي على تأنيب الضمير وعذاب الذات؛ إن هذا النوع من الصراع يقف خلف العديد من أشكال التفكك والاضطرابات الأسرية.

ومن هنا فإن الفشل في التوفيق بين القوى المتصارعة في الجهاز النفسي وبين مطالب العالم الخارجي؛ فإن الشخص يصاب بالعجز والاضطراب؛ وقد تلجأ الأنا حينئذ إلى بعض العمليات أو الحيل الدفاعية اللاشعورية؛ حيث يجد حلاً رمزياً غير واقعي لصراعاته النفسية؛ وقد يرضى بذلك مؤقتاً رغبة ما أو حاجة ما، ولكنه لا يحل المشكلة؛ فالصراع النفسي لا يزال باقياً والمشكلة قائمة؛ ومتنوعة منها؛ لا كبت، الإسقاط، الإعلاء، التعويض، التقمص، التكوين العكسي، النكوص، الإنكار، الإزاحة وغيرها (مليحي، ٦٣،٢٠٠٠).

ونظم الإسلام الدوافع لدى المسلم، في ظل طاعة الله عز وجل، في أطر شاملة متوازنة، وفي ظل شخصية إيجابية معطاءة، تتسق مع فطرتها الإنسانية، وتستجيب للمنهج الإلهي، وتعليمات الخالق المبدع، وتتسق سلوكاتها مع سنن ونواميس الكون، وقوانينه الاجتماعية، التي أوردتها نصوص الشريعة السمحة، ومن هنا يقبل المسلم الجاد بمشاعر متعبدة محبة لربها، في الالتزام الشرعي، الذي يتسم بالحدية، بعيداً عن التناقض والازدواجية، وتعد الازدواجية من صفات المنافق، المتذبذب، هنا وهناك، دون مبدأ واضح في الحياة.

وقد اتسمت العبادات بالاعتدال والتوازن بعيدا عن الغلو والتقصير، وراعت حاجات الإنسان الروحية والجسدية والنفسية، في توازن جميل رائع، لأنه من توجيه الخالق عز شأنه وجلاله، وبالتالي حثته الشريعة، على الالتزام الواعي، الذي يحسن فيه استخدامه عقله في مرضاة الله عز وجل، ويوظف عاطفته في ضوء الإسلام السمح، مما يشحنه بقوة متدفقة، تحول بينه وبين الانصهار والاندثار في الفتن والمعاصي، والمؤمن يثق بروحه المتعلقة



بالله تعالى، إن ما يعترضه من بلاءات، وكذلك أمته المسلمة، إنما هي للدفع في منهج الله تعالى، متجاوزاً التقصير، ورفعاً في الدرجات.

وتضمنت الشريعة السمحة، مساحات ثرية، في ترسيخ الالتزام والوعي في الشخصية المسلمة، في أطر من الأمن والسكينة، والمجتمع المتكافل المتواد المتراحم، بحيث تكون بعيداً عن تأجج الصراعات النفسية بين الدوافع المختلفة، وتمضي في ضوء تعليمات الصانع المبدع، في سير معطاء متجدد في طاعته تعالى، في ضوء سمة الاعتدال والتوازن، التي تتسم بها كافة متعلقات التربية الإسلامية السمحة.

قال تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، ٧٧)، أي أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك، استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك (السعدي، ٢٠٠٢).

ويأتي الصراع، من الخروج عن منهج الله تعالى، واستهلاك الوقت والمال والجهد في الدنيا، بلا طائل، في أطر المتعة الزائلة، عوضاً عن استهلاكه في المستقبل الأخروي، وأرصدته الخالدة، لأنها الحياة الأصل ودار الجزاء، والدنيا دار العمل والتكليف.

واهتم الشرع بضبط الدافع الجنسي، وعدم خروجه إلى حد التفلت، والسلوك البهيمي، ويكون ذلك من خلال تأطيره بالزواج، الذي يعد ميثاقاً غليظاً، ووجهت الشريعة، العاجز ماديا أو معنويا أو كليهما معاً، إلى علاج بديل، تعبدي، يخفف من حدة وطأة الشهوة ويسكنها، ويرتقي بالمشاعر في مراتب عليا، ترتفع فيها الذات عن الانجرار والانسياق وراء الرغبات الجنسية، ويحدث لها علو التطلع نحو الروحانيات، وأبواب الآخرة.

واهتمت التربية الإسلامية، في تهذيب السلوك، وجعلته ركن التربية الهام، بدءا للنشء في محضن التربية الإسلامية، إلى أن يكون الفرد عنصراً نافعاً في المجتمع، يعتز بدينه، وينفتح على الآخرين، ويتقن ثقافة الحوار، ويرفض العنف، ومتعلقاته في السلوك والخطاب والفكر بكافة أبعاده، وربما هذه الحيثية على وجه التحديد، هي سر معاناة الأمة المسلمة،



جراء الحملات التشويهية للإسلام، عبر حركات العنف، الذي تقتل وتروع المدنيين المسلمون، في مساحات العالم الإسلامي، تحت عناوين إسلامية خادعة.

ودعت الشريعة السمحة، إلى الكسب المشروع، ولم تلغي فطرة الإنسان، في حب تملك المال، ولكن ضبطتها في ظل قنوات شرعية، تضبط سلوك المسلم المالي، وتجعله في منأى عن الرزق الحرام، ومخالفة الشرع، فهنا تهذب التربية الإسلامية السلوك، الموجهه نحو المال، في أن يكون مجرد وسيلة، وليس غاية بحد ذاته، لاستعباد الخلق، وإحداث خلل في التوازن في المجتمع، حيث تستأثر طبقة مخملية في المجتمع المسلم المال، ويخضع باقي المجتمع للفقر المدقع، في خلل اقتصادي، تشهده الأمم الراقية، فيما يعرف برأس المال المتوحش.

ويعد التوحيد الركيزة الأساسية؛ في حفظ المسلم؛ من الصراعات النفسية بكافة أشكالها، لأنها توحد له جهة التعبد و الولاء والاتصال، يوجه عمله ومقصوده وغاياته، ولا يشرك بها آية جهة أرضية، فيكون منفصم العرى مخذولاً؛ والتوحيد يحقق الأمن والسكينة، ويكون المسلم في ظلاله في ركن أمن، لا يخشى أحداً، ولا يخاف أحداً، ولا يشعر بالفقر لجهة ابدا، ويشعر انه غني برضى الله ورحماته، وان المال يذهب ويأتي، ولا يعد غاية مطلقاً، بل وسيلة للتقرب على الله فيما يغدقه على نفسه من نعم الحياة والمعاش، فيكون منضبطاً ملتزماً لا متفلتاً متمردا، وبالتالي تحمي تلك العقيدة الراسخة، أعماقه من التشتت والتشرذم، وتمنحه قوة نفسية، يستحيل أن تمنحه إياها أية جهة أرضية، لأنها نعمة القرب من الله تعالى، والتسليم إليه، بعد اخذ الأسباب؛ وكما قال أحدهم "نحن في نعمة عظيمة لو علم بها اعداؤنا لجالدونا عليها".



الإحباط

تواجه الفرد في رحلة الحياة؛ عقبات ومصاعب، تتطلب تجاوزها، برفع مستوى حافزية الذات، ودافعيتها للحياة والعمل والعطاء، فيتم تجاهلها، والمضي مع حركة الكون نشاطاً وحيوية ومثابرة؛ لأن الحياة ليست على نسقٍ واحد، ففيها من المتاعب والآلام، ولكنها تتطلب نفوساً قوية، ومعنويات عالية، وهمة متقدة، وأمل بسام.

ولذلك غياب تلك المعاني أو بعضها، هو الذي يوصل الذات، إلى حد الانهزام امام الحياة في الحياة؛ ومن هنا فإن الإحباط حاله إنفعاليه غير سارة قوامها الشعور بالفشل وخيبة الأمل تتضمن إدراك الفرد بوجود عقبات تحول دون إشباعه لما يسعى إليه من حاجات ودوافع.

وينشأ الإحباط أيضاً نتيجة الفشل في تحقيق غاية ما إما لوجود خلل في النظرية التي يؤمن بها الفرد؛ أو بسبب خطأ في الوسيلة التي تحمل الإنسان إلى غايته؛ وفي كلتا الحالتين سوف تمر فترة من الزمن لتجرع ألم الفشل وإعادة الحسابات والانكفاء على الذات. والفشل وخيبة الأمل أكثر مرارة في نفوس الشباب. حيث يتضخم الإحساس ويصل إلى درجة الشعور بالكارثة.

والإحباط موجود في حياتنا صغاراً أو كباراً؛ فمعظم الأفراد يتعرضون لمواقف إحباطية بدرجات متفاوتة؛ تختلف باختلاف احتياجاتهم ورغباتهم؛ وأهدافهم وتوقعاتهم؛ وظرفهم وخبراتهم؛ ومقدراتهم الجسمية والعقلية.

ويمكن القول بأن الإحباط حالة نفسية، ناتجة عن الفراغ؛ ولكنها غالبا ما تكون عملية تحدث في العقل الباطن الذي يستوعب كثيرا من الأحداث والمواقف التي قد لا نستوعبها بعقلنا الواعي، فالعقل الباطن هو بمثابة الصندوق الأسود الذي يحتفظ بالأحداث التي قد يرى الإنسان بعضها بأنها غير مهمة في حياته، كذلك هناك مشاعر وأحاسيس يريد أن يهرب منها الإنسان ويتناساها ويكبتها فهي تنتقل إلى العقل الباطن وكذلك بعض الأحداث التي ننتبه لها والأخرى التي تمر علينا دون أن ندركها يمكن أن تخزن في العقل

الـباطن، وهذا المحتوى الكبير في العقل الباطن لا يفقد طاقاته وقدراته ولكنه يظل محتفظا بها وقد تنعكس آثاره على أحلامنا ومشاعرنا وأحاسيسنا.

وبـناء علـى مـا سـبق، فـإن تداعـيات مـشاعر الخيـبة في اللاشعور تؤدي إلى ارتداد الـشخص نحـو ذاتـه والانـسحاب مـن المجتمع والحياة حيث يميل الإنسان إلى اجترار الهموم وتقبل أفكار الخيبة والفشل، وينحدر إلى حالة من الضجر وكراهية الذات والنفور ممن حوله؛ وربما يوصل إلى الاكتئاب ولوم النفس ومحاسبتها بشدة وتحميلها المسؤولية عن الفشل؛ وينتج عـن ذلـك أن تـضمحل الـرغبة لديـه في العمـل أو مـشاركة الآخـرين؛ بـل يفضل الانزواء والوحدة ويقع فريسة للسأم والضجر.

وقـد توصـل تفيرسـكيفي في دراسـاته حـول الإحـباط وباري شوارتزفي Barry Schwartz في دراسـة قـدمها في عـام ٢٠٠٤ حـول الإحباط، حيث أشارت نتائجهما إلى ارتفـاع معدلات مرض الاكتئاب ومشاعر الإحباط و التعاسة لدى الأفراد نتيجة الإفراط في الاختـيارات وعـدم القـناعة- وهذا اللفظ بدأ يدخل ضمن الاصطلاحات النفسية العلمية- وأشار أيضاً إلى أن أغلب أفراد المجتمع لا يعرفون طريقة لضبط شهواتهم وخفض نهم وشره رغباتهم.

كـل هـذه الدراسـات وغيرهـا تؤكد ضرورة أن يتدرب الإنسان ولو لأسابيع محددة علـى هـذا الأسلوب من الضبط الذاتي للشهوات وبالتالي للغرائز والانفعالات والسلوك.. أي ضرورة أن يتعلم ضبط شهواته بالصوم لفترة كافية، وهناك مراكز طبية في الغرب للعلاج بالـصوم مـع الـتأمل المتـسامي Transcendental meditation ومـنها مركـز شـهير في السويد وآخر في البرتغال.

وتتعدد مصادر الإحباط، ويمكن تحديدها في الآتي:

- المـصادر الداخلية: وتتركز في العوامل الشخصية؛ التي تتعلق بانخفاض مستوى مفهوم الـذات، وتأكيدها لديه؛ وسمات معينة في الشخصية؛ ومن بينها عجزه بسبب ضعف حالـته الـصحية العامـة أو الإعاقـة الحـسيه أو الحـركية وقصور في إستعدادته العقليه كالـذكاء والـتفكير والمـرونه والموهـبة التي يحتاجها الشخص لهدف ما أو تعلم مهارة جديده.



- المصادر الخارجية: وتتعلق بالظروف المادية الطبيعية كالمناخ والطقس والضوضاء والتلوث البيئي والظروف الاجتماعية والأسرية؛ كمعاملة الوالدين وأساليبهما في التنشئة؛ وبعض العادات والتقاليد والظروف الحضارية كالانفجار السكاني؛ وتعقد النظم والتراكم المعرفي والمعلوماتي.

ومن المهم بمكان الإشارة هنا النتائج المترتبة على الإحباط؛ حيث ينزع الشخص للعدوان سواء بشكل صريح أو خفي؛ وكلما أزداد العدوان أزداد شعوره بالإحباط؛ حيث يتزايد كلما كانت رغبات الفرد وأهدافه المحبطه حيوية بالنسبة إليه؛ ويصبح الشعور بالإحباط أشد وطأه وإيلاماً للنفس؛ عندما يدرك الفرد أن أهدافه الحيوية والهامة التي يود تحقيقها، لا يستطيع أن يحققها، ويواجهه فيها التحديات التي لا يقوى على تجاوزها، لما تمتلئ به أنفاسه من نفث الطاقة الانهزامية السلبية التي تصرفه عن التحدي والمواصلة.

ويمكن تحديد نقاط أساسية، في مواجهة الإحباط وأثاره السلبية، المدمرة للشخصية على النحو الأتي:

- تنمية السمات المزاجية الانفعالية التي تساعد النشء على مواجهة الصراعات والإحاطبات كالمثابرة وقوة العزيمة والصبر والتفاؤل والثقة بالنفس والمرونه في مواجهة المشاكل والمواقف الصعبة.
- تجنب استخدام الأساليب غير السوية في تنشئة الأبناء كالتفرقة والتذبذب في المعاملة.
- مساعدة النشء على معرفة قدراتهم ومواهبهم الفعلية والحقيقة.
- مساعدة النشء والشباب على اعتناق المبادئ والأخلاق والمبادئ.
- تنميه التفكير العلمي لدى النشء مما يعينهم على المشكلات.
- التخلي عن طريقة التفرقة في المعاملة بين الأبناء ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.
- العمل على إشباع الاحتياجات النفسية للطفل دون إفراط أو تفريط وتجنب الإستجابة لكل رغبات الطفل في جميع الظروف حتى كنا نملك تحقيقها.
- تنمية الوازع الديني لدى النشء.



ويسهم الإسلام في منح الشخصية الأمن والسكينة، من خلال الصلة بالله، لأنها تمنحها القوة لمواجهة اعنف الصراعات في الحياة، وفي مقدمتها الإحباط والفشل، لأنه يلجأ إلى مصدر القوة، ويشتق كمالات شخصيته، من معاني أسماء الله تعالى وصفاته العلى التي يعكسها في ذاته، فتمنحه التوازن والقوة والعدل والأمل، وجمال الشعور بالحرية، من اسر الجهات الأرضية في تعبده لله الواحد الأحد الفرد الصمد، حيث لا تتعدد له جهات التعبد والشرك والتوجه، فيكون معها صريع التشتت، والتوجهات، التي تسهم في قض مضجع الشخصيات، وتدميرها، وإثارة الهزات النفسية العنيفة في مسارات حياتها بين الحين والأخر؛ فعقيدة التوحيد تشكل تربية وقائية من الصراعات النفسية، حيث يربي المسلم على أن يوجه قلبه وسعيه ومراده ومقصوده وغايته لله الواحد الأحد؛ ويطلب منه الرعاية والتدبير والتصريف والحماية والحفظ والتوفيق والسداد، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم، ٣٩).

وليس من شك أن صلاة الجماعة في المسجد؛ وروح التعاون بين المسلمين، وحضور مجالس العلم؛ والتكافل الاجتماعي؛ والتواصي والتناصح والتآزر؛ تسهم في القضاء على أي شعور بالوحدة وما قد ينتج عنه من مشاعر الإحباط والاكتئاب.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

والمعنى المستفاد من قوله تعالى ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ اي تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله (الطبري، ١٩٨٤).

وقال تعالى: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).



والمعنى المستفاد إِنَّهُ لا يَيأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ أي لا يقْنَط من فَرَجه ورحمته ويقطع رجاءه منه، إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ أي القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه.(الطبري، ١٩٨٤).

قال تعالى: ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: ٥٥-٥٦).

بمعنى لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلّوا بذلك عن دين الله.(الطبري، ١٩٨٤).

والمعنى المستفاد من قوله تعالى ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تقنطوا من فرج الله؛ قاله ابن زيد؛ يريد: أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط في الشدّة. وقال قَتَادة والضحاك: من رحمة الله. وقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هي دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس (القرطبي، ١٩٥٤).

والآيات تدل على أنه بحسب إيمان العبد، يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه (السعدي، ٢٠٠٢)

والعقيدة الإسلامية تعطي المسلم حصانة ضد الانتحار، فهي تعتبره مجرماً وسوف يعاقب من يرتكبه يوم القيامة، وهذه عقيدة راسخة في وجدان المسلمين ويقوم، واللقاءات العلمية الدورية في المسجد تؤكدها بين الحين والأخر ا لدى المسلم، فهو يسمع بصفة مستمرة؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

والمعنى المستفاد هنا أن لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك، الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك، إذ من رحمته تعالى، أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك، ما رتبه من الحدود (السعدي، ٢٠٠٢).



ومما سبق؛ تبرز أهمية التربية الإسلامية، في ترقية انفعالات الفرد وتهذيبها، في مستوى الأمل ودفع اليأس، وتحفيز الذات لتحقيق أهدافها؛ في ضوء مرضاة الله عز وجل؛ ومن هنا فإن الإسلام يبني مجتمعاً قوياً، يتسم أفراده، بالقوة النفسية؛ من خلال تفاعلهم الحي مع مبادئ الإسلام، وسلوكهم العملي في ضوء تلك المرجعية الخالدة السامية.



العلاج النفسي

تتعدد أنواع العلاج، بين العلاج الجسدي، والعلاج الذي يستند على النواحي النفسية؛ بمعنى لا يعتمد على العقاقير أو الصدمة الكهربائية أو الحقن بالمركبات الكيمائية، فالعلاج النفسي تعتمد على التفاعل بين المعالج والمريض؛ وجوهر هذه العلاقة هو تغيير عملية التعلم لدى المريض، حيث يقوم المعالج النفسي بعملية محو تعلم للعادات السيئة؛ في الاستجابات الانفعالية التي اكتسبها المريض في حياته، وتعليمه نماذج جديدة لعادات صحية، وقد يبادر المريض ذاته بمراقبة نفسه ومعالجتها، وفي الآونة الأخيرة، برز علم الطاقة اللامحدودة، وبرامج البرمجة العصبية اللغوية، إذ تسهم تلك الإضافات العلمية في تمكين الفرد من تغيير ذاته بذاته، وملاحظتها، وتعديل سلوكه، واثراءه بالإيجابية والعطاء، مع الحرص على تعلية قيمة مفهومه لذاته، من خلال برامج تعتمد على الإيحاء والتشفير اللفظي والسمعي والمرئي والحركي والانفعالي، لتثبيت الصور الجديدة، ونبذ الصور القديمة.

إن العديد من مدارس العلاج النفسي الحديثة أصبحت تعترف بأن الإنسان قادر بالفعل على توجيه سلوكه من خلال المعرفة الواعية، والتدريب المنظم على تعديل أفكاره وسلوكه طبقاً لقواعد العلاج النفسي الحديثة. وأحيانا تكون تصرفات الفرد غير مفهومة بالنسبة له؛ وبالصدق مع النفس واستمرار الشخص في ملاحظة أفكاره وتصرفاته ونتائجها وتسجيل ذلك وتأمله ودراسته بشكل منتظم يمكنه من فهم أسباب ودوافع سلوكياته وتصرفاته؛ خاصة عندما تتكرر في المواقف المختلفة، ويمكن للإنسان أيضا أن يكتشف أسباب الخلل، وأسباب التوتر والاضطراب بل و علاجها والتخلص منها ولو بدرجه محدودة، ومع ازدياد واستبصار الفرد بنفسه، وحرصه على الاستمرار في طريق النمو النفسي، وتعلم المزيد من المهارات والسلوكيات الملائمة وتجريبها واختبارها في مواقف عملية. ويصبح أكثر قدرة على شفاء نفسه بنفسه بحيث يتخلص من الانفعالات المعوقة، ومن الأفكار الهدامة وغير المنطقية، وان يصبح أكثر نضجا ووعيا وتوافقا، وإتباع برنامج علمي منظم لبلوغ هذه الدرجة من الصحة النفسية بالاعتماد على رغبة الفرد وإرادته ووعيه، وهذا ما يسمى



بـالعلاج النفـسي الذاتـي، وتمـيل بعض الاتجاهات في الوقت الحالي إلى الاعتماد على الفرد نفسه في علاج مشكلاته النفسية.

(www.rameztaha.net)

ويـرى بعـض علمـاء الـنفس مـثل أريكسون؛ إن السلوك في مراحل النمو بعد سن الـبلوغ؛ يكـاد أن يخـضع لـتحكم العقـل الواعي والشعور بشكل حاسم .وبالتالي فان الفرد يـستطيع أن يعـي؛ وان يفهـم– ولـو بدرجة محدودة في البداية– دوافع وأسباب سلوكه؛ وان يـتحكم فـيها. ولقد اتجهت الكثير من أبحاث ودراسات الآونة الأخيرة إلى ابتكار العديد من الطـرق والأسـاليب الـتي يمكـن للفرد العادي أن يمارسها دون الاستعانة بمعالج نفسي، وقد أطلقوا عليها– كما ذكرنا– اسم أساليب الضبط الذاتي.

(www.rameztaha.net)

ومـن هـنا فـأن العلاج النفسي في جوهره هو مرور الذات بخبرة تعليمية أو انفعالية تجعـل الفـرد يـزيد مـن مهاراتـه؛ أو يعـدل مـن أساليب الاستجابة لديه؛ مما يؤدى إلى زيادة التكيف مع المجتمع؛ وزيادة الوعي الاستبصار.

وهـناك مـن يـراه بأنـه معـرفة أسباب الـصراع والاضطراب عند الفرد؛ عن طريق فحـص أفكـاره وانفعالاتـه وسـلوكه؛ ثم محاولة تغييره؛ وتخليصه من الإدراك الخاطئ لنفسه وللآخـرين، وتقـوية ثقـته بنفـسه، ليـصبح أكثـر قـدره علـى التكـيف مع نفسه ومع المجتمع والقـدرة علـى عـلاج المـشكلات والإنـتاج والإبـداع، وان يكـون أكثر وعياً واتزاناً، وذلك بالطبع في حدود قدراته الشخصية، وبالدرجة والنوعية التي يختارها هو بنفسه.

وتـؤكد اغلـب مـدارس العـلاج النفـسي تقـريبا علـى أهمـية العلاقـة بـين المعالج والمـريض؛ وضـرورة حـدوث التجاوب الانفعال بين الطرفين؛ ومن هنا فإنك لا تستطيع أن تغـير في أفكار أو في سلوكيات أي شخص آخر إلا إذا كانت تربطك به علاقة وجدانية قوية تتـسم بالود والاحترام؛ فالتجاوب الانفعالي بين المعالج والمريض أمر هام؛ لأنه يمكن المعالج مـن اكتـشاف الجـوانب الخفية والحساسة في شخصية المريض؛ والكشف عن مصادر الصراع الكامـنة والعمـيقة القابعـة خلـف الأقـنعة والدفاعات النفسية والكامنة في ظلام اللاشعور؛

وتختلف أهمية العلاقة بين المعالج والمريض من مدرسة إلى أخرى تبعا لأسلوب العلاج وأهدافه في كل مدرسة سيكولوجية.

وانطلاقاً مما سبق؛ فإن العلاج النفسي يتخذ صوراً أساسية متعددة؛ تختلف باختلاف مدارس العلاج النفسي؛ ومنها ما يلي:

- التحليل النفسي.
- العلاج النفسي الموجه.
- الإرشاد النفسي غير الموجه (كارل روجرز).
- العلاج الجماعي والبكودراما.
- علاج سيكوبيولوجي.

ويعد فهم وملاحظة الذات، من أهم وسائل العلاج النفسي؛ ومن الخطوات الهامة التي يجب على الفرد إتباعها لعلاج مشكلاته النفسية؛ لكي يبلغ ارقي من الوعي والنضج النفسي من خلال فهم ذاته؛ ومعرفة الحيل (الدفاعات) النفسية التي يهرب من خلالها من مواجهة مشاكله وعيوبه بشكل مباشر وصادق متحملا ألم المواجهة ومسئوليتها.

ولكن أحذر الانشغال بملاحظة الذات أكثر مما ينبغي، حتى لا تتوتر وحتى لا تنشغل عن أن تعيش حياة تلقائية بسيطة، وتعلم أن تقبل مشاعرك وانفعالاتك بلا أدنى خجل؛ وان رغبتك في تغيير بعض سلوكياتك لا يجب أن تقترن بلوم النفس وتعذيب الذات، فالأمر لا يتطلب أكثر من تعلم عادة جديدة، كما يستحسن أن يكافئ الفرد نفسه، مكافأة ذاتية، مادية أو معنوية، لتبث الثقة في نفسه، وفى قدراته، في كل خطوة ينجح فيها؛ وهذا ما نطلق عليه "أسلوب التدعيم الذاتي"؛ على أن يكون هذا عقب النجاح في تحقيق برنامج؛ أو تنفيذ أسلوب من أساليب تعديل السلوك، وذلك مع مراعاة أن تكون الخطط أو البرامج والأهداف التي يضعها الفرد نفسه؛ متدرجة في القوة أو الشدة؛ وان تكون متناسبة مع إمكانيات الفرد وقدراته الحقيقية وظروفه البيئية والاجتماعية.



ففـي التحلـيل النفـسي؛ إذا فـشلت الأنا في التوفيق بين القوى المتصارعة في الجهاز النفـسي وبـين مطالب العالم الخارجي، فإن الشخص يصاب بالعجز والاضطراب، وقد يلجأ الأنـا حينـئذ إلى بعـض العملـيات أو الحـيل الدفاعية اللاشعورية، حيث يجد حلاً رمزياً غير واقعـي لـصراعاته النفـسية، وقـد يرضـي بـذلك مؤقـتاً رغبة ما أو حاجة ما؛ ولكنه لا يحل المشكلة، من خلال ذلك، لأن الصراع النفسي لا يزال باقياً، والحيل الدفاعية اللاشعورية أو "ميكانزمات الدفاع" متعددة، وفيما يلي نبذة تعريفية عنها:

الكبت:

هـناك الكـثير من الأفكار الناشئة في المستوى اللاشعوري من العقل تمنع من اقتحام حيـز الـشعور؛ وذلـك لأنهـا تعـارض أفكارنـا الـشعورية؛ كـأن هـناك جـزءاً من العقل أو الشخـصية يقـوم بوظـيفة رقـيب يمـنع الدوافـع اللاشعورية والأفكار اللاشعورية من دخول الـشعور ويـردها إلى اللاشعور، ويقال في هذه الحالة أنها كبتت، وهكذا تجد تعبيراً مباشراً في تفكيرنا وأفعالنا الشعورية.

وهـناك صـورة أخـرى لعملية الكبت؛ أي وظيفة أخرى للرقيب؛ حيث يستبعد من مـنطقة اللاشـعور الدوافـع والرغبات المخجلة ليطويها في اللاشعور؛ أو ذلك الجانب المظلم مـن الـنفس (العقـل الـباطن) حتـى يتم نسيانها لما تثيره في النفس من مشاعر الخزي وتأنيب الـضمير أو تؤدي إلى استصغار شأن الفرد؛ إن وظيفة الرقيب إذن وظيفة دفاعية؛ تحمي الفرد وتقيه من الأفكار والمشاعر المخزية والمؤلمة للنفس.

والكـبت خـلاف القمـع فهـو مجهـود واعي لضبط أو إخفاء دوافع وأفكار ومشاعر وأفعـال غير مقبولة ومحظورة، وعملية القمع التي يزاولها الشخص لقمع المثيرات الداخلية أو الخارجية تمنع الفرد فوائد الكبت دون معاقبته بالشلل المتضمن في عملية الكبت، ففي الكبت يمكـن القـول بأن حل المشكلة يركن طوال الوقت أما في حالة القمع فإنه يضع المشكلة جانباً للوقت الراهن.



الإسقاط

وهـو حـيلة دفاعـية وهـي في جوهرها صورة من خداع اغلنفس؛ حيث ينسب المرء أفكـاره ورغـباته الخاصة غير المقبولة ونقائصه إلى الآخرين؛ وقد يؤدي هذا إلى التخلص من بعـض مـشاعر الـذنب وخفض التوتر الناجم عنها؛ ومعنى ذلك إن الشخص يرى في الأخر السمات التي تستقر في نفسه هو فقط؛ أو أنه يبالغ في تقدير صفة في الأخر لمجرد انه يملك هذه الصفة بدرجة عالية.

التبرير:

هـو حيلة دفاعية يحاول بواسطتها الفرد إثبات أن سلوكه معقول؛ وله ما يبرره؛ ولذا يـستحق القبول من الذات ومن المجتمع؛ فالتمليذ الذي تكرر رسوبه في الامتحانات المدرسية لا ينـسب ذلـك إلى قـصوره وإهماله؛ وإنما يرجع ذلك إلى فساد الجو المدرسي أو عدم نزاهة المدرس في التصحيح مثلاً.

التعويض:

ويـرتبط الـتعويض عادة بمشاعر النقص؛ فالشعور الناجم عن الفشل يدفع الفرد إلى عمل شيء من أجل تعويض الخسارة التي لحقت به؛ إلا أن الدافع إلى التعويض عن الفشل أو الكبرياء المجروح؛ يكون أقوى عادة من الرغبة الأصيلة المحيطة؛ ويؤدي إلى المغالاة أو الإفراط في الـتعويض؛ إن كـثيراً من رجال العصابات والأشرار الخطيرين يعانون من مشاعر النقص؛ إلا أنـه في حـالات نـادرة قـد تؤدي مشاعر النقص على أعمال عبقرية بشرط توافر المواهب والقدرات الإبداعية الكافية؛ ولكن قد تنتهي نتيجة المغلاة في التعويض وبذل الجهد بالانهيار العصبي.



التقمص أو التوحد:

التقمص هو توحد الفرد بشخصية أخرى حتى يصبح كلاهما وكأنهما شخصية واحدة تحس بإحساس واحد وتفكر بعقل واحد؛ وتصدر أفعالهما عن رغبات واحدة؛ فالطفل قد يتقمص شخصية الأب؛ أي يتوحد بها وبقيمه وأهدافه؛ وسلوكه؛ وقد يحدث التقمص بالتوحد مع جماعة أو هيئة ذات مكانة براقة؛ والتقمص عامة يؤدي على زيادة شعور الفرد بقيمته.

النكوص:

وهو عملية لا شعورية يعود فيها الشخص جزئياً أو رمزياً تحت ظروف استرخاء أو شدة إلى أنماط سولك طفلية مبكرة؛ حيث كان يجد إشباعاً وأمناً وحماية اكثر؛ فالنكوص هو إذن فشل التكيف؛ وعجز عن مواجهة الإحباط؛ والنكوص لا يفيد معنى التقهقر في المكان؛ أي انطواء الشخص على نفسه؛ بل يعنى أيضاً التقهقر في سلم مراتب السلوك التي تتراوح أشكالها بين السلوك الإرادي الفعال المصحوب بالرؤية والتفكير والسلوك الاندفاعي الأعمى؛ أو الآلي ذو النمط المتصلب؛ ويحدث النكوص في أحوال كثيرة متنوعة مثل النوم العادي واللعب والمرض الجسمي الشديد؛ وكثير من الاضطرابات العقلية مثل جنون الفصام، وعادة ما يحدث النكوص نتيجة لتكرار الإحباط؛ أي عندما يفشل المرء في إرضاء دوافعه أو إشباع حاجاته، فينشأ عن ذلك حالة من التوتر النفسي؛ أو التأزم النفسي؛ فقد يصاب الشخص بالخوف الشديد؛ فيصاب بحالة من السلبية؛ فيتراجع متجنباً المشكلة؛ حتى لا يبذل حلاً صريحاً إيجابياً؛ وبالتالي لا يواجه مرة أخرى مشاعر الخيبة ومرارة الفشل.

الإعلاء:

كثيراً ما يخفق المرء في إرضاء الدوافع أو إشباعه بطريقة مقبولة اجتماعياً؛ وغالباً ما يفقد هذا الدافع المحيط قوته المثيرة للتوتر؛ إذا استبدل الهدف بهدف أخر؛ ممكن التحقيق بأفعال مقبولة اجتماعياً؛ وهذه الأبدالات يطلق عليها الإعلاء؛ أي التعبير عن الدافع المحبط



بأسلوب يرتضيه المجتمع، فالدافع الجنسي الذي لم إشباعاً؛ قد ينجح الفدر في خفض حدة توتره باللجوء إلى نشاطات بديلة تعمل على تصريف جزئي للطاقة الجنسية؛ كالأعمال الفنية من رسم وتصوير ونحت أو الأعمال الأدبية شعريا وقصصياً وروائياً.

ومن هنا يسهم التشبع بالرضا الذي يشمل رضا الشخص عن قدراته وصورته وهيئته وإمكانياته التي منحها الله له، وهذا يمكن الفرد من امتلاك مشاعر بالرضا والأمن والقوة النفسية؛ ولكي يصل الشخص؛ إلى تلك المرحلة؛ عليه أن يركز تفكيره وخياله في استعراض وتأمل النعم التي أنعم الله بها عليه من الصحة والستر والمال والولد، والقدرة على الاستمتاع بالحياة وفق منهج الله الإلهي؛ وعدم تجاوزه، ومن تطبيقات ذلك؛ أن يحمد الله على ما أعطاه إياه من حواس وملكات ونعم وقدرات لا تقدر بمال ولا يمكن تعويضها بكنوز الدنيا وما فيها؛ كذلك عليه أن يستعرض ما حققه من نجاح مهما كان محدودًا، وما استطاع أن يقدمه ويتلقاه من حب وعطف من أفراد الأسرة والأصدقاء والزملاء والجيران؛ وأن يكرر ذلك باستخدام ذهنه ومخيلته عبارة الحمد لله باستغراق ذهني واندماج متجرد من نهم الرغبات والشهوات الزائلة.

ومن سبل العلاج النفسي؛ تتبع الأخطاء المتعلقة بأسلوب وطريقة التفكير؛ ومراجعة الذات في ضوء تعديلها، وتجاوز السلبيات في ذلك، ورفع التعاطي مع التفكير الإيجابي في الحياة، وادرج منظومة من الأخطاء في التفكير على النحو الآتي:

التطرف في الأحكام: حيث يرى الفرد الأشياء إما سوداء أو بيضاء، وهو يكره ويحب دون توسط أو اعتدال.

التصلب: ومواجهة المواقف المختلفة المتنوعة بطريقة تفكير واحدة.

المبالغة: مثل المبالغة في تفسير الموقف مما يؤدى إلى إثارة انفعالات القلق أو الخوف، وكذلك المبالغة في تقدير الآخرين سلباً أو إيجاباً مما يؤدى إلى اضطراب العلاقة بهم.

التعميم: وهو أسلوب من التفكير يؤدى تعميم الخبرات الجزئية تعميماً سلبياً مما يؤدى بالتالي إلى العديد من الأنماط المرضية خاصة الاكتئاب والفصام.



الثنائية والازدواجية: وهي جزء من معاناة الشخصية المتسلطة ضيقة الأفق التي تفتقد إلى المرونة، لذا تضطر دائماً أن تمارس دوراً في العلن وتتبنى عكسه في الخفاء .

التجريد الانتقائي: حيث يعزل الفرد خاصية معينة من سياقها ويؤكدها في سياق آخر مثل الذي يؤكد على أنه غير مرغوب فيه من الجميع إذا لم يرحب به أحد الحاضرين.

أخطاء الحكم والاستنتاج: التي توصل إلى متنائج مغلوطة قد تدمر الذات أو التصور عن الآخرين.

لحساسية للنقد وتضخيم المواقف والأحداث: ويعود ذلك إلى مستوى انخفاض مفهوم الذات لدى الفرد؛ وإعطائه قيمة للآخرين في مقابل توتير ذاته؛ وتعليه انفعالاتها.

ويؤكد أغلب الباحثين أن استمرار التفكير والتخيل بطريقة خاطئة يتحول إلى عادة مرضية يفقد معها الفرد إدراكه الموضوعي للواقع؛ وتقييمه الصحيح للذات، وإلى اعتياد المبالغات الانفعالية مع توقع الخطر من مثير لا تتضمن أي تهديد للذات، وينتج عن تبنى أساليب التفكير الخاطئة هذه؛ انفعالات ومشاعر سلبية عديدة (كالخوف، التوتر، الحزن)؛ وأخطاء التفكير المذكورة إذا تزايدت تسببت في تشويه صورة الذات والواقع؛ وحركت وجدان الفرد وانفعالاته وسلوكه في الاتجاه المرضى؛ وإذا أستمر هذا التزايد في تشويه وتحريف الواقع تحولت هذه الأفكار إلى ضلالات وهذيان يصعب مناقشتها أو تعديلها بالمنطق؛ ومن العوامل التي تساعد على تحول أخطاء التفكير إلى أعراض مرضية التربية التي تعتمد على التمركز حول الذات والعجز عن فهم الآخر والتعاطف معه، وما يترتب على ذلك من ريبة وشك وسوء تفسير كل موقف يتفاعل فيه الفرد مع الآخرين.

والمتتبع للمنهج الإلهي، في التعامل مع الكينونة الإنسانية، يلحظ عظم الرحمة الإلهية المتنزلة بالرسالة المحمدية، وما تضمنت من مبادئ نفسية خالدة، تسهم في تحقيق الأمن النفسي؛ وفي مقدمتها التوحيد، حيث يوحد مشاعر الفرد ولا يشتتها، فالإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد؛ يجعل المسلم يوجه له أعماله وغاياته، ويبث له همومه، ويستعين به، فلا يسأل إلا الله، ولا يستعين الا بالله تعالى، فينال بصدق التوحيد، حفظ الله ورحماته، فكما جاء في الحديث الشريف أحفظ الله يحفظك، إذا سألت فأسال الله؛ وإذا استعنت فأستعن



بالله، فيشعر المؤمن أن رزقه وحياته محفوظة، ولا يملك أحد أن يضره أو يحبس رزقه أو يفقده عمره، فكل شيء بمقدار عند الله عز شأنه وجلاله، فيكون قلب المؤمن نقياً صافياً شفافاً من أي ارتباط بأي جهة أرضيه، وان المنظومة الإنسانية التي تحيط به ومنظومة الكون ومضمون الحياة، قد تبرمج لديه في ضوء المنهج الإلهي؛ فيكون تعامله كله، بحسب المنهج الإلهي الذي وضحه القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلا يتجاوزه، ولا يحكم بحكم ورد فيه، لأنه محل الالتزام والتسليم؛ فتكون نواياه كلها موجهة لله، ويعلم أن الهم والحزن والشدائد لا يدفعها إلا الله، فيأخذ بالأسباب، ويستعين بالله تعالى؛ فيمتلأ قلبه أمنا وسكينة، وسعادة إيمانية لا تعدلها سعادة، فيكون بالتزامه بأوامر الله تعالى، في ارتقاء لمفهومه لذاته، ومحفوظ من أخطاء التفكير والتعميم، لأنه يتعلمها من خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.



إحساس المرء بمشاعره

هناك من الناس مَن تسأله عن أحاسيسه ومشاعره يجيبك إجابة لا تنطوي على معنى دقيق عما يحس به حقاً، فكأن يقول لك مثلاً إنه (رائع) أو يرد عليك بأنه (متقزز).

وكل من الإجابتين لا تعنيان شيئاً؛ وهما من الغموض كما في قولهم (الصين تقع في الشرق)؛ إن صلة هذا النوع من البشر بمشاعرهم هي من البعد كبعد خطوط الهاتف النائية؛ فهم لا يشعرون مباشرة، ولكنهم فقط يعبرون عن أفكار حول مشاعرهم؛ انهم ليسوا متأثرين بمؤثراتهم الحقة؛ إن انفعالاتهم لم تحرك فيهم ساكناً، شأنهم في ذلك شأن (الرجال الخاوين) الذين وصفهم اليوت بأنهم:مظهر ولا مخبر، وشكل ولا رونق طاقة مشلولة، حركة بلا حراك معلولة.

(www.balagh.com)

وفي العلاج النفسي حين يتضح لمثل هؤلاء الأشخاص انهم غير متحققين من طبيعة مشاعرهم، فإنه يتعين عليهم أن يدربوا أنفسهم على الإجابة على أسئلة يطرحونها على أنفسهم مثل: كيف أشعر وأنا الآن في هذا الوقت بالذات؟ أسئلة فيها تمرين لاختبار حقيقة الأحاسيس في لحظة محددة وفي موقف معين، وحقيق بنا نحن البشر أن نميز بوضوح الفرق بين نزعة عاطفية جارفة تفلت من زمام العقل وبين عاطفة توطد وشائج الصلة وتوثق العلاقات الإنسانية، وعلينا أن نفرّق بين حالة انفعالية عارمة وبين موقف وجداني للتبصر فيه شأن؛ المهم في الأمر هو حسن التجربة وطبيعة الخبرة التي أعيها (أنا) الذي أقوم بعملية الشعور وأمر بها؛ ففي حالة الموقف الوجداني الذي يتفاعل معه المرء بعقلانية، فإنه يشعر بحيوية متدفقة متسامية؛ وعندئذ فبدلاً من أن تكون مشاعر المرء محدودة متقطعة أشبه بنوتات البوق، تصبح رقراقة متواصلة رقيقة حساسة مثلها مثل مقطوعات الموسيقى في السيمفونية المتكاملة.

وهذا يعني كذلك بأننا بحاجة إلى أن نستعيد وعينا بأجسادنا وأهميتها والاهتمام بها، فالطفل مثلاً، إنما يكتسب جزءً من إحساسه بكيانه الشخصي الذاتي عن طريق وعيه بأبعاد



جسمه وإدراكه إياها، فكلما كان الشخص على وعي بذاته أكثر كانت دفقة حيويته أوفر، وكلما كان الشخص أكثر تكاملاً وأفضل انسجاماً مع ذاته، كانت انفعالاته أقل اتساماً بالقهرية، إذ أن مشاعر الشخص الناضج ورغباته إنما تحدث بشكل منتظم متكامل، وكما قال كيركجارد (الشعور الأوفر تتولد عنه ذات أكبر) انه الوعي المتسامق الذي يجعل الشخص شخصاً حقاً.

(www.balagh.com)



الإدراك الحسي والإدراك الفكري

تتشكل إشكاليات متعددة، من حيث عدم التفريق بينهما، وتتوقف على التفريق فهم إشكاليات عديدة في الحياة، وهما نمطان من التفكير، يتطور عن أحدهما، وهو الإدراك الفكري، كما أشار الخولي (١٩٨٤)، تفكير اسماه العقل العاطفي، الذي يصبغ الفكرة بالحماسة "فالعقل العاطفي هو الذي يفتح آفاق النفس، ويصل بها إلى قرار الفطرة، ويمكن لها في حبات القلوب، ويسرُّ بها إلى الأعصاب يقظة وعزيمة، ويشيعها في الدماء نشاطاً وحيوية، فيصبغ بها صاحبها بصبغتها من جميع أقطاره الظاهرة والباطنة، فتبدو ألوانها في أعماله، وأقواله، وأفكاره، ونياته، واتجاهاته، وعواطفه، وأهوائه.

وفي مساحات الفكر الإسلامي، فإن للإنسان ضربان من الإدراك ضرب حسي تؤديه الحواس بمعونة العقل، فيتم لنا ادارك الكائنات الحسية المحيطة بنا في السموات والأرض، ويسمى الإدراك الحسي، والضرب الأخر تؤديه خاصية عقلية تسمى الفكر وهي التي تدرك دلالة الكائنات على الله.

فالإدراك الحسي خاص بإدراك الجانب المادي من الكون، والإدراك الفكري خاص بإدراك الجانب المعنوي الممثل في دلالة الكائنات على صفات الله تعالى، صفات القدرة والعلم والحكمة والرحمة والكرم والود إلى ما له تعالى من صفات، فإذا سلم للمرء هذان الإدراكان امتلأ وعيه بمنطق المحسات وبمنطق المعنويات كليهما، ومن هنا فإن منطق المحسات يتكون بمعرفة الكائنات وعناصرها وخصائصها وقوانينها وكيفية تناولها وتنظيم دنيانا ومعاشنا، أما منطق دلالة الكائنات على الله، فالكائنات هي آثار صفاته تعالى، فإذا أبصر الكون تلك الآثار فإنه لا يبصر جرماً ولا لوناً ولا نحوهما؛ إنما يبصر الطابع المعنوي الذي يستشعر به القلب وجدان صفة العظمة ومعناها، ووجدان صفة قدرته تعالى ومعناها، ووجدان صفة الرحمة ومعناها، ووجدانات ومعاني صفات البر، والود والكرم، والخير، والإحسان، إلى ما له تعالى عزَّ شأنه وجلاله من صفات، فيقوم القلب كيانٌ من المعنويات التي تمثل آثار الصفات القدسية مع كل صفة الوجدان الشريف الذي يناسبها، وهذا الكيان

الجليل أو هذه البناء المعنوي هو لب معرفتنا لله تعالى، وهو الذي نسميه الأيمان (الخولي، ١٩٨٤، ١٦).

ومن هنا وجب أن يسيطر الوجدان الفكري بكل حقائقه العلوية ووجداناته، وخصائصه الإلهية على منطق الحسات ويغدو الإدراك الحسي منقاداً متوجهاً بكل إمكاناته إلى الغايات والمقاصد التي يرسمها له منطق المعنويات، غايات الحق ومقاصد الخير والعدل، وهذا هو النمط الأمثل لصلة الإنسان بالكون وبالله وهو مقتضى الإيمان بالله تعالى، وإذا انفرد الإدراك الحسي بالعمل والنشاط، وتخلف أو توقف الإدراك الفكري لسبب من الأسباب فلم يعد يبصر الدلالات المعنوية، فإنه لا يبقى في وعيه إلا منطق الحسات المادية الذي ننظم به دنيانا، وبذلك تنسلخ وصاية المنطق الفكري عن الإدراك الحسي، فلا يكون له من رائد أو موجه يرتاد له الغايات والمقاصد إلا أهواء الحس ورغباته الطائشة (الخولي، ١٩٨٤، ١٧).

ومن هنا فإن هناك نوعين من المنطق؛ منطق الإدراك الحسي ومنطق الإدراك المعنوي العاطفي، والمنطق الأول هو المنطق الطبيعي والرياضي، فهو يتلقى الفكرة بجمود وركود وحدية، أما المنطق المعنوي العاطفي، فإن يسيغ على الفكرة قناعاته بحرارة وحركة وشوق وقبول ايجابي، وهذه ما تحتاجه الرسالات السماوية، ومن هنا فالعقل العاطفي هو الذي يفتح أفاق النفس، ويصل بها إلى قرار الفطرة، ويمكن لها في حبات القلوب، ويسرٌ بها إلى الأعصاب يقظة وعزيمة، ويشيعها في الدماء نشاطاً وحيوية، فيصبغ بها صاحبها بصبغتها من جميع أقطاره الظاهرة والباطنة، فتبدو ألوانها في أعماله، وأقواله، وأفكاره، ونياته، واتجاهاته، وعواطفه، وأهوائه، فإذا هي قد ملكته ولايملكها، وسخرته لمشيئتها ولا يسخرها، فيحيى لها منفعلاً بخواطرها، غيوراً على حرمتها، مجاهداً لإعلاء كلمتها، باذلاً في سبيلها ماله، وراحته، ووقته، ومواهبه، ودمه ونفسه، سعيداً بذلك غاية السعادة، وراضياً تمام الرضى، وهذه هو الفهم المعروف لدى علماء التوحيد، بأنه التصديق القلبي، ولا يمكن للعقل المنطقي أن يؤتي من جنس ثمار التصديق القلبي، فالمسألة على هذا ليست مسألة الذهن الذي يفهم أو لا يفهم، والعقل الذي يصدق أو يصدق، إنما هي مسألة القلب الذي يرضى ما يقال أو يجحده ويبش له أو يرفضه (الخولي، ١٩٨٤، ١٩).



وفي ضوء ذلك يمكن تحديد ماهية الفرق بين استخدام البشر لعقولهم، واستثمارهم لها، فهناك نمط يبقى في حدود الحسات ولغتها المادية، فتسيطر على حياته، وتعجزه عن فهم الماهيات وأعماق الحياة، ويبقى على حدود ظواهرها في المادة والسلوك والمصير.

وهنا من يقوده عقله، لتفعيل التفكير، والتفكير في التفكير، فيغدو للأشياء معنى ودلالات لديه، ولكن هنا يبرز مفصل خطير، في حياة هؤلاء، فإما أن يخوضوا كما أشار الأمام الغزالي في كتابه الأحياء، في التجريد والتنظير والتفاصيل، وتسرق أعمارهم، دون أن تنطلق إلى عوامل التطبيق، والمعنى الحقيقي للحياة، فتسرقه النظريات والتجريدات وتفاصيل التفاصيل، عن رؤية لوحة الحياة بإطارها الكلي الجميل، حيث انعكاسات أسماء الله تعالى وصفاته العلى عليها، في الإبداع والصنعة والجمال والتدبير والتصريف، وبالتالي تشغله عن مصيره الأخروي، والاستثمار في أرصدته من العمل الصالح والذكر الطيب الحسن في الدعوة والإصلاح وخدمة الخلق، في ظلال رسالة التوحيد الخالدة.

وهناك من يرتقي في عقله لمساحات اصطباغ قناعاته العقلية بالحماسة والعاطفة، فتغدو الفكرة العاقلة، حراكا نشطا جديا مثابراً في الحياة، فنرى أفكاره أعمال حية في الحياة، لها وقعها ومساحاتها في التطبيق العملي، فتتحول الفكرة، من إطارها التنظيري التفصيلي، إلى حماسة وعاطفة ودافع نشط، تصطبغ في حياة الفرد، فيكون لبنة في الإصلاح والتطوير والعمل النشط والحراك الهادف، وأسمى تلك الأنماط من الحراك النشط، تلك التي تكون في ضوء عمارة الكون المادية والمعنوية، في ظل استشعار تكريم الإنسان في الأرض، وانه خليفة الله في الأرض، لعمارة الكون، وبناء الحضارة التي تتسم بالقوة والعدل والصدقية، ونشر رسالة التوحيد والأيمان في الأرض.



واقع الحياة العملية

واقـع الحـياة العملية هو تاريخها الجاري، الذي سيصير يوماً ما تاريخها الماضي، فهو أيـضاً مـستودع صـوابها وخطـئها وضـلالها وهداها، وما ترى من عواقب الهدى والضلال، والخطأ والصواب.

وهـو يمـتاز عن التاريخ الماضي بأنه يتولى عرض الحياة نفسها أمامك على صفحات الوجـود، لا صـفحات الكـتب عرضـاً عملـياً حياً يتعرض به نظرك وسمعك ومشاعرك، لا يجمـل في ناحـية، ويفـصل في ناحية أخرى، بل يقفك أمام حوداث فردية أو اجتماعية، تتبين فـيها مبلغ اختلال قوانين المجتمع أو سلامتها، قوانينه الاجتماعية أو الاقتصادية، ويقفك أمام نمـاذج من الصلاح تمثل الجد والصدق والهمة في ابتغاء وجه الله في كل قول أو عمل أو أمام لصوص ذهبوا في الناس بسمات الرفعة والفخر،- فأنت تقرأ وترى كل يوم، وفي كل طريق، وفي كـل صـحيفة، وفي كـل بـيت، وفي كـل محكمـة، وفي كـل دار مـن دور اللهـو البرئ أو العابث– ذلك كله في ثوبه العملي الأخاذ.

ومن هنا فعلى الداعية أن يواجه الواقع العملي، حيث يصلح بسنة الله تعالى ما شذا عـن سـنته تعـالى، في بساطة دونما تعقيد، ويعرض قدرته تعالى من خلال آيات الله المبثوثة في الكـون بعـيد عن التفلسف والتعقيد، فلسنا بحاجة لكي نتحدث عن الحياة والموت، إلى تناول فلـسفي معقد لذلك، يكفينا أن نسوق ما نراه من مواليد ووفيات، وتطور بين الميلاد والوفاة، فالتـصوير الواقعـي بعيد عن التشدق الفلسفي، هو ايسر فهماً، فضلاً على أن طاقاتنا العقلية لا تتـسع لاكثـر مـن ذلـك، إذ لا يتعلق النفع المادي والروحي فيما وراء ذلك، أي التصوير الحـي الواقعـي، ومـن هـنا جمـيل بـنا أن نقـرأ كتاب الحياة كما هو، دون لغة فلسفية معقدة، ونـتعلم أسـرار الحـياة بلغة تصويرية مبسطة، فكل أعمال الإنسان في الحياة ما هي إلا تفسير لقواه ودافعيته وغرائزه المستترة فيه.

فعلـيك بمـا فقهـت مـن كنه الحياة وبنود منهجك الإلهي ودعوتك السامية وارهفت مشاعرك بها، أن تتأمل ذلك الضرب من التاريخ القيم، وتتفهم دوافعه ومراميه، وتحلل علله



ونتائجه، وان تصنفه أصنافاً بعد دراسته وإبداء الرأي فيه على ضوء فكرتك، وليكن لك سجلك تجمع فيه مختاراتك من الحياة، وسترى بعد ذلك أن إيراد بعض ما تجمع من الأمثلة يجعل كلاماً حاراً قيماً فعالاً جياشاً في نفوس سامعيك.

ومن هنا تبرمج كلامك، وسلوكك الحياتي في ضوء مفرداتك المختارة في الحياة، وبالأخص ما دونته في ضوء قوانين حتمية في الحياة، لا تتخلل، ولا تختلف من زمان إلى أخر، واسرد منها الأتي:

- ☒ إذا رخص اللحم البشري، غلى لحم الضأن، وإذا قل ماء الحياء قل ماء السماء.
- ☒ القلوب قلب موصول بالله وقلب معرض عن الله.
- ☒ مثل الذي يذكر الله تعالى والذي لا يذكره كمثل الحي والميت.
- ☒ قال علي بن أبي طالب ﷺ "مات خزان المال، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأعمالهم مشهودة".
- ☒ عطاء الدنيا محدود، والآخرة عالم اللامحدود.
- ☒ الأيمان رد فعل معرفة العبد بربه تعالى، والشكر رد فعل إحسانه تعالى على العبد.
- ☒ الابن الصالح امتداد لعمل الأب الصالح في الدنيا.
- ☒ إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها.
- ☒ المحنة يتبعها منحة والشدة يتبعها شدةٌ إلى الله تعالى.
- ☒ لولا الدليل لقال من شاء ما شاء يقول.
- ☒ لاعب ابنك سبعاً وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً ثم اتركه على غاربه.
- ☒ ابخل الناس من يبخل بالسلام، واعجز الناس من عجز عن الدعاء.
- ☒ السلام اسم الله وضعه الله في الأرض فأفشوه بينكم.
- ☒ أشر الناس من اتقاه الناس لشره.
- ☒ من تضعضع (تمسكن وتذلل) لغني فقد ذهب ثلث دينه.
- ☒ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين.
- ☒ من أعان ظالما سلطه الله عليه.



- لزوال الكون أهون على الله تعالى من أن يضيع عبده المؤمن.
- دينك دينك انه لحمك ودمك/ مقولة مشهورة لأبن عمر ﷺ.
- من تعجل الشيء قبل أوانه عوقت بزواله.
- من سمات الكافر دوماً التسخط على أمره تعالى.
- من استعز بالعبيد أذله الله تعالى.
- من اخذ من الدنيا فوق حاجته؛ فقد اخذ من حتفه.
- من دخل السوق ودرهمه احب إليه من درهم غيره، فأعلم انه حريصٌ على الدنيا ومحب لها.
- إذا فشت المداهنة في خياركم، والفاحشة في شراركم، وتحول الملك إلى صغاركم، والفقه في اراذلكم، عند ذلك يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- اخطر شئ في الحياة الفراغ، واكبر مشكلة يعاني منها العالم البطالة.
- ما أعطى أحد شيئاً خير من الصبر.
- من يستعفف يعفه الله تعالى، ومن يستغني يغنيه الله تعالى.
- اعبد الله حيث أقامك، ابناً باراً، زوجة مطيعة، مديراً مسؤولا، عاملاً في مصنع .. الخ.
- اخطر مرض اجتماعي هو الشح (البخل).
- اندم الناس من يدخل الناس الجنة بماله، ويدخل النار به، ومن يدخل الناس الجنة بعلمه، ويدخل به النار.
- الابن سر أبيه.
- الأقوياء يملكون رقاب الناس، والأنبياء يملكون قلوب الناس.
- من توكل على العباد وترك التوجه بالكلية إلى الله عزٌ شأنه وجلاله، ناله الشدة والمحنة والرزية والأقصاء من رحمة الله وعنايته.
- قوتك بمقدار حريتك في ضوء منهجه تعالى وعدم تبعتك للآخر.
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.



- معظم أحاديث الناس فيما لايعنيهم.
- اعمل ما بوسعك، والله يعينك فيما عجزت عنه في امر الخير والدعوة.
- اعمل جدولاً بشأن الأولويات وما يعنيك.
- من الوقاحة بمكان الأعتراض على اقدار الله تعالى عزّ شأنه وجلاله.
- افات اللسان من غيبة ونميمة وغيرها، تحجب المرء عن الله.
- كل كلام ابن ادم عليه؛ الا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عزّ وجل.
- من اثر اخرته على دنياه احب لقاء الله تعالى.
- من الحكمة ان ما تتعلمه تأخذه اخذ الناقد الممحص حتى تستبين الحق.
- في زمن الفتن لا ترى الرشد، في الأحداث، وتتأخر الحكمة عنك، وتختلط الأمور.
- يقال ان الابتلاءات لا يسبقها نذير، وليس لها مقدمات، بل هي محض مفاجآت غير سارة، ومن هنا تأخذ من مغزى البلاء فيها.
- حب الدنيا رأس كل خطيئة، فالدنيا محض رجس، إلا من عمرها برصيد لا محدود من عمل الآخرة.
- تنظيم الأمر مفتاح صناعة المستقبل.
- من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب إلى فقده، ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه.
- وطن نفسك على إن الله لا يفعل بك إلا ما فيه صلاحك.
- سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله للإنسان، وطبيعة الأنسان مشغوفة بسماع تخويف الشيطان واساءة الظن، إلا ما رحم ربي.
- من ترك شيئاً لله تعالى عوضه الله خيراً منه.
- هناك ارتباط متسق بين مؤشر الأيمان في قلب المؤمن ومؤشر الثقة بالله تعالى.
- إذا كان الله معك فمن عليك.
- لسنا بحاجة إلى دليل على وجود الله، بل نحن بحاجة إلى دليل يوصلنا إلى الله.
- سأل رجل عالما متى كان الله، فأجابه ومتى لم يكن.



- مـن لـوازم القلب السليم؛ خلوه من الشبهة، والشهوة، والإرادة التي تمنع الإخلاص، و الملابسة لتفسير أو عقيدة أو فلسفة تعارض الشريعة.
- لا يـوجد ظلـم اعظـم مـن اقتحام الحلال، والتعدي منه إلى الحرام، حيث لم يسعه ما احل الله تعالى له.
- انظر في نفسك قبل أن تقدم على أمر، فإن رأيت في نفسك قوة على ذلك، اقدم وإلا احجم.
- مـن ثمـار الحكمـة انك تستبين طريق الخير، فترغب فيه، وتستبين طريق الشر فتحذر مـنه، ومـن هـنا فـإن السنة النبوية من الحكمة، وقيل أن الحكمة هي أسرار الشريعة، والقرآن الكريم منه الحكم والحكمة.
- يقـوم الملـك علـى دعامـتين كـبيرتين أصـيلتين هـم: القـوة والعلم، فالقوة تجمع قوة الأبـدان وكـثافة الجـنود المـدربين ووفـرة الأسلحة والآلات، والعلم هو نور العقول والقلـوب، والوسـيلة إلى معـرفة قـوانين الوجـود وسـنن الطبيعة لتـسخير مـا يمكن تـسخيره مـنها في منافع الدولة، ومن العلم النافع العلم بالله عز وجل والعلم بدلالة أمـره تعـالى، والعلـم بالخلـق، والقوة– في الجيش- تكون بكثرة العدد والنظام وتعدد الأجناس فيه (الفرق والكتائب من حيث النوعية) لأن في ذلك انعكاس على العدو؛ من خلال القاء الرعب في نفسه.
- العبادة أرقى علاقة بين العبد وخالقه.
- عدم الخوف من خطر محدق مادياً كالنار، يدل على عدم الإدراك، لأن الإنسان يخاف على قدر علمه بما يخاف منه
- كلما ازددت معرفة ازددت خشية، ومن هنا فإنما يخشى الله من عباده العلماء
- يـد الله المـبدعة القـادرة تعمـل في كل شيء في حياتك وحياة الآخرين وحراك الكون وسكونه.
- لا تعزل الأشياء في الكون عن التوحيد.
- حبك للشيء يحييك أو يميتك.

- كل من اعتمد على جهة غير الله تعالى، خذله الله تعالى، وخاب ظنه في هذه الجهة.
- ما تعلمت العبيد افضل من التوحيد.
- ما كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة.
- ما كان الرفق في شئ إلا زانه، وما نزع من شئ إلا شانه.
- الملائكة تتأذى مما يتأذى منه البشر.
- من علامات المنافقين انهم مفسدون في الأرض، لذلك فهم مقطعون عن رحمته تعالى.
- الحق لا يخشى البحث، ولا يستحيا منه، ولا يحتاج أن تكذب له، أو يكذب عليه، او إن تضخمه، فهو اجل واعظم من ذلك.
- انصر أخاك ظالما أو مظلوما، وتنصره ظالما، بأن تأخذ على يده.
- إذا أردت أن يكون مستقبل متمايز عن حاضرك، فأعتني بأولادك.
- إياك أن تسقط من عين الله تعالى.
- من لا يرحم لا يُرحم.
- من نشأ على الرحمة كان رحيماً.
- إياك أن تقف موقفاً، ولا تخرج منه بصيد في طريق الدعوة، فكن صياداً ماهراً، واخرج شبكتك، وانقل ما يخرج إليك، إلى محيط أخر هو محيط الدعوة إلى الله تعالى.
- قال الشافعي: العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل.
- طلب المباهاة تسقط الدين من القلب.
- القرآن خبر صادق وامر عادل.
- الاعتراف سيد الأدلة.
- الدنيا ساعة فأجعلها طاعة.
- سن الأربعين هو النذير، ومن بلغ الأربعين دخل أسواق الآخرة.
- كل متوقع اتٍ وكل اتٍ قريب.
- العلم دين فأنظر عمن تأخذ.
- الأنس بالله والخوف منه والشوق إليه من آثار محبة الله تعالى.



- إذا غلب عليك التطلع من وراء الحجب إلى منتهى الجمال، واستشعر قصوره عن الإطلاع على كنه الجلال، انبعث القلب إلى الطلب، وانزعج له وهاج إليه، وتسمى هذه الحالة من الانزعاج شوقاً.
- إذا غلب عليه الفرح بالقرب، ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف، وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد، استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً.، فالأنس معناه استبشار القلب فرحه بمطالعة الجمال.
- إن كان نظره على صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد، تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً.
- الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره، فيخرج من القلب عذوبة ما سواه.
- قيل لرابعة، بما نلت هذه المنزلة قالت: بتركي ما لا يعنيني وانسي بما لم يزل.
- لا يذوق حلاوة الأنس بالله إلا من صفا وده وخلصت معاملته، ولا يصفو وده إلا إذا صار الهم هماً واحداً في الطاعة.
- خالط الناس بالبدن، والقلب منفرد مع الله تعالى.
- يقول الأمام علي بن أبي طالب ﷺ في وصف أهل الأنس بالله "هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، باشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعر المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه.
- جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات.
- إن الأنس إذا دام ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب، فإنه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى.
- اكثر أسرار القرآن في طي القصص والأخبار، ولا يعرف القرآن إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر، فكن حريصاً على استنباط تلك الأسرار القرآنية



في طـي القـصص والأخبار، ويكن لك من العجائب ما تستحقر فيه العلوم المزخرفة الخارجة عنه.

- الرضا بقضاء الله تعالى هو ثمرة من ثمار المحبة لله تعالى، وليس من الرضا ترك الدعاء والسكوت عن المعاصي.
- منتهى الإحسان هو رضا الله تعالى على عبده، وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى.
- رضـا الله عن عبده هو ثمرة رضا العبد عن ربه، ورضا العبد عن ربه، يكون بالشكر علـى النعم والصبر على البلاء وعدم التسخط، فعلامة الأيمان هي الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء.
- التدبر يقع في التفكر في خلقه تعالى وأفعاله تعالى وتدبر آياته الكونية.
- إذا أثرت الآخرة على الدنيا ربحتهما معاً.
- الإفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته.
- إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.
- كـل إنـسان بعـيد عن الله تعالى، يناله الخوف والتشتت والشدة النفسية والقلق ويربو فيه النفاق والآلام النفسية المتنوعة.
- من عرف الله عرف عظمته.
- فـرق بـين الـسلوك التعـبدي بيـنة العـبادة والسلوك المدني الذكي لغاية حفظ المكانة الاجتماعية، أو مصلحة شخصية.
- الكبر يجر صاحبه إلى النار.
- إن رفعت نفسك وتعاظمت بها، وضعك الله، وان تواضعت واعتمت الأضواء على ذاتك، رفعك الله.
- الإنسان بين حالين لا ثالث لهما هما؛ التأييد والتخلي.
- من اتكل على نفسه أوكله الله إياها وخذلته، ومن اتكل على الله تعالى، كفاه الله كل مؤونته.
- إذا قلت أناً نالك التخلي الإلهي، وان قلت يا رب، ساندتك المعونة الإلهية.



- إياك أن تدخل مدخلا طيبا وتخرج منه خبيثاً.
- من لوازم الأيمان الطمأنينة، التي لو وزعت على أهل بلد لكفتهم.
- طوبى لمن تواضع في غير منقصة.
- ذل المؤمن لأخيه هو عطفه وشفقته ورحمته به.
- إن احبكم الي احاسنكم أخلاقاً، وخيركم خيركم لأهله.
- يمقت الله المتشدقون والثرثارون والمتكبرون.
- الكبر بطر الحق وغمط الناس.
- المؤمن يتنكر لذاته وينتصر لدينه.
- مصاب الناس هو في تعاظم ذواتهم، والتنصل من القيم والمبادئ السامية.
- لا يمكن أن تنال العزة بغير الإسلام.
- العدل حسنٌ ولكن في الأمراء احسن، والورع حسن ولكن في العلماء احسن، والسخاء حسن ولكن في الأغنياء احسن، والصبر حسن ولكن في الفقراء احسن، والتوبة حسنة ولكن في الشباب احسن، والحياء حسن ولكن في النساء احسن.
- لا يعرف الشوق إلا من كابدة ولا يعرف الصبابة إلا من يعانيها.
- كفى خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب.
- من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.
- من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.
- يئس الشيطان أن يعبد من دون الله، ولكن رضي التحريش بين المؤمنين، وبالأخص بين الأزواج والشركاء.
- إفشاء السلام يزيد المبحة بين الناس.
- البشارة هي كل خير واندفاع كل ضير.
- مشكلة الإنسان انه كثير المراء والجدل وسريع الامتعاض والعصيان، لا يسلم زمامه إلا لهواه، ومن هنا فإن مهمة الداعية شاقة.
- الجدل يولد النفاق حيث يتودد باللسان، وهو يمقته في قلبه، حتى يكسب جمهوره.



- إذا تعلم الناس العلم، وتركوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله تعالى واصمهم وأعمى أبصارهم.
- إذا تزاحمت المصالح اخذ بأهمها.
- اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه.
- العلماء ثلاثة مهلك نفسه وغيره وهم المتعرضون للدنيا والمتفانون فيها، ومسعد لنفسه ولغيره في دعوته لله تعالى ظاهراً وباطناً، ومهلك نفسه ومسعد غيره وهو يدعو إلى الله، ولكن باطنه مشغول بذاته وقبول الخلق له واقامة الجاه.
- لا يقبل الله تعالى إلا العمل الخالص لوجهه تعالى.
- رؤية المؤمن تذكر بالله تعالى.
- ضع نفسك في الظل، واذكر الله، يرفعك الله تعالى.
- ليس هناك من أنكر ذاته مثل رسول الله ﷺ، وليس هناك من رفع الله ذكره مثل رسول الله ﷺ.
- كلما مرغت جبهتك ذلا وانكساراً وخضوعاً لله تعالى، أعزك الله.
- اجعل كل خبراتك وكفاءتك ولسانك الطلق وقلمك السيال وإمكانياتك لله تعالى.
- الطرائق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلق.
- المنافق يهرع عند المغانم، ويهرب عند المغارم.
- لا يندم المؤمن في الجنة إلا على ساعة مضت ولم يذكر الله تعالى فيها.
- الطعام الذي فيه تكلف يقسي القلب، ولذلك لا تتكلف للضيف وقدم الموجود، فكما قيل نحن قوم لا نبخل بالموجود ولا نتكلف المفقود.
- احب الخلق انفعهم لعياله.
- تعلم العلم للعمل لا للسماع.
- لا يعطيك العلم بعضه إلا أعطيته كله وإذا أعطيته بعضه لم يعطه شيئاً.
- الطاعة سبب لدخول الجنة .



- إذا أخلصت لله تعالى، نالك من الطاقات والأساليب التي تبهرك ولا تخطر على بالك ولم تجري على لسانك.
- لست بالخب ولا الخب يخدعني، بمعنى لا تكون من الخبث بحيث تخدع الآخرين، ولا تكون من السذاجة بحيث تكون عرضة للخداع.
- يرفع الله الذين اوتو العلم درجات.
- تعلم وعلم.
- من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز.
- الحق واحد لا يتعدد.
- كاد الحليم أن يكون نبياً.
- اللذات المحرمة تنقضي، وتبقى منغصاتها وعقوبتها.
- قيمة الكتاب من قيمة كاتبه.
- فضل كلام الله تعالى على كلام خلقه، كفضله تعالى على خلقه.
- كلمة 'الله' لا تعرف معناها إلا إذا تفكرت في خلق الله تعالى، كلمة 'الله' تثير كل خبراتك مع الله تعالى.
- حجم تقديرك لمعلمك يساوي حجم خبراتك معه.
- ثمن الإخلاص أن ترزق الصواب.
- اللهو هو ما سوى الله تعالى.
- الكون أوسع باب تدخله إلى الله تعالى، واقصر طريق تصل به إلى الله تعالى.
- الله يحتاجه كل شئ في كل شئ.
- كل شئ وقع أراده الله تعالى، وكل شئ أراده الله تعالى وقع، وارادته تعالى متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته تعالى المطلقة متعلقة بالخير المطلق.
- إذا أخلصت لله تعالى، ألهمت الصواب، في أي حال كنت عليه.
- ليس في الإمكان ابدع مما كان.
- اعمل لجهة واحدة هي طرق باب الله ورحمته، يكفيك الله كل الجهات الأرضية.



- من جعل الهموم هماً واحداً، هو طاعته تعالى، كفاه الله همة من حيث لا يحتسب.
- الإخلاص عمل لا يطلع عليه أحد.
- إذا رافق الإخلاص العمل قبل العمل قليله وكثيرة، وعمل بلا إخلاص لا يقبل كثيره ولا قليله.
- اجعل عزك بالله يستقر ويثبت، وإذا اعتززت بمن يموت، فعزك ميت.
- شعورك انك بحاجة إلى شخص أخر، من الأدميين، دون الله تعالى، شعور مدمر.
- الإخلاص لا يختلف في السر والجلوة.
- من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به .
- التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك وان لا يفتقدك حيث أمرك.
- إذا تحقق التوكل والتقوى في حياة المسلم، اكتفى بهما في مصالح الدين والدنيا.
- اجمل سعادة هي الرضى بما قسم الله تعالى وعدم التسخط بها.
- التوكل هو صدق الانتماء على الله تعالى.
- الغاية القصوى من الأيمان هو التوكل الصادق على الله تعالى.
- تصفيد الشياطين يقصد به انه إذا استقمت على نهج الله تعالى، فلا يقوى الشيطان على الوصول إليك.
- العدل أساس الملك.
- الناس لا يحترمون المؤمن، إلا المتفوقين في أعمالهم.
- الكيس هو من عمل لما بعد الموت.
- إن الله يلوم على العجز.
- الرضا بالمكروه هو ارفع درجات اليقين بالله تعالى.
- ليس بين المرأة الصالحة والجنة إلا الموت.
- يقول الشافعي رحمه الله: لئن ارتزق بالرقص اهون علي من أن ارتزق بالدين.



- هناك ثلاث أباء، الأول من ينجبك وتنتهي مهمته عندما تموت، وأب يزوجك، وهذا تنتهـي مهمته عند فراق زوجتك، وأب يدلك على الله، وهذا الخير من هذه الجهة لا ينتهي، فهو باق ابد الآبدين.
- الله يمنعك من زيد وعمرو، ولن يمنعك زيد وعمرو من الله تعالى.
- من اخذ أموال الناس يريد إتلافها، اتلفه الله تعالى.
- لا ترتكب المعصية إلا بسبب الجهل.
- الله يؤدب العباد بعبدٍ واحد.
- علموا ولا تعنفوا، فالمعلم خير من المعنف.
- يـا داود ذكـر عبادي بإحساني إليهم، فإن القلوب جبلت على حب من احسن إليها، وبغض من أساء إليها.
- التحـصين الداخلي أهم من المنع الخارجي، لأن المنع الخارجي ربما يعرض هذا الفرد للإغـراءات والـضغوطات فينحـرف، أما التحصين الداخلي فهو يعتمد على التعليم والتوعـية والتربـية الـصادقة العمـيقة في مـتابعة وتوجـيه، أمـا المنع الخارجي فيحمل معانـي القمـع، الـتي ربمـا تـؤدي إلى انحـرافات كبيرة، أما التحصين الداخلي بالعلم، فيمكن المرء من مواجهة المغريات وتجاوز العقبات برغبة جادة، وقناعات تامة.
- يقـول الأمـام علـي بن أبي طالب ﷺ العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك والمال تحرسه، والمال ينقص من الصدقة، والعلم يزيد في النفقة.
- نعمة الأمن لا تعدلها نعمة.



الخاتمة

الدنيا تمضي بزخرفها، وأحزانها، والامها، وصراعاتها، وتحزباتها، وتكتلاتها، ومللها، ونحلها، وفرقها وطوائفها وحروبها، فهي نظام قائم على ذلك كله، لأنها دار بلوى ومحنة وشدة ورزية، والكيس الفطن، العاقل المفكر، يدرك أنها ممر ومعبر لا مقر ومستقر، ودار ترح لا دار فرح، وهي محض تكليف لا تشريف، ومنظومة من الأبتلاءات، ليعلم ماذا نعمل فيها، فهل أنت ممن حرك الزمن والكون والحياة والإنسان في خدمة رسالتك الكبرى في الحياة، إلا وهي عبادة الله تعالى، أما أنت الذي تركت الزمن والمكان والمادة والخلائق يحركونك كيفما شاءوا، ويملأوا عقلك كيفما أرادت أهواءهم، فكنت امعة لهم، وحجر شطرنج بأيديهم، وفرق كبير بين هذه النموذجين، بين أن تكون حراً قوياً أو مستلباً ضعيفاً، بين أن تكون عزيزاً موحداً لله تعالى، وبين أن تكون ذليلاً مشتتاً تتقاسمك الجهات الأرضية في الأمر والنهي، فتتقطع بك أسباب السماء، وتهوي الأرض تحت قدميك، وتكون عرضة للخذلان.

فالمرء بين حالين لا ثالث لهما، إما التأييد الإلهي أو التخلي الإلهي، أما أن تكون سالكاً مجداً مجتهداً في طريق السالكين إلى الله تعالى، وأما أن يعالجك الله تعالى بالمصائب والأبتلاءات، فتعود عن غيك، إلى الهدى والرشاد.

وهكذا فأنت إما تقودك طواعية لطائف الإحسان، أو تأبي نفسك إلا أن تقودك المصائب والأبتلاءات إلى الله تعالى، فهناك من يشحن ذاته بالأيمان ذاتياً، وهناك من يحتاج إلى شدة ومحنة حتى تشده بقوة إلى الله تعالى، فتكون المصيبة والبلاء شحناً له، والعاقل الفطن، يسلك الطريق إلى الله تعالى طواعية وبحب، دون أن يحوجه ذلك إلى المعالجة الإلهية بالابتلاءات، فأنظر أين أنت من هذين الطريقين في الاتصال بالله تعالى.

ومن هنا فمن اثر اخرته على دنياه ربحهما معاً، ومن اثر دنياه على اخرته خسرهما معاً، فكن عبداً لله تعالى شكوراً، وبذلك تتحقق غاية وجودك في الحياة، عندئذ ليس للضال والكافر والفاسق والعاصي سلطاناً عليك البتة، فمن كان الله معه، فمن عليه.



سيكولوجيا الحياة وما بعد الموت، مفردات ناطقة بالحياة، تغرد بلحن الأيمان، على الأوراق فتنشر عطرها على السطور، وتراقصات الحروف وهمسات القلب النابضة من وراء السطور.

فتلك المفردات أرسلت من القلب إلى القلب، ومن الدنيا إلى الآخرة ومن شاطئ البحر على لالالئ الأعماق الساكنة، من جهل المعرفة إلى اشراقات النور، ومن تخطبات الشهوات إلى نور القربات، من معبر الكلمات، إلى مستقر الإفهام، لعلها تلقى عندك فؤاداً حاضرا، يتجاوب معها، في رحلة الحياة في الحياة.



المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي (١٩٩٣). **صحيح ابن حبان**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن خزيمة، محمد بن اسحاق (١٩٧٠). **صحيح ابن خزيمة**، بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن القيم، محمد بن أبى بكر الزرعي (١٩٧٣). **الفوائد**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي (١٩٩٥). **حاشية ابن القيم**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي (١٩٨٥). **الوابل الصيب**، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (١٩٩٦). **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (د.ت). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (د.ت). **تحفة الأحوذي**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو الحسن، علي بن أبي بكر. **موارد الظمآن**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧). **صحيح البخاري**، ط٣، بيروت: دار ابن كثير.
- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين (١٩٩٠). **شعب الأيمان**، بيروت: دار الكتب العلمية.



- الثعالبي، عبد الرحمن بن مخلوف (د.ت). الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- جابر، جابر عبد الحميد. (١٩٩٧): قراءات في تعليم التفكير والمنهج. القاهرة، دار النهضة.
- الجارود، عبد الله بن علي (١٩٨٨). المنتقى لأبن الجارود، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية.
- الجبالي، ليلي (٢٠٠٠). الذكاء العاطفي. الكويت: عالم المعرفة.
- الحسيني، هاشم (١٩٨٢). نظرية الانفعال. بيروت: منشورات مكتبة الحياة.
- الحنبلي، عبد الرحمن بن احمد (١٩٨٧). جامع العلوم والحكم، بيروت: دار المعرفة.
- الحنبلي، عبد الرحمن بن احمد (١٩٩٦). شرح حديث لبيك، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
- خوالده، محمود عبد الله (٢٠٠٤). الذكاء العاطفي "الذكاء الانفعالي". عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- الخولي، البهي (١٩٨٤). تذكرة الدعاة. الكويت: مكتبة الفلاح.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٢). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (د.ت). الجامع الصغير للسيوطي. جدة: دار طائر العلم.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (د.ت)، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار الفكر.
- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد (١٩٧٣). نيل الأوطار، بيروت: دار الجيل.
- شيخاني، سمير (١٩٩٧). لغة الجسد "كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم". بيروت: الدار العربية للعلوم.



- الأصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (١٩٨٤). **حلية الأولياء**، بيروت: دار الكتاب العربي.
- صالح، علي حكم و ناظم حسن (٢٠٠١). **بداية الفلسفة**، بيروت: دار الكتاب الجديدة.
- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (١٩٩٨). **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الفكر.
- القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (١٩٥٩). **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، القاهرة: دار الشعب.
- قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر.
- طاهر، طاهر بن حسين (د.ت). **المسلك القريب لكل سالك منيب**، بيروت: المكتبة الشعبية للطباعة والنشر.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (١٩٨٤). **تفسير الطبري**. بيروت: دار الفكر.
- الكوفي، هناد بن السري (١٩٨٧). **الزهد لهناد**، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري(د.ت). **صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المليجي، حلمي (٢٠٠٠). **علم النفس الأكلينكي**. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- المناوي، عبد الرؤوف (١٩٣٤). **فيض القدير**، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (١٩٩٠). **المستدرك على الصحيحين**، بيروت: دار الكتب العلمية.



ثانياً: المراجع الأجنبية

- Ciarrochi, J. ;Forgas, P.& Mayer, D. (2001). **Emotional Intelligence In Every Day Life**. NC, Printed By Edwards Brothers.
- Goleman, D. (1998). **Working With Emotional Intelligence**. New York. Bantam.

ثالثاً: المراجع الإلكترونية:

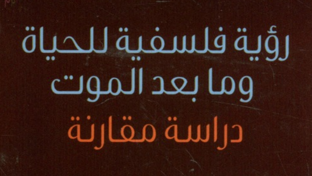
- أبو سعد، مصطفى (٢٠٠٥). الذكاء الوجداني، منشورات دبي الإلكترونية:

http://www.dubailand.gov.ae/MindPleasure/DownloadFiles/Clever.ppt

www.islamset.com

www.rameztaha.net







تناول الكتاب في فصوله: ماهية الرؤية الفلسفية للحياة، في محطات منتقاة مختارة، مثل قطع لؤلؤية، تتسم بالتفرد في مضمونها وعرضها، حيث لم انهج نهج التسلسل التاريخي، إنما اعتمدت تسلسل الفكرة، في فهم الحياة، بحسب رؤى الفلاسفة، الذين اختلفت وتصادمت أفكارهم في الحياة، لكن كلماتهم اتفقت على أن هذه الحياة زائلة لا محالة، وأن هناك حياة أخرى. فمن خلال هذه الفصل قدمت رؤية الفيلسوف الكندي للحزن، ورؤية الفيلسوف الرازي للآفات السلوكية، ورؤية ما بعد الحياة عند رونسار والسلوك الأمعي عند رابليه، وتناقضات الحياة عند نيتشه وجاسبرز، ورؤية المدنية الغربية والآلة وارتباطهما في تجريد الإنسان من إنسانيته، وإعدام المعنى وما وراء المعنى، عند غادامئر، والأنا اللاشعورية والأنا الناطقة ومتتاليات الأشباح والهلوسة عند كل من فرجينيا وولف وكولن ولسن، وفرويد، في رؤية فلسفية موجزة، تركز على الفكرة، بعيداً عن الاستطراد في القشور والتفاصيل، وحاولت تقديم تلك الرؤية الفلسفية المختزلة لهذه الثلة من الفلاسفة المبدعين من الغرب، بطريقة سهلة ميسرة، بعيدة عن التعقيد ما أمكن.

وختمت الكتاب بمنظومة من المفردات الحياتية، التي تلامس اهتمام الأفراد والمجتمعات، في ضوء التصور الإسلامي، ومساحات الرؤية النفسية للإنسان والحياة، حيث تم تناول تلك المفردات بأسلوب رصين جذاب، يستهدف الفكرة، ويبتعد عن حشو الكلام، ويحلق في التفرد، ويبتعد عن التقليد، في رؤية شمولية موضوعية واقعية، تخاطب الحياة في الحياة.

Philosophical vision of what life after death Comparative Study



عالم الكتب الحديث
Modern Book's world
للنشر والتوزيع
الاردن - اربد - شارع الجامعة
www.almalkotob.com
تلفون: ٧٢٧٢٢٧٢ ٢ ٩٦٢+ / فاكس: ٧٢٦٩٩٠٩ ٢ ٩٦٢+
الرمز البريدي: (٢١١١٠) / صندوق البريد: (٣٤٦٩)
almalktob@yahoo.com